الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية- قسنطينة-
الرقم الترتيبي:. . . . . .
رقم التسجيل:. . . . . .

كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم اللغة العربية
شعبة اللغة العربية والدراسات القرآنية

# الأبعاد التربوية للصورة البيانية في سورة البقرة

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة العربية

إعداد الطالب:
عبود حميودة

إشراف الأستاذ الدكتور:
رابح دوب

السادة أعضاء لجنة المناقشة

| | | |
|---|---|---|
| أ.د.سامي الكيلاني | جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة | رئيسا |
| أ.د. رابح دوب | جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة– | مشرفا ومقررا |
| د.محمد بلواهم | جامعة عنابة | عضوا |
| د.عبد الحميد بوكعباش | جامعة جيجل | عضوا |
| د.صالح غريبي | جامعة تبسة | عضوا |

السنة الدراسية: 2011-2012

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## مقدمة

الحمد لله الذي﴿ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ . خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ . عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾.والصلاة والسلام على أفصح العرب محمّد سيّد الأنام، من أرسله الله رحمة للعالمين، فتحقّق الخير وساد السلام.

أمّا بعد:

إنّ الكثير من أمّة الإسلام اليوم يعيش انحرافا على مستويات عـدّة.. علـى المسـتوى الاعتقادي و الفكري، يوجد خلل في فهم وتحديد العلاقة ما بين المسلم وبين ربّه، في قضيّة تحقيق النصر والغنى وغير ذلك، فهناك تهاون في أداء العبادات، وتهاون في إعداد السنن المادية للنصر والغنى والعزّ، ومع ذلك هناك الرجاء في الله والدّعاء له، وهذا خلل كبير( أعقلها وتوكل)، فإن لم تعلقها كيف تتوكّل؟!. وعلى المستوى النفسي، هناك مسلمون كثر يتعاملون بدوافع الحسد والحقد والأنانية،وفي النفوس أحزان وقلق..وكثير من الأسر تلجأ إلى المشعوذين والرقاة، وهذا يعني أنّ هناك أمراضا نفسية، وسبحان الله أكثرهم يصلّي ويقرأ القرآن، ويحرص على صلاة التراويح في رمضان، والمشكلة أنّ هذا الأمر لا يقتصر على الأمّيين بل يشمل حتّى بعض المثقفين.وإذا كان الخلل موجودا على مستوى العقيدة، ثمّ أمراض نفسية كثيرة، فالسلوك ولا شكّ منحرف والمعاملات بين الناس يحكمها الظلم والأنانية.

إنّه لمن الواجب أن نبحث جميعا كل حسب تخصصه وقدراته في هذا القرآن، لنحدّد من خلاله أمراض العصر، وبه نحدّد أعراض الأمراض الفكرية والنفسية والسلوكية، التّي يعاني منها المسلمون، ثمّ نقدّم الحلول الممكنة لنكون ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾.

وإنّ من الدراسات التي لا يزال لها كثير فائدة، الدّراسات اللغوية والبلاغية للقرآن الكريم، فالقرآن نزل باللسان العربي، ولغة القرآن لا تزال معطاءة لأنّها معجزة، وكل جيل يكتشف جانبا أو أكثر ممّا يدلّه على هذا الإعجاز القرآني.

ومن هذه الدراسات البلاغية، الدراسة البيانية التي تشمل التشبيه، المجاز، والكناية. حيث استخدمت الصورة البيانية على نحو، يحقّق المتعة الفكرية واللذة النفسية، فهو في شكله أجمل ما يكون، وفي مضمونه أدقّ وأحسن ما يكون. فدراسة القرآن الكريم بيانيّا، أي دراسة التشبيه والمجاز والكناية، لا شكّ أنّ لها فوائد جمّة، وأنّها تحقّق مصالح عدّة، فمن هذه الصورة البيانية يستخرج معنى له علاقة ببناء العقيدة وتصحيح الفكر، وآخر له علاقة بتزكيّة النفس، ومعنى آخر له علاقة بضبط السلوك وتحسين العلاقات الاجتماعية.

نعم لقد اهتمّ الكثير من علمائنا قديما وحديثا بدراسة القرآن بيانيّا، لكنّنا مع ذلك يمكن أن نكتشف معنى فيه دواء، ولو لبعض أمراض المسلمين الاعتقادية، أو النفسية، أو السلوكية.يقول فخر الدين الرازي: قد ثبت في أصول الفقه أنّ المتقدمين إذا ذكروا وجها في تفسير الآية فذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها، وإلا لصارت الدقائق التي يستنبطها المتأخرون في التفسير مردودة، وذلك لا يقوله إلا مقلّد. ويقول د، عامر نايف الزوبعي: إنّ الدعوة إلى دراسة القرآن وتدبّره باقية لا تنقطع، وقد يسّر الله كتابه للذكر والعلم ومعرفة ما فيه من حقائق وعبر فإن صعب الوصول إلى المراد فسؤال أهل الذكر مفتوح إلى يوم القيامة لقوم لا يعلمون، كلّ ذلك يوحي بأنّ هذا القرآن كان ولا يزال وسيبقى وحيا متجدّدا، ونورا منيرا لا يقتصر نوره على مكان، ولا وحيه على زمان، ولم يستأثر الله تعالى علمه على إنسان كائنا من كان.

وهكذا فإنّ موضوع دراسة القرآن بيانيّا، واستخلاص المعاني التي من شأنها أن تصحّح تصوّر المسلم، وتزكّي النفس، وتضبط السلوك ، يكتسي أهمية كبرى، فمن الواجب إذن على كلّ متخصّص في الدراسات اللغوية والقرآنية، والراغب في استنهاض همم المسلمين من جديد لصناعة

النصر والمجد لأمّة الإسلام، أن يدرس القرآن حسب طاقته، ويقدّم حلولا لمشكلات المسلم المعاصر.

وقد وقع اختياري لسورة البقرة لأنها أطول سورة في القرآن، فقد ورد فيها الكثير من صور البيان ( التشبيه، المجاز، الكناية) ممّا يجعلها مناسبة لأن تكون موضوع دراسة بيانيّة(بحث دكتوراه)، ضف إلى ذلك أنّ سورة البقرة من أوائل ما نزل بعد الهجرة النبويّة مباشرة، وهي تعنى بتكوين المجتمع المسلم، وبناء الدولة الإسلامية، فدراستها تساعدنا في معرفة معالم الطريق الذي رسمه الله تعالى لبناء المجتمع وبناء الدولة، فنحاول أن نستفيد من ذلك، ونحن نحاول معالجة أمراض المسلمين اليوم الفكرية والنفسية والاجتماعية، ونحن أيضا نطمع في بناء دولة الإسلام، كما بناها النبيّ عليه السلام، وكما رسم معالمها القرآن. فالدافع الأساس لاختيار الدراسة البيانيّة في سورة البقرة والبحث في الأبعاد التربوية للصورة البيانية ( التشبيه، المجاز، الكناية) إنما هو دافع البحث في كتاب الله القرآن الكريم، ولما كان من الصعب شمول الدراسة للقرآن الكريم كلّه، فقد اخترت سورة البقرة للأسباب التي ذكرتها من قبل، وسبب آخر لاختيار موضوع الدراسة البيانية في سورة البقرة، والبحث في الأبعاد التربوية: الاعتقادية ،النفسية، والسلوكية، هو أنّني في بحث الماجستير تناولت الصورة البيانية في سورة النور، فتعلّمت أشياء، واكتشفت أسرارا لم تخطر على بالي مطلقا، صحيح أنّني استعنت بما قدّمه العلماء، لكنّني عجبت للصورة البيانية في القرآن في كونها معطاءة للمعاني الكثيرة والمختلفة، فكانت أمنيّتي أن يكون موضوع البحث في الدكتوراه يتعلّق بالصورة البيانية في القرآن ولكن لسورة أطول.

## الإشكالية:

إذا كانت أهداف القرآن الكريم عموما هي هداية الإنسان من الضلال، و تزكية نفسه من الذنوب، و ضبط سلوكه من الانحراف، فهل للصورة البيانية علاقة بذلك؟ و إذا كانت للصورة البيانية في القرآن جماليّتها من حيث الشكل، فما هي أبعادها التربويّة المتعلّقة بالفكر و النّفس والسّلوك؟.

## الدراسات البيانية للقرآن الكريم السابقة وأهم المصادر والمراجع المعتمدة:

اهتمّ علماء الإسلام قديما وحديثا بالدّراسة البيانيّة للقرآن الكريم، ولعلّ أوّل كتاب في التفسير، تناول فيه صاحبه الدراسة اللغوية والبيانيّة بالتفصيل،كتاب( الكشاف) للزمخشري، وقد دعا في مقدّمة تفسيره إلى تحصيل علمي المعاني والبيان، لمن أراد فهم كتاب الله تعالى فهما صحيحا، ولا شكّ في أنّ هذا التفسير قد ذكر الكثير من الأسرار المستخلصة من الصورة البيانية المستخدمة ( التشبيه، المجاز، الكناية)، وقد أثنى ابن خلدون في (المقدمة) على تفسير الكشاف.

ومن التفاسير المعاصرة التي تناولت الدراسة اللغوية والبيانيّة للقرآن الكريم تفسير( التحرير و التنوير) لمحمّد الطاهر بن عاشور، وقد لاحظت في هذا التفسير عمق التّحليل، واستخلاص ما أمكن من الحكم والأسرار، وفيه يقارن بين أقوال العلماء الذين تناولوا القرآن بالدراسة البيانيّة،ويردّ على بعضها، وفي هذا التفسير ذكر للكثير من صور البيان.أمّا في (ظلال القرآن) فقد عمل سيّد قطب على تطبيق نظريته " التصوير الفني في القرآن الكريم" و لا شكّ أنّك تشعر بالمتعة الفكرية والنفسية وأنت تقرأ تفسيره هذا.

ولقد تناول د. إبراهيم علي حسن داود، التشبيه في سورة البقرة من حيث الخصائص، حيث حلّل وناقش، وحاول استخلاص المقاصد الممكنة من التشبيه. وللشريف الرضي كتاب (البيان في مجازات القرآن) وهو وإن لم يفصّل و لم يطل في ذكره للمجازات الواردة في سورة البقرة، فقد جاء بمعاني مفيدة.

لقد استفدنا في بحثنا" الأبعاد التربوية للصورة البيانية في سورة البقرة" من هذه المصادر والمراجع، وثمّة مصادر ومراجع أخرى نذكر منها: (أسرار البلاغة) للجرجاني، (التعبير الفني في القرآن) للدكتور بكري شيخ أمين، (الإبداع الفني في القرآن العظيم) لمحمد علي الصابوني، (جامع البيان عن تأويل أي القرآن) للطبري، تفسير البغوي، (الجمان في تشبيهات القرآن) لابن ناقيا البغدادي، (البلاغة الجديدة) للدكتور محمد العمري، (التصوير الفني في القرآن) سيد

قطب، (الصورة الأدبية في القرآن الكريم) للدكتور صلاح الدين عبد التواب.كذالك استفدنا من بعض الرسائل الجامعية و المقالات المنشورة بالمجلات ذات الصلة بموضوع الدراسة من ذالك: *مقال بعنوان "خصائص التشبيه في القرآن الكريم" للدكتور رابح دوب المنشور بمجلة العلوم الإسلامية التي تصدرها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة .* رسالة ماجيستير بعنوان"دراسة الإعجاز البياني في بعض آيات الأحكام ": للطالب عمار ساسي. إشراف:د،جعفر دك الباب، بجامعة الجزائر. * رسالة دكتوراه:"النفس في القرآن الكريم :دراسة بيانية لآيات النفس الإنسانية " للطالب خالد بن عميور.إشراف: د،عبد الحميد بوكعباش. 2010،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

## منهجية البحث:

أذكر الآية حيث وردت الصورة البيانية من تشبيه أو مجاز أو كناية، وأحيانا آتي بما قبلها وما بعدها لوجود ترابط يصعب فصله، ثم أبيّن نوع الصورة البيانيّة الواردة. وقبل الشرح والتحليل واستنباط الأبعاد التربوية والمعاني الممكنة، أذكر سبب النزول إن وجد، لأنّ معرفة سبب النزول يساعد على الفهم الصحيح للآية، معتمدا على المصادر التي اهتمت بأسباب النزول. ومنها:(لباب النقول في أسباب النزول) لجلال الدين السيوطي.ثمّ أذكر معنى الآية إجمالا، وإذا كانت أحاديث تبيّن معنى الآية أرجع إلى كتب الحديث ومنها (صحيح البخاري)، وإن وجدت أقوالا مأثورة عن الصحابة، أعود إلى تفسير ابن كثير لأنّه تفسير بالمأثور. كذلك قبل التحليل والبحث في أبعاد الصورة البيانية، أقوم بشرح المفردة لغويّا إذا كان المعنى يتعلق أكثر بالمفردة وأرجع في ذلك إلى المعاجم والكتب التي اهتمت بشرح المفردات ومنها: (أساس البلاغة) للزمخشري ،و(مختار الصحاح) لمحمد الرازي، و(معجم ألفاظ القرآن الكريم) الصادر عن( مجمع اللغة العربية) بمصر.

بعد كلّ هذا أعود إلى الصورة البيانية (التشبيه، المجاز، الكناية) أحلّل وأناقش وأستخلص المعاني والأبعاد، ما تعلّق منها بالاعتقاد، أو النفس، أو السلوك، معتمدا على التفاسير اللغوية والبيانية للقرآن الكريم، وكتب أخرى اهتمّت بالدراسات القرآنيّة.

المنهج المتّبع: المنهج التحليلي لأنّ البحث يتطلّبه لأجل التعمّق في الدراسة، واستخلاص ما أمكن الأبعاد التربوية.

**خطة البحث**: وهي موضوعة على الشكل الآتي:

أ- مدخل (بين يدي السورة): وفيه تعريف بسورة البقرة مع بيان أهم أهدافها.

ب- الفصل الأول: وهو فصل نظري: الصورة البيانية في القرآن (الشكل والمضمون) وهو مقسم إلى مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: الصورة البيانية في القرآن " اللفظ والمعنى".

المبحث الثاني: خصائص الصورة البيانية في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الصورة البيانية أسرار وأبعاد .

ج /الفصل الثاني:الأبعاد التربوية للتشبيه في سورة البقرة،وذلك في مباحث ثلاثة: ( الاعتقادية- النفسية-السلوكية).

**د / الفصل الثالث: الأبعاد التربوية للمجاز اللغوي**، وذلك في أربعة مباحث:

م1- الأبعاد التربوية للمجاز المرسل( الاعتقادية، النفسية، السلوكية). م2-الأبعاد الاعتقادية للاستعارة. م3-الأبعاد النفسية للاستعارة. م4- الأبعاد السلوكية للاستعارة.

هـ/ الفصل الرابع: الأبعاد التربوية للكناية والتعريض(الاعتقادية-النفسية-السلوكية).

خاتمة: نتائج البحث.

## العقبات والصعوبات:

من الصعوبات التي واجهتنا لإنجاز هذا الموضوع" الأبعاد التربوية للصورة البيانية في سورة البقرة" طول السورة (قرابة 300 آية)، تتبّعتها آية آية.. جملة جملة..ومفردة مفردة، بحثا عن تشبيه، أو مجاز مرسل، أو استعارة، أو كناية، مع أنّ معظم التفاسير لا تذكر جميع الصور البيانيّة، فإذا ذكر هذا التفسير صورا، لم يذكر أخرى، فأضطرّ للبحث في تفاسير عدّة، كذلك من الصعوبات، اختلاف العلماء في بيان الصورة الواردة، هل هي من قبيل الاستعارة أم من قبيل التشبيه البليغ، وهل الكلام في هذه الآية يحمل على الحقيقة أم على المجاز؟.

ومع هذه الصعوبات فقد بذلت أقصى جهدي في تناول كل الصور البيانية من تشبيه ومجاز وكناية..وبذلت أقصى جهدي في استخلاص الأبعاد التربوية الممكنة.

## شكر:

وإنّي لأتقدّم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور رابح دوب الذي شرّفني بالإشراف على هذه الرسالة، والذي شجّعني على البحث في هذا الموضوع، وأفادني بنصائحه وتوجيهاته، وصبر عليّ مدة سنوات الإشراف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# مـدخـل :
# بـين يـدي الـسـورة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## مدخل: بين يدي السورة.

**أولا:فضلها**: لها فضائل كثيرة منها:

1 - قراءة أواخرها كفاية من كل شر: روى البخاري عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله وسلم قال: ﴿من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه﴾.[1]

فأجر قراءتها كثير وهي تكفي المسلم من شر الشيطان، وكيد الإنسان، كما تدل عليه عبارة(من كل شر)،والآيتان هما﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾.وإذا كان لآيتين كل هذا الفضل، فكيف بقراءة السورة كلها؟.

**ثانيا: التسمية والقصة:**

سميت سورة البقرة بذلك لورود قصة بني إسرائيل، حيث أمروا بذبح البقرة، وضرب الميت بجزء منها، ليدلّهم الله بقدرته على من قتله. جاء في (التحرير والتنوير): ووجه تسميتها أنّها ذكرت فيها قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية، ووصف سوء فهمهم لذلك، وهي مما انفردت به السورة بذكره[2].ويؤيّد هذا الرأي، كون تسميتها بهذا الاسم لتمييزها عن باقي السور، لا لأنّ موضوع القصة أساسي وهام،الأستاذ محمد فاروق الزين حيث يقول: سمّيت هذه السورة " البقرة" لأنّ قصة البقرة واردة فيها ولا يعني ذلك أنّ قصة البقرة هي موضوعها الرئيسي وإنما الاسم مجرد تعريف أو عنوان للسورة[3].

---

[1] – صحيح البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ،عالم الكتب،بيروت ،لبنان،ج6 ،ص323.

[2] – التحرير والتنوير: الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، 1984، ص201.

[3] – النظم في القرآن الكريم: محمد فاروق الزين،دار الفكر، دمشق، سوريا،ط1 ، 1425 هـ/2004م، ص22.

و الحقيقة أنّني أرى تسميتها بذلك( سورة البقرة) ليس لمجرد التعريف والتمييز، وإنّما للفت النظر إلى أهميّة هذه القصة، ثم أهمية البقرة في حدّ ذاتها من بين الأنعام..لحمها لبنها وغير ذلك من عظيم الفوائد، وكأنّ الله تعالى برضاه بهذه التسمية- التسمية توقيف من النبي عليه السلام- يدعونا إلى البحث في شأن البقرة ذاتها.

أعود إلى الحديث عن أهميّة قصّة بني إسرائيل مع المقتول ظلما، حيث أمرهم رسولهم موسى عليه السلام بذبح بقرة، وضرب الميّت بجزء منها فيحي، ويتكلّم مخبرا عن القاتل الظالم، ومما لا شك فيه أنّ بني إسرائيل تعجّبوا من هذا و لم يحيطوا علما بالسر، كيف بجزء من اللحم من البقرة المذبوحة تردّ الحياة إلى الميت؟!

ولقد وقف بنو إسرائيل على الحقيقة العجيبة، وأنّ الميّت بالفعل يتكلّم.. الحياة تعود من جديد، والظالم يعرف. ماذا أراد الله من بني إسرائيل أن يعقلوه حين ذاك؟ وماذا أراد الله من بني إسرائيل أن يفهموه اليوم؟ وماذا أراد الله من المسلمين أن يستوعبوه من هذه القصّة العجيبة حتى أنّ الله رضي لها اسما ليدلّ على شأنها؟

أعتقد أنّ الله أراد من الكل أن يعرفوا أنّ قدرة الله لا حدود لها، فبجزء من الميّت (البقرة) تردّ الحياة إلى الميّت( الإنسان)، فقدرة الله مطلقة، فهي أي القدرة الإلهية موصولة بالحكمة، وهذه القدرة وتلك الحكمة، ليس في موضوع إحياء الإنسان الميّت بجزء من حيوان ميّت، ولكن تشمل التشريع كلّه، فالله أمر بالصلاة وبكيفية معينة وفي ذلك حكمة، وأمر بالقصاص في القتلى وفي ذلك حكمة، وأمر بالصوم شهرا وفي ذلك حكمة.. وكأنّ الله يقول: يا أيّها المسلم، لقد أمرت بني إسرائيل بذبح البقرة وضرب بجزء منها الميت، فإذا بالحياة تسري في جسده، وإذا بالحقيقة تظهر. ولقد جادلوا أوّل الأمر، ثم تبيّن لهم الحق الذي جاءهم من عند الله، فيا أيها المسلم، يا من آمنت بوجود الله، وعرفت قدرته وحكمته لا تجادل، الزم حدود ما أنزلت، سواء عرفت الحكمة والسر فيما أمرتك أو نهيتك أم لا، واعلم أنّك ستحيى الحياة الحقيقية الهنيئة السعيدة.

لقد ذكرت بأنّ تسميتها بسورة البقرة، لأهمية موضوع القصّة، ولأسرار وأبعاد تكمن وراء إيرادها، لأنّ هذه التسمية توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، أي رضي الله تعالى بهذه التسمية، وليس مجرد اجتهاد من الصحابة، أصابوا أم أخطؤوا.والدليل ما رواه مسلم عن أبي أمامة

الباهلي أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿اقرءوا سورة البقرة فإنّ أخذها بركة﴾[1]. هكذا منه عليه السلام سماها سورة البقرة.جاء في ( التحرير والتنوير): وأمّا أسماء السور فقد جعلت لها منذ عهد نزول الوحي [2].وعلى ذلك بنيت رأيي من قبل، وذكرت أنّ هذه التسمية لها دلالة على أهمية الموضوع، وأنّ ثمة أسرار ومعان ينبغي أن تبحث.

**ثالثا: طبيعة السورة وعدد آياتها:**

سورة البقرة مدنيّة نزلت بعد الهجرة النبوية، وهي من أوائل السور التي نزلت مباشرة بعد الهجرة، وذلك لبناء المجتمع المسلم الجديد، وإرساء لقواعد الدولة المسلمة.وقد ذكر العلماء أنها نزلت على مراحل، ولم يتزل جميعها جملة واحدة، جاء في (أحكام القرآن): سورة البقرة مدنية نزلت في مدد شتّى، أوّل سورة نزلت بالمدينة، إلاّ قوله تعالى:﴿**وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ** ...﴾ نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى. وآيات الربا أيضا من أواخر ما نزل[3]. وجاء في (التحرير والتنوير): نزلت سورة البقرة بالمدينة بالاتفاق وهي أول ما نزل في المدينة وحكى ابن حجر في (شرح البخاري) الاتفاق عليه، وقيل نزلت سورة المطففين قبلها بناء على أن سورة المطففين مدينة[4].يقول الأستاذ محمد فاروق الزين: نزلت هذه السورة بكاملها تقريبا خلال السنتين الأولى والثانية بعد الهجرة النبوية، والقليل الباقي منها نزل فيما بعد[5].ولا بأس أن نورد هنا نقاط أخرى إضافة إلى بيان طبيعتها:

- عدد آياتها مائتان وخمس وثمانون آية عند أهل العدد بالمدينة ومكة والشام، وست وثمانون عند أهل العدد بالكوفة، وسبع وثمانون عند أهل العدد بالبصرة[6].

- قال بعض العلماء: هي مشتملة على ألف خبر وألف أمر وألف نهي[7].

---

[1]- جامع الأحكام للقرطبي: أبو عبد الله محمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،ج1، ص 152.

[2]- التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص90.

[3]- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ،ج1، ص 152.

[4]- التحرير والتنوير : ابن عاشور ،ج1، ص201.

[5]- بيان النظم في القرآن الكريم: محمد فاروق الزين، ص 22.

[6]- التحرير والتنوير: ابن عاشور ،ج1، ص 203.

[7]- تفسير القرآن العظيم: الأمام إسماعيل بن كثير، ، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.ج1، ص63.

**رابعا: الابتداء بالحروف المقطعة: ﴿ الٓمٓ ﴾:**

الحقيقة التي يجب أن أذكّر بها أوّلا، هي أنّ القرآن الكريم معجز بكل ما فيه، شكلا ومضمونا، مبنى ومعنى، بالحروف والكلمات والآيات، والسور، وعليه فالحروف المقطعة التي ابتدأت بها بعض السور، لابدّ أن تدخل في موضوع الإعجاز.

لقد كثرت الآراء واختلفت في تفسير معنى تلك الحروف، ومع كثرتها واختلافها، لا نستطيع إنكارها لاحتمال القابلية لها من حيث التأويل. وسأورد جملة من آراء العلماء في الموضوع ثمّ أقدّم رأيي إما بالترجيح أو تقديم معنى محتملا.جاء في تفسير ( التحرير والتنوير): وأخلق بها أن تكون مثار حيرة ومصدر أقوال متعددة وأبحاث كثيرة، ومجموع ما وقع من حروف الهجاء أوائل السورة أربعة عشر حرفا وهي نصف حروف الهجاء، والحروف الواقعة في السور هي: أ، ح، ر س، ص، ط،ع، ق، ك، ل، م، ن،هـ، ي. وهي من القرآن لا محالة.. والذي يستخلص من أقوال العلماء بعد حذف متداخله و توحيد متشاكله يؤول إلى واحد وعشرين قولا[1].

وبعد عرضه لتلك الأقوال، خلص إلى أنّ الأرجح منها ثلاثة: 1-كون تلك الحروف لتبكيت المعاندين وتسجيلا لعجزهم عن المعارضة. 2-كونها أسماء للسور الواقعة هي فيها. 3-كونها أقساما أقسم بها تشريف قدر الكتابة وتنبيه العرب الأميين إلى فوائد الكتابة لإخراجهم من حالة الأمية[2]. ثمّ رجّح القول الأوّل على الأقوال الأخرى.ويرى رأيه سيد قطب في ( الظلال) حيث يقول: تبدأ السورة بهذه الأحرف الثلاثة المقطعة " ألف، لام، ميم، يليها الحديث عن كتاب الله ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ ومثل هذه الأحرف يجيء في مقدمة بعض السور القرآنية، وقد وردت في تفسيرها وجوه كثيرة، نختار منها وجها، إنها إشارة للتنبيه إلى أنّ هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف، وهي في متناول المخاطبين به من العرب، ولكنه مع هذا هو ذلك الكتاب المعجز، الذي يتحداهم مرة ومرة و مرة أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله فلا يملكون لهذا التحدي جوابا[3].

---

[1]- التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص 206.

[2]- المصدر نفسه: ج 1، ص 215.

[3]- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار العلم.جدة، السعودية، ط 12، 1406هـ/ 1986 م، م1، ص 32.

وجاء في (المصحف الميسر): ﴿ الٓمٓ ﴾ هذه وأمثالها في أوائل السور حروف مفردة، جاءت لإقامة الحجة على الذين قالوا إن القرآن من كلام البشر، فكأنه يقول هذه الحروف التي نظم منها القرآن وهي الحروف التي تنظمون منها كلامكم فلماذا عجزتم عن الإتيان بمثله؟[1] .

**رأي آخر في الفواتح:**

نزلت تسعة وعشرون سورة من سور القرآن الكريم، كلّها مكية، عدا البقرة وآل عمران، تبدأ بما يسمى بالحروف المقطعات، ويلاحظ أن ( عدد هذه السور يساوي عدد حروف الهجاء، إذا اعتبرنا الألف والهمزة حرفين، وهي تقارب ربع مجموع سور القرآن الكريم، ولا شك أن فواتح السور هذه جزء لا يتجزأ من تلك السور، فقد تواترت الأخبار بقراءتها كما نزل بها الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم . ويحتمل أن استخدام المقطعات كان شائعا زمن نزول الوحي من قبل الشعراء والخطباء كصور بلاغية ذات مغزى، ويلاحظ ذلك في بعض الأمثلة التي وصلت إلينا من الأدب العربي الجاهلي، فيحتمل إذن أن معاني المقطعات كانت واضحة للعرب وقت التنزيل، و لم تكن بالنسبة إليهم شيئا محيرا، إذ لم يصل إلينا أثر عن استفسار الصحابة رضي الله عنهم فيما يتعلق بمعانيها، فالقرآن الكريم نزل بلغتهم)[2].

إذن فحسب هذا الرأي فإن هذه الفواتح كانت معروفة المعاني للصحابة آنذاك، والحقيقة أن هذا رأي غير مقبول إلى حد ما، بسبب ما نقل إلينا من اختلاف في تفسيرها من طرف الصحابة.

**رأيي في موضوع الفواتح:**

ما ذكره العلماء الأجلاء في معاني فواتح السور، كلّه معقول ومقبول محتمل، وإني مع ذلك أرى أنّ المقصود من وراء ذكر هذه الفواتح- أقصد هنا على وجه التحديد( الٓمٓ ) من سورة البقرة- هو تعليم المسلم أن يستجيب لأمر الله تعالى، فإذا قال الله له قل كذا، قال كذا. وإذا قال له افعل كذا فعل. نعم يقول ما أمر به أن يقول، ويفعل كذلك سواء علم الحكمة من

[1] - المصحف المسير: الشيخ عبد الجليل عيسى ،دار الشروق، القاهرة، مصر، ط5، 1391هـ، ص 03.

[2] - بيان النظم في القرآن الكريم: محمد فاروق الزين، ص 25.

ذلك أم لا، فهو علم أنّ الله حق، قدرته مطلقة وعلمه واسع شامل، وحكمته موصولة بكلّ شيء ما دام كذلك فهو يلتزم بأمر الله كلّه، دون تردّد أو جدل أو تأخّر. فالمؤمن يقول: ألف، لام ميم. قد لا يعرف ما وراء ذلك، ولكنّه يدرك أنّ لله في ذلك حكمة، وللمؤمن في ذلك خير ومصلحة.والمؤمن يتدرّج بعد ذلك من الالتزام بتهجّي الحروف هكذا إلى الالتزام بكل ما في الشريعة، ومن ذلك ما ورد في سورة البقرة التي تحتوي كما ذكر بعض العلماء على ( ألف خبر وألف أمر وألف نهي)[1].

وإذا علمنا أنّ ( السورة القرآنية من الناحية البيانية والمعاني والدلالات التي اشتملت عليها بمثابة حلية أدبية رائعة فذة فهي ذات موضوع كلي واحد إلا أن وحدة الموضوع في كل سورة قد لا تستبين بالنظرة الجزئية، ولا بالنظرة السطحية التي تمر مرا سريعا على آياتها وقد لا ينتبه لها الكثيرون تأثرا بالاتجاه السائد عند المفسرين القدماء، الذين لم يوجهوا عناية كبيرة لهذا الأمر، رغم خدماتهم الجليلات التي قدموها لهذا الكتاب الرباني العظيم، إلا أنه كتاب معجز لا تفنى أعاجيبه وسيظل فيه دقائق معجزة خفية يظهر منها في كل حين من الدهر ما لم يكن قد ظهر من قبل ليظل على كر الدهور كما أراد الله له معجزة البيان الخالدة)[2].ثمّ يضيف عبد الرحمن حبنكة الميداني: ولدى البحث الدقيق المتعمق نلاحظ أنّ السورة القرآنية على وحدات متماسكة تشبه حلقات مترابطات مشمولات بحلقة أكبر منها وهي داخلة فيها ومتعلقة بها، ولا يشترط في كل حلقة موجودة على مسير خط النص أن تكون مرتبطة بالتي قبلها مباشرة، كما نعرف في حلقات السلسلة التي هي كالحبل، بل قد يكون الارتباط مباشرة بالحلقة الكبرى التي هي أساس الموضوع أو بحلقة دونها سبقت، وليست هي الحلقة المباشرة في تسلسل رصف الحلقات.[3]

وخلاصة كلامه أنّ معاني السورة الواحدة مترابطة وأنّ ثمة موضوع أساسي تتمحور حوله الموضوعات، وحينئذ فأوّل السورة مرتبط بآخرها وبكلّ جزء فيها، وقد بيّنت ولو يسيرا في موضع الحديث عن التسمية وقصّة البقرة، أنّ التسمية لهذه السورة بسورة البقرة، ليس للتمييز وليس لمجرد إطلاق هذا الاسم عليها وإنّما لأهميّة قصّة البقرة.

---

[1]- تفسير ابن كثير: ج1، ص 63.

[2]- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1409هـ/1989م، ص 29.

[3]- المرجع نفسه: ص 28.

لقد قتل واحد من بني إسرائيل ظلما، والقاتل لم يعرف، وقد طلب من موسى عليه السلام أن يكشف لهم عن القاتل فهو رسول، وبالفعل أمرهم موسى عليه السلام وبوحي من الله تعالى أن يذبحوا بقرة أيّ بقرة، ثم يضربوا بجزء منها جثّة المقتول، فيحي ويتكلّم ويدل على القاتل. فماذا فعل بنو إسرائيل لقد استهزؤوا بموسى عليه السلام، جادلوا وناقشوا ، وتردّدوا، وعندما فعلوا ما طلب منهم بعد حين، كان الأمر كما ذكر نبيّهم موسى عليه السلام، أي كما أخبر الله تعالى تماما، لقد قام القتيل وأخبر عن القاتل الظالم، إنّها قدرة الله تعالى وحكمته الموصلة بكل شيء، والموجودة في كل شيء، والحاصلة مع كل شيء.وماذا عليهم لو لم يجادلوا و لم يناقشوا و لم يماطلوا؟ نعم. لو لم يفعلوا ذلك لكان خيرا لهم وأقوم.

لقد أورد الله تعالى هذه القصّة في سورة البقرة التي ابتدأت بالحروف المقطعة (الٓمٓ) تعليما لأمور معيّنة نبحث عنها، ونأخذ العبرة من موقف بني إسرائيل مع نبيّهم موسى عليه السلام، ومع ربهم سبحانه وتعالى.ولعلّ ممّا يتعلمه المسلم من هذه القصة، هو أن يعلم قدرة الله تعالى المطلقة وحكمته الموصلة بكل شيء، فهو عندما أمر بذبح بقرة ثم بجزء منها بضرب الميّت فيحيى، فهو يكشف للناس عن عجيب قدرته وتمام حكمته، والذي قدر من قبل على مثل هذا فهو قادر على إنزال كتاب معجز وتشريع عظيم فيه حياة الناس، الحياة الطيبة، فيه خير الفرد والمجتمع.

نعم قد تدلّ الحروف المقطّعة على معنى التحدي للكافرين أن يأتوا بمثل القرآن، وهو في لغته من جنس ما يعرفون. ولكن ثمة معنى آخر هو أنّ المؤمن يتلقّى القرآن من الله وفيه أن يتلو ﴿الٓمٓ﴾: ألف، لام، ميم. فهو يردّدها هكذا، لا يعرف الحكمة، لكن ما دامت من عند الله القادر الحكيم، هناك خير وحكمة.ثمّ يتدرج المؤمن من قراءة الحروف كما أمر إلى الالتزام بالأحكام كذلك، ولا يتردّد ولا يجادل كما فعل بنو إسرائيل.

سؤال:

هل هذه الأحرف المفتتح بها آيات مستقلة أم هي جزء من آيات؟ جاء في (التحرير والتنوير): هذه الفواتح قرآن لا محالة ولكن اختلف في أنها آيات مستقلة، والأظهر أنّها ليست بآيات مستقلة بل هي أجزاء من الآيات الموالية لها على المختار من مذاهب الجمهور ( القرّاء) والصحيح عند الكوفيين أنّ جميعها آيات. والوجه عندي أنها آيات لأن لها دلالة تعريضية إذ

المقصود بإظهار عجزهم أو نحو ذلك فهي تطابق مقتضى الحال مع ما يعقبها من الكلام. وعلى هذا الخلاف اختلف في إجزاء قراءتها. في الصلاة عند الذين يكتفون في قراءة السورة مع الفاتحة بآية واحدة مثل أصحاب أبي حنيفة[1].وإذا كانت(الٓمٓ ) آية مستقلة فلها معانيها وأسرارها.

## خامسا: تعلقها بما بعدها وما قبلها:

الفاتحة قبل سورة البقرة، وفي سورة الفاتحة ( تصوير للعلاقة الوحيدة الممكنة بين الناس ورب الناس، الاعتراف به، والثناء عليه، والاستعداد للقائه، والتعهد بعبوديته ثم الرجاء إليه أن يجعلنا كما يحب)[2]. ولاشك أنّ سورة البقرة وهي أطول السور، من أوائل السور التي نزلت بعد الهجرة، تناولت قضايا كثيرة، وبيّنت أحكاما كثيرة، وكان فيها التطبيق العملي لما ورد نظري في سورة الفاتحة ففي الفاتحة إيمان واعتراف ورجاء، وفي سورة البقرة دليل عملي على مدى صدق المؤمن في إيمانه بالله تعالى ولقائه.وسورة آل عمران بعد البقرة، ويستطيع قارئ هذه السورة، أن يستبين على عجل موضوع السورة الكريمة فهي تدور وتتمحور حول ( قضيتين كبيرتين: الأولى حوار مع أهل الكتاب الذين يخاصمون الإسلام داخل المدينة. والأخرى: تعليق على هزيمة أحد التي أصابت المسلمين بجرح غائر،وأدخلت الأحزان إلى عشرات البيوت. والحديث في كلتا القصتين يأخذ بدايته منفردا في أول السورة ووسطها ثم يختلط الحوار والتعليق أواخر السورة[3].وإذا كان أهمّ موضوع في سورة آل عمران الحوار مع إسرائيل ودعوتهم إلى اتّباع شرائع الإسلام، و اتّباع محمد عليه السلام الذي يعرفونه، فإنّ من أهمّ الموضوعات في سورة البقرة بيان صفات بني إسرائيل وحقيقتهم للمسلمين، وعليه فثمّة ارتباط وثيق بين السورتين.

**فائدة:**

أطول سورة في القرآن الكريم سورة البقرة، وحتى آل عمران التي تليها من السبع الطوال وكلتاهما تتحدثان عن بني إسرائيل، وهي إشارة واضحة وتنبيه بينّ للمسلمين أن يتخذوا احتياطاتهم، فإنّهم من العقبات الكبرى أمام تطبيق الإسلام، وبناء المجتمع المسلم، ونشر دعوة الإسلام في ربوع العالم.

---

[1]- التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1،ص218.

[2]- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: الشيخ محمد الغزالي، دار الشروق،القاهرة، مصر، ص 09.

[3]- المرجع نفسه: ص 27.

**سادسا:المحاور الكبرى للسورة:**

المحاور الكبرى لسورة البقرة أربعة: العقائد، الأخلاق، العبادات، والمعاملات.

1- **العقائد**: سورة البقرة من أوّلها إلى آخرها، تعلم حينا وتذكر حينا آخر.. تعلّم المؤمنين وتذكّر أهل الكتاب وترشد الناس جميعا إلى أهمية الإيمان، كيف يكون؟ وبمن يكون؟ ولماذا يكون؟

وكما أنّ الإنسان لا دخل له في خلق نفسه ولا خلق الكون، فلا دخل له فيما هو من شأن الله تعالى، وهل ثمّة شيء إلاّ وهو شأن الله؟الله خلق وهو الذي أمر ونهى وأخبر ، فالمطلوب من الإنسان أن يؤمن الإيمان الذي رسمه الله تعالى دون نقص ولا شك ولا تماطل ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ ...﴾.( البقرة85). فالإيمان بالكتاب المترل من عند الله لا يقبل التجزيء .

هكذا تبدأ سورة البقرة( الٓمٓ ) بالحروف المقطعة، نعم فريق من أهل العلم قالوا هي آية مستقلة، ما معناها؟ قد لا تفهم معانيها ولا تدرك أسرارها، ولكن واجب عليك أن تقرأها كما هي: ألف. لام. ميم. هل تقول لا أقرأها وأنا لا أفهم معناها وأسرارها؟ كلا بل تقرأ مطيعا لله تعالى، ثم تتدرج للالتزام بكل ما أمرت به. ثم تذكر السورة: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. هكذا التركيز على موضوع الإيمان بالله تعالى وما ارتبط به. الإيمان بالغيب كلّه والتصديق بيقين باليوم الآخر.ولماذا التركيز ومن أوّل السورة على العقيدة؟ على الإيمان بالله واليوم الآخر والغيب عموما؟ لأنّه بدون عقيدة صحيحة ومتينة، فلا أخلاق بعد ذلك، ولا معاملات ولا عبادات، أي لا عمل بما أنزل الله، وإن يكن هناك عمل فهو مغشوش، والنتيجة الفتنة والشرّ لبني آدم. فبالإيمان الصادق والعقيدة الصحيحة، نستطيع أن نوجد الفرد المؤمن الصالح، الذي به يتكوّن المجتمع الصالح المتماسك لأنّ ( المؤمن هو الذي يعبد ربه، ويناجي خالقه في أي مكان في المتجر

والمصنع والحقل، والمجتمع، ويراقب الله في معاملاته، وتسمو أخلاقه عن الشر والجشع والأطماع الواسعة)[1].

وإذا كانت بداية السورة تتناول موضوع الإيمان، محور العقيدة، فإنّ آخر السورة يتناول ذلك، ويؤكّد على أنّ المحور الأساسي في بناء الشخصية المسلمة يرتكز على الإيمان الصادق والعقيدة الصحيحة .﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.( البقرة 285).وقد ورد في السنة النبوية أنّه من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه. روى البخاري عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه.[2] .

لماذا تكفياه من كل شر كل ليلة حين تقرأ؟ ماذا فيها؟ فيها الإيمان بالله تعالى، بقدرته وعظمته ورحمته ولقائه، وعبد يعتمد على إله له كل صفات الكمال والجلال، خليق به أن لا يخاف، بل يرتاح ويطمئن، وعليه يكفى من شر الخوف والوساوس وغير ذلك مما يضرّه.ومما هو معلوم أيضا، أنّ أعظم آية في سورة البقرة، تتناول موضوع الإيمان بالله، محور العقيدة. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾.
لماذا أعظم آية؟ هي كذلك لما فيها من موضوع أساسي، كل الموضوعات تابعة له، وكل المحاور مرتبطة به ومبنيّة عليه، إنّه الإيمان بالله تعالى، إنّه تصحيح الاعتقاد تجاه الله تعالى الخالق. فالله ليس مجرد خالق، بل هو يتصرّف ويحكم، يأمر وينهي ويحاسب.«لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ..»، وهو الذي يملك أمر الشفاعة، يوم يحضر الخلق بين يديه للحساب، فلا شفاعة من أحد لأحد إلاّ بإذنه، فالاحتماء

[1]– القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية:د، وهبة الزحيلي،دار الفكر المعاصر، بيروت،لبنان، ط1، 1419هـ/ 1998م.ص 57.
[2]– المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح:شرف الدين عبد المؤمن بن خلف ،المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2007م/ 1428هـ، ص 267.

والاعتماد يكون أوّلا وأخيرا على الله تعالى، حتّى الأنبياء لا شفاعة لهم إلا بإذن الله﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾.

وعلى كلّ فالسورة وإن كانت مدنية،اهتمت بأسس التشريع والمعاملات المالية والاجتماعية والقضايا السياسية،فقد ركّزت على موضوع الإيمان، وفصّلت في محور العقيدة، وفي هذا تنبيه للدّعاة والمصلحين، أنّه لا صلاح للفرد ولا ترابط للمجتمع، إلاّ بغرس الإيمان الصادق في القلوب.

**2- الأخلاق:**

إذا كان محمد صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليتمّم مكارم الأخلاق، فإنّ القرآن الذي جاء من عند الله يدعو إلى ذلك، ولا يتصوّر وجود مجتمع آمن مترابط يقوم بواجباته دون وجود أخلاق حسنة نبيلة تحكم سلوك الأفراد، كما لا يتصوّر بناء حضارة إنسانية، في غياب فضائل الأخلاق.. الكرم والجود، الصبر والحلم والإيثار والبر وغير ذلك.ومعلوم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم، أوّل ما فعله بعد هجرته إلى المدينة في السنتين الأولين هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار على أساس الأخوة في الله، ووضع دستورا يحدّد الحقوق والواجبات بين المسلمين وبين غيرهم من الأمم بما في ذلك أهل الكتاب، وما كان لهذه الأخوّة أن تستمرّ، ولا للحقوق بين الناس أن تبقى دون وجود قاعدة أخلاقية يتحرك وفقها المؤمن.وإذا كان النبي عليه السلام قد فعل ذلك، فهو ولا شك متّبع لأوامر ربّه وتوجيهات الوحي المترل عليه، إما بطريق مباشر صريح في الآيات، أو بفهم لما تشير إليه الآيات، ومعروف أنّ أول ما نزل بعد الهجرة (سورة البقرة).

إذن فسورة البقرة وأيضا السور التي نزلت قبلها، وكل السور، كانت المنبع والمصدر لأفعال وأقوال و تقريرات النبي عليه السلام، أي لتربيته للفرد والمجتمع.اقرأ قوله تعالى:﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ . يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾.( البقرة 263-264).كما يترل المطر ( على الرخام فيغسل ما على سطحه، ويكشف عن طبيعته يجيء الجزاء الأعلى فيكتسح ما على القلوب المتحجرة من تراب يشبهها بالأرض الخصبة، وبذلك تبدو

على يبسها وجفافها وإقفارها من المعروف والفضل، أما القلوب الأخرى فإن أسرار البركة المودعة فيها، وآمال البر والإحسان المرتقبة منها تجعل الجزاء الأعلى يحل بها غيثا غدقا تمرح به وتزدان فلنفعل الخير عن حب مكين، ولنطهره من علل المن والظهور، ولنتحرر من الأغراض الصغيرة التي تجعل الرجل لا يعطي إلا ليكتسب خيرا، أو ليتخذ يدا[1].فانظر فمع صورة التشبيه التمثيلي يوجّه القرآن المؤمن إلى حسن الخلق، إلى العطاء والبرّ والإحسان مع ترك سوء الخلق كالمنّ.واقرأ هذه الآية التي شملت الدعوة إلى كلّ خير والتوجيه إلى كل فضيلة والحثّ على فضائل الأخلاق:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ.. وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ... وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ..﴾.( البقرة 177).نعم ما قيمة أن تتوجّه في صلاتك إلى جهة معينة أو قبلة ما، المسجد الحرام أو المسجد الأقصى، إذا كان القلب فارغا من الإيمان، وكانت الأخلاق سيّئة بخل؟ وغدر؟.

فليكن الإيمان أوّلا والخلق ثانيا، ثم تصحيح اتّجاه القبلة، فتصحيح مسار القلب أولا بأن يتوجّه إلى الله بالصدق والإخلاص والحب والتوكّل، ثم تصحيح مسار السلوك والعلاقات بأن تكون فاضلة وحسنة، فيها برّ وإحسان، وصبر وإيثار، ثم تصحيح مسار الجسد باتجاه القبلة.

### 3- العبادات: صلاة – صوم– زكاة– حج– جهاد.

من البداية في هذه السورة البقرة، يوجّه الله المؤمنين إلى إيقام الصلاة وإيتاء الزكاة، إن كانوا يرجون الهداية و الفلاح،لقد طلبوا الهداية من ربهم في سورة الفاتحة ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾. والله قد استجاب. ﴿ الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.( البقرة 1-2). من هؤلاء؟ ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾. أمّا الصوم فقد ورد في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (183). وقد أشار إلى عبادة الحج في آيات عده منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾( 158).

[1]- جدد حياتك : محمد الغزالي، دار اليمن للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2002 م، ص 180.

أمّا الجهاد في سبيل الله فجاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾.( 190).

فهذه هي قواعد الإسلام الكبرى، وعباداته العظمى، الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد. يقول الشيخ محمد الغزالي: إنّ السورة التي نزلت بعد الهجرة مباشرة، والتي عاصرت بناء الجماعة الإسلامية على دعائمها العتيدة، أرست الأصول التي تقوم عليها العلاقات بين أتباع الأديان المختلفة،في الوقت الذي تنادى فيه بوحدة الدين عودة إلى تعاليم جميع المرسلين.. وتستطرد السورة في بناء المجتمع الجديد، فتشرح كما ذكرنا أركان الإسلام الخمسة، ثم تفيض في حديث عن الأسرة المسلمة،شارحة أحكاما مثيرة في بنائها وقيمها و حياطتها[1].

## 4- المعاملات:

وتشمل قضايا المال، الأسرة، والعلاقات الاجتماعية بين المسلمين والمسلمين، وبين المسلمين وغيرهم، وشؤون السياسة في السلم والحرب. بما يعني أنّ هذه السورة شملت على أمر هام، ألا وهو أنّ محمدا عليه السلام إنما أرسله ربّه برسالة سماوية ( القرآن) ليس لمجرد التلاوة فرديا أو جماعيا، ولا لتحسين بعض الأخلاق، ولا للقيام ببعض الركعات في الصلاة لذكر الخالق، وإنما أرسله لينظم الحياة كلّها، ويعطي حكما مبنيّا على أساس الوحي في كل مسألة، فهو ينظّم حياة الإنسان المالية والأسرية والسياسية والاجتماعية، فمن رضي بذلك وانتظم فهو مؤمن بحق، ومن أخذ جزءا وترك آخر بقصد رفض التدخل في شؤونه الدنيوية فهو كافر.﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ ﴾.( البقرة 85).

وأمر آخر يمكن فهمه من شمولية أحكام سورة البقرة، لقضايا المعاملات البشرية مالية وأسرية وغيرها، وهو أنّ الإسلام دين التوازن والوسطية فهو يدع إلى الإيمان بالله، وإلى إيقام الصلاة لأجل الروح، ثم هو ينظّم حياة الإنسان، فالسورة بأحكامها الكثيرة شملت الدنيا والآخرة. يقول د. وهبة الزحيلي: امتاز التشريع القرآني بالاعتدال والوسطية في كل شيء، عبادة ومعاملة دنيا وآخرة، واتّسم بالتوازن والواقعية، فنظر إلى الإنسان نظرة متكاملة، وأدرك أن طبيعته تقوم

[1]- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن: محمد الغزالي، ص 18.

على أمرين متلازمين: هما الجسد والروح، ولكل منهما نوازع وتطلعات، وحسنات وسيئات،ولا تكتمل سعادة الإنسان إلا بإيفاء الحقين معا كما تقضي به طبيعته وإحساساته ومشاعره[1].ومن الآيات ذات الصلة بالمعاملات المختلفة: -﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا .. ﴾. ( 168)-﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾.( 229) -﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾.(219).

**سابعا– الأهداف العامة للسورة**: يمكن إجمال الأهداف فيما يلي :

أولا: بناء العقيدة وتصحيح الفكر . ثانيا: تهذيب الأخلاق وتزكية النفس.

ثالثا: تطهير الروح وتصفية القلب. رابعا: الأدب مع الله والإحسان إلى الناس.

**1– بناء العقيدة وتصحيح الفكر**: نزل القرآن الكريم، وما من جنس من البشر إلاّ وقد ضلّ عن سبيل التوحيد، وساء في مجال التفكير حول قضايا العقائد، فمن عرب يعتقدون بأنّ الملائكة بنات الله تعالى، واتّخاذهم للأصنام واسطة بينهم وبين الله تعالى، إلى الفرس عبدة النار، إلى اليهود المعتقدين بأنّ عزيزا ابن الله، وأنّهم أبناء الله وأحبّاؤه، وأنّهم وإن عصوا فلن تمسّهم النار إلا أياما معدودات، كما ظهر في المدينة النفاق، وهو إبطان الكفر وإظهار الإسلام بالشهادة وأداء بعض العبادات الظاهرة﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ﴾(البقرة10 ). وعليه فمن أهداف القرآن عموما وسورة البقرة خصوصا– وهي أطول سورة وأوّل سورة تنزل في المدينة بعد الهجرة– أن تعالج موضوع العقيدة لتصحيح التصورات الخاطئة ، لتعدّ الفرد المسلم الذي يؤمن بربّه بصدق، ويرضى بأن يتلقىّ الأمر والنهي والتوجيه فقط من الله تعالى، والسورة من أوّلها إلى آخرها، بناء للعقيدة وتصحيح للفكر.ففي الابتداء:( الٓمٓ ): ألف. لام. ميم. والمؤمن يتلوها هكذا إيمانا بالله تعالى ورضاء بدينه، دون جدال ولا تردّد، حتى يتربّى على التسليم لله في كل شيء، وحتّ قصّة البقرة التي وردت فمن أهدافها بناء العقيدة السليمة للمؤمن وهو فعل الأمر بلا جدال، وأن لا يكون مثل بني إسرائيل الذين جادلوا وتردّدوا، فقست قلوبهم وغضب الله عليهم.وفي ختام سورة البقرة دعوة إلى السمع والطاعة لله تعالى:﴿ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ ﴾( البقرة 285). يقول الشيخ

[1]– القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية: د، وهيبة الزحيلي ، ص 63.

محمد الغزالي: إنّ السورة التي نزلت بعد الهجرة مباشرة والتي عاصرت بناء العلاقات بين أتباع الأديان المختلفة في الوقت الذي تنادي فيه بوحدة الدين عودة إلى تعاليم جميع المرسلين[1].وذكر ابن عاشور في تفسيره أنّ للقرآن أهدافا نزل لتحقيقها، ومن القرآن سورة البقرة، ومما ذكر من أهداف: إصلاح الاعتقاد، وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق[2].

وممّا تجدر الإشارة إليه، هو أنّ الآيات التي حوت الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وكناية تتمحور حول أهداف السورة.

## 2- تهذيب الأخلاق وتزكيّة النفس:

للأخلاق في الإسلام منزلة كبرى، فالله تعالى لا يرضى عن قوم صلّوا وصاموا ثم أساءوا الأخلاق.. إنّ الإسلام يدع إلى مكارم الأخلاق، ويسعى إلى بناء الفرد المسلم كريم الخلق زكيّ النفس، لأنّ المجتمع القويّ المنسجم المتحضّر يتكوّن من مجموع الأفراد، أصحاب الخلق الحسن. وابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) يذكر ( أنّه من أهم أهداف القرآن كله بما في ذلك سورة البقرة تهذيب الأخلاق)[3].

إنّ الحضارة الغربية الماديّة المعاصرة، تعاني من أزمات عدّة، نفسية وسلوكية، فردية وجماعية، سياسية واقتصادية وأمنية وغيرها.. ذلك أنها فقدت عنصر الخلق الحسن،أما المجتمع المسلم الأول- جيل الصحابة- الذي التزم بتعاليم القرآن الداعية إلى الخلق الحسن، فقد بنى حضارة متوازنة روحيا وماديا،ولقد فتحت له الدنيا(الفرس والروم..) ومن أهم الأسباب التزام المسلم بفضائل الأخلاق: البر، الصبر، الحلم الإيثار...ولذلك فموقف (الإسلام من الحضارة الغربية المادية موقف المصحّح لمسيرتها ، المنبّه لمخاطر اعتمادها على المادة وحدها، فهو يعتمد في بناء الحضارة على الروح والمادة معا، والأفكار البناءة الإصلاحية والأخلاق السوية الكريمة، والعقيدة الصحيحة فلا يفرط في أي جانب من هذه الجوانب، حتى لا تتعثر المسيرة الحضارية وتكفل دوامها وبقاءها لخير الإنسان، والجماعات البشرية كلّها، لأن العقيدة الإسلامية القائمة على الإيمان الحق بالله عز

---

[1]- نحو تفسير موضوعي لسورة القرآن: محمد الغزالي، ص 16.

[2]- تفسير التحرير والتنوير: ج1، ص 39.

[3]- المصدر نفسه: ج1 ،ص 39.

وجل منطلق كل خير وأساس كل تقدم، ولأن الأخلاق الفاضلة من إخلاص العمل وصدق في القول، وإتقان وحزم وعزم ووفاء ورحمة وتعاون قاعدة كل تحضر قويم[1].

والآيات التي نحن بصدد دراستها، حيث احتوت على صورة بيانية من تشبيه واستعارة وكناية، تتناول في بعد من أبعادها الأخلاق، تحذيرا من سيّئها أو ترغيبا في أحسنها.

### 3- تطهير الروح وتصفية القلب:

الإنسان روح وجسد، وإذا كان للجسد غذاء فللروح كذلك غذاء، وإذا كان الجسد قد يمرض، فالروح كذلك، والجسد المعلول يحتاج إلى أدوية، وكذا الروح حين تصاب بأمراض فلها أدويتها.والحقيقة أنّ الإنسان بروحه الطاهرة وقلبه الصافي، يبلغ إنسانيته، ويرتقي عند الله بدرجته، وتأمّل في قوله تعالى مخاطبا وآمرا الملائكة بالسجود لآدم تكريما: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة 34 ).وهاهو النبي عليه السلام بعد هجرته مباشرة يأمر ببناء المسجد، حيث تقام فيه الصلاة، وتتطهّر فيه الروح: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾( التوبة 108).وسورة البقرة فيها آيات كثيرة، تدع إلى إيقام الصلاة، والاهتمام بأمر المساجد، ذلك هو غذاء الروح، وذلك هو المطعم حيث غذاء القلب، وفي السورة دعوة إلى الصيام، وهدفه روحي باطني أيضا﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(183).وفي السورة دعوة إلى الحج والذكر والدعاء، وكل ذلك مما يختص بتصفية القلب وتطهير الروح. ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (199-200).

[1]- القرآن الكريم بنيته التشريعية ونصائحه الحضارية: د، وهبة الزحيلي ، ص 83.

وهكذا نجد القرآن يوازن بين جسد الإنسان وروحه،لأنّه أدرك أنّ(طبيعته تقوم على أمرين متلازمين: هما الجسد والروح، ولكل منهما نوازع وتطلعات،وحسنات وسيئات،ولا تكتمل سعادة الإنسان إلا بإيفاء الحقين معا كما تقضي به طبيعته وإحساساته ومشاعره)[1].

**4- الأدب مع الله والإحسان إلى الناس:**

هكذا الأدب مع الله وليس إليه، لأنّ مع تنبئ عن القرب والمصاحبة، وإلى تدلّ على الانتقال والبعد، والله قريب من المؤمن، والمؤمن قريب من الله.﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾(البقرة 186).

لقد أنزل القرآن الكريم، وأرسل محمد عليه السلام، ليتحقّق هذا الهدف، الأدب مع الله تعالى فالإيمان بالله واليوم الأخر والرسل والكتب، ثم القيام بالعبادات من صلاة وصوم وحج وذكر لله تعالى وتلاوة قرآن، كلّ ذلك يرجى من ورائه، تربية المسلم ليصل إلى الأدب مع الله في كلّ شيء، فكرا وقولا وفعلا.ولعلّه ولأجل هذا الهدف، وفي أطول سورة قرآنية، وأوّل سورة مدنية حيث يراد تأسيس حضارة إسلامية راقية، لا ظلم فيها ولا حزن، نجد الابتداء بالحروف المقطعة ( الٓمٓ ): ألف. لام. ميم. تعليما للمسلم الأدب مع الله تعالى في تلقّي الوحي، فهو يقرأ هكذا: ألف. لام. ميم..ثم له أدب مع كل أمر ومع كل نهي، ومع كل خبر.. وهذا هو الأدب الذي طلب من بني إسرائيل في قصّة البقرة.﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾، فيستجيبوا لربهم ويثقوا بنبيهم لكنّهم أساءوا الأدب، وجادلوا وسخروا فقست قلوبهم وكانوا ظالمين.وطلب منهم مرة أخرى أن يدخلوا الباب سجّدا ويقولوا:(حطّة) لكنّهم خالفوا وأساءوا الأدب، وقيل لهم قولوا: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ ﴾. فقالوا: «سمعنا وعصينا»، وقيل لهم(﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾) فخالفوا.. وقدّم لهم المنّ والسلوى، فملوّا وكرهوا وأساءوا الأدب. ولذلك فسورة البقرة توجّه المسلم إلى حسن الأدب مع الله تعالى. ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.( البقرة 285).ولقد طلب من

[1]- القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية: د، وهبة الزحيلي، ص63.

المؤمن الخشوع في الصلاة،وهو نهاية الأدب مع الله، ورسمت لهم حدود في الصّوم، فإن هم التزموها وأحسنوا الأدب مع الله فهم المتقون،ووضعت لهم أحكام في الحجّ، فإن هم اتّبعوها فقد أحسنوا الأدب مع الله،وتأمّل هنا في الحج، المسلم يقبّل الحجر الأسود،لأنّه رأى النبيّ عليه السلام يفعل ذلك.

وممّا لا شك فيه أنّه من أحسن الأدب مع الله تعالى، أحسن إلى النّاس، لأنّه يريد ثواب ربّه، وهل دعا الله في القرآن إلاّ إلى الإحسان إلى خلقه؟ بدءا بالوالدين إلى المخالفين في الرأي. ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾.(البقرة83 ).﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾ .(البقرة263). وإذا تحقّقت هذه الأهداف في معظم أبناء المجتمع، أوجدنا مجتمعا يشبه مجتمع الصحابة.﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾. ( الفتح 29). وعاش الناس حياة خالية من كلّ فتنة في النفس والمال وغير ذلك من أنواع الفتن.والحقيقة التي لا مراء فيها، أنّه قد وجد في زمن ماض، مجتمع كان المثل الأعلى اعتقادا وأخلاقا وتعاملا.

وممّا هو معلوم أنّ الله جل جلاله قد ( تكفل بحفظ القرآن الكريم من الضياع والتحريف والتبديل والعبث، صونا لحقائقه الكبرى، ورعاية للمصالح البشرية العامة والخاصة)[1].فالقرآن الكريم تكفّل الله بحفظه،فعلى كل جيل أن يبحث فيه لاستخراج المعاني ذات الصلة بهداية الإنسان،واكتشاف الحلول للقضايا الحادثة.

[1]– القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية: د، وهبة الزحيلي ، ص 152.

# الفصل الأول:

# الصورة البيانية في القرآن الكريم

# ( الشكل والمضمون)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفصل الأول: الصورة البيانية في القرآن الكريم (الشكل والمضمون):

إذا كانت معجزة الأنبياء السابقين حسيّة ماديّة، تنقطع وتنتهي بموت أو ذهاب النبي، فإنّ معجزة القرآن الكريم فكرية عقلية،لا تنقطع ولا تنتهي، تبقى ما بقي الإنسان على هذه الأرض معجزة معطاءة لكلّ ما يحتاج الإنسان من خير.

كذلك ستظلّ معجزة في الشكل والمضمون، لتكون لكلّ باحث عن الحقيقة الدليل إلى الإيمان بالله الواحد القدير الحكيم.

ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون لغة القرآن العربية، وهو سبحانه أعلم وهو أحكم، هذه اللغة ( هي المثل الأعلى في البيان وفي روعة التعبير وعظمة التصوير)[1].

لقد درس علماء الإسلام القرآن الكريم، كل على حسب علمه وطاقته، قديما وحديثا دراسة فقهية وأصولية وتشريعية.. علمية وكونية ولغوية، ومع هذه الدراسة لا تزال هذه الرسالة الربّانية معطاءة لكل جيل بمعان جديدة، كما لا تزال لغة القرآن مرنة، ذات قابلية لإعطاء دروس أخرى، في شتّ جوانب الحياة الإنسانية. يقول مصطفى صادق الرافعي: ولكنّه مع ذلك كتاب، أي كلام ومعان تتسع لكل الأزمنة، وتحتمل اختلافها الذي تختلف به، ثم هي تحدد هذا الاختلاف فترده إلى القانون الإنساني الأعلى الذي يسري فيه اليقين العام ليحفظ الإنسانية على أهلها، ومن تم تراه يجمع في نفسه الثبات الزمني، فلا يتغير ولا يتبدل على ما يمتد الزمن ويتغير،ثم يجمع إلى ذلك لكل جيل قوة التأويل في معانيه الحادثة الصحيحة، وقوة التكوين في آدابه الصالحة القوية كأنه ليس من زمن مضى، ولا كان لأمة سلفت، ولا هو لتاريخ وقع وانقطع، فإذا أنت تدبرت هذا واستدللت عليه بما أظهره هذا الجيل العلمي في القرآن مما وافق الحقائق الطبيعية والكونية والاجتماعية فلن يأتي لك من ذلك إلا معنى واحد تستخرجه وتقع به، وهو أن هذا الكتاب الكريم أثر غيبي كان في علم الله قبل كل الأزمنة فهو يحويها كلها وكأنه يوجد معها كلها، وبذلك يتعين أنه هداية إلهية في أسلوب إنساني يحمل في نفسه دليل إعجازه[2].

وصدق الله إذ يقول:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3]. نعم

---

[1] – الصورة الأدبية في القرآن الكريم: د، صلاح الدين عبد التواب، مكتبة لبنان، ناشرون، 1995، ط1، ص 02.

[2] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1426 هـ ، 2005 م، ص 13.

[3] – ص 29

إنّه مبارك له أثره الإيجابي النفسي والفكري والسلوكي، لمن تدبّر آياته ثم رام استنباط معانيه المختلفة.

هذه المعاني منها ما هو واضح ميسور الفهم، ومنها ما هو مستغلق وبعيد، يحتاج إلى تأويل وبعد نظر، كتلك الآيات التي حوت صورة بيانية ( تشبيه، استعارة، كناية...)، ذلك أنّ هذه الصورة تحتاج إلى تدقيق، ودراسة تحليلية لاستخراج ما أمكن من المعاني المختلفة، والتي لا تبدو لأول نظر وقليل فكر.

والحقيقة أنّ الدراسة البيانية للقرآن الكريم جمّة الفوائد، ومعروف لدى علماء البيان أنّ البيان يدرس التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من صور البيان، والتي يطلق عليها الصورة البيانية.يقول عبد الفتاح لاشين: أصول البيان أربعة : أصلان ذاتيان، وهما المجاز والكناية، وواحد وسيلة وهو التشبيه وواحد جزء من أصل وهو الاستعارة[1].و يقول عبد القاهر الجرجاني: ومن الدليل القاطع فيه ما بيناه في الكناية والاستعارة والتمثيل وشرحناه من أن من شأن هذه الأجناس أن توجب الحسن والمزية وأن المعاني تتصور من أجلها بالصور المختلفة[2].

وقبل البحث في الأبعاد، لا بدّ من الوقوف على حقيقة الصورة البيانية في القرآن الكريم في مباحث ثلاثة. مع التمهيد لذلك بتوضيح المقصود بعنوان البحث ( الأبعاد التربوية للصورة البيانية). أبيّن ذلك من خلال نقاط ثلاث:

أولا:الأبعاد التربوية:

أ- المقصود بالأبعاد:

* لغة: الأبعاد جمع بعد وهو ضد القرب. جاء في( أساس البلاغة): قلت قولا بعيدا. وما أبعده من الصواب.

- فلان بعيد الهمة وذو بعدة ( الذي يبتذل نفسه في الأسفار).

[1] - البيان في ضوء أساليب القرآن: د، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف ، القاهرة، ط2، 1985، ص 52.

[2] - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق د، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1424 هـ ، 2004م. ص331.

– باعدني وتباعد مني وابتعد وتبعّد ضد القرب)[1].

فمعنى بعد إذن ضد قرب.

وقد وردت لفظة البعد ضد القرب في القرآن الكريم في مواضع شتّى بألفاظ متعدّدة:

-بلفظ بعيد:قال تعالى:﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾.(البقرة176).

بعيد:واسع غير قريب[2].كما ذكرت بنفس المعنى في:﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ ( هود83، 89)،﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾( إبراهيم 03)،﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾( الأنبياء 109)، ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾(الحج 53)، ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾( الفرقان 12).

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾( النمل 22). ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾( سبأ 52-53)، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ ( فصلت 44)، ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾. ( فصلت 52)،﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾( الشورى 18).

[1] – أساس البلاغة:أ بو القاسم بن عمر الزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1،1426هـ/2006م ، ص44.

[2] – معجم ألفاظ القرآن: مجمع اللغة العربية، مصر ، 1409هـ/1979م، ج1، ص 148.

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾(ق3)، ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴾(ق27)﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾.(ق31).

-بلفظ بعيدا:قال تعالى: ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾( آل عمران 30)، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(النساء 60)،﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(النساء 116 ).﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(النساء 136 )،﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾( النساء 167). ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴾(المعارج 06).

-بلفظ البعيد: قال تعالى: ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾( الحج 12).﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾( سبأ 08).

وجاء في (مختار الصحاح): بعد: البعد ضد القرب، وقد بعد بالضم بعدا فهو بعيد.

فالأبعاد لغة جمع بعد وهو عكس قرب.

*اصطلاحا: المقصود بالأبعاد أي المعاني البعيدة التي يرمي النص إليها، فالتشبيه حين يستعمل له معان قريبة بيّنة كتحسين المشبه أو تقبيحه، ولكن عند التأمل والتحليل تجد للتشبيه معان بعيدة لها علاقة بتصحيح الاعتقاد وتزكية النفس وتقويم السلوك. يقول د. أحمد رحماني: إن تحديد أبعاد النص القرآني أمر أساسي في تمكين التفسير من بلوغ الهدف الأسمى الذي ينشده وهو

تغيير جوهر الإنسان، تغيير الضمير دائما نحو الأحسن والأكمل، وهذا التحديد هو الذي يجعل الآية تؤثّر في سامعها كأنما أنزلت لتوها، ذلك لأن تحديد البعد هو الذي يجعل التفسير يمس الحياة والفكر والوجدان والسلوك مما يؤدي للتجديد[1].ويقول د. محمد تحرشي: وقد جاء هذا النص حاملا لأبعاد دينية عقائدية، وفي الوقت ذاته حاملا قيمة جمالية لغوية تؤكد الإعجاز[2].

فالمقصود إذن بالأبعاد أي المعاني البعيدة التي استخدمت الصورة البيانية من أجل الوصول إليها، هذه المعاني البعيدة ذات الصلة بتربية الإنسان فكريا ونفسيا وسلوكيا. لذلك لا بد من توضيح معنى التربوية.

ب-المقصود بالتربوية:

مصطلح التربوية يتّصل بالشخصية الإنسانية، فالشخصية كما يرى د. محمد البوزيري: يمكن تقسيمها إجرائيا إلى ثلاثة أبعاد: البعد العقلي( المعرفي) البعد العاطفي (الوجداني)، البعد الجسمي( الحسي)[3].

فالأبعاد التربوية أي المعاني البعيدة التي يرمي إليها النص القرآني تشمل الجانب الفكري والجانب النفسي، والجانب السلوكي للفرد.

ومصطلح التربوية له علاقة بالتربية ولفظة التربية كما جاء في (مختار الصحاح): رباه تربية أي غذّاه وهذا لكل ما ينمّى كالولد والزرع وغيره[4].فالتربية لغة من غذّاه حتى ينمو ويكبر.

ولا شك أنّ تربية الإنسان فكريّا ونفسيّا وسلوكيّا تهدف إلى تغذية الإنسان بالمعاني القرآنية لينمو عقله، ويصير كبير العقل يميّز بين الخير والشر، والخطأ والصواب، والحق والباطل. ثمّ تزكوا نفسه حيث تتغذّى بمعاني الخير فتكبر النفس وتتعالى عن الشر. فينتج عن ذلك السلوك القويم.

---

[1] – التفسير الموضوعي نظريا وتطبيقا: د، أحمد حماني، منشورات جامعة باتنة، ص 91.

[2] – النقد والإعجاز: د، محمد تحريشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004 ، ص05.

[3] – مكونات العملية التعلمية في الفكر التربوي الإسلامي: د، محمد البوزيري ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب، ص 28.

[4] – مختار الصحاح:الإمام محمد بن أبي بكر الرازي،دار المعرفة، بيروت،ط1،1426ه-2005م،ص216.

الخلاصة أنّ معنى" الأبعاد التربوية" أي المعاني البعيدة التي يحملها النص القرآني بما في ذلك الصورة البيانية ذات الصلة بتربية الإنسان فكريا ونفسيا وسلوكيا.

ثانيا: الصورة البيانية:

أ- معنى الصورة: أورد القرآن الكريم مصطلح الصورة كمصدر وبألفاظ مشتقة في مواضيع شتى: قال تعالى: ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[1]. صورة هنا بمعنى:( شكل وتمثال مجسم)[2].

- صوركم:قال تعالى: ﴿ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3]. أي: صوركم وجعل لكم صورا مجسمة[4].

- صوّرناكم:﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾( الأعراف 11).

- المصوّر: من أسمائه تعالى، والمراد خالق الصور على ما يريد. ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (الحشر 24).

والصورة هنا لها علاقة بخلق الإنسان، فالله تعالى أعطى للإنسان صورة معينة، ولئن كان المعنى المتبادر للذهن هو أنّ المقصود بالصورة ههنا الجانب المادي من الإنسان( الجسد) فإنّه عند التأمل نجد أنّ الإنسان له صورتان: صورة الظاهر وصورة الباطن، والله تعالى صور الإنسان كيف شاء حسيا وله في كل ذلك حكمة ودليل علم وقدرة. أمّا صورة الباطن فإنما تحسّنها وتجمّلها معاني القرآن الكريم وإلا فصورة الباطن قبيحة بالشرك. إنّ الله تعالى صوّر الإنسان فأحسن تصويره، والإنسان جسد وروح..شكل ومضمون..ظاهر وباطن.. وقد دعا الله تعالى إلى تحسين

[1] - الانفطار 08.

[2] - معجم ألفاظ القرآن: مجمع اللغة العربية، مصر، ج1، ص687.

[3] - غافر64.

[4] - معجم ألفاظ القرآن: مجمع اللغة العربية، مصر، ج1، ص687.

صورة الإنسان في روحه ومضمونه وباطنه من خلال وحيه القرآن الكريم ولغة القرآن العربية، ومن العربية الصورة البيانية( التشبيه- المجاز- الكناية..)، والصورة البيانية شكل ومضمون. وإذا كنّا لا ننظر إلى الإنسان إلى صورته الظاهرة فحسب، بل تنظر إلى صورته الباطنة من حيث خيرها وشرها. فالصورة البيانية قيمتها فيما تحمل من معان وأبعاد.يقول د. محمد العمري: تعني الصورة في هذا الأفق كل ما يترتّب عن التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية[1].

فالقرآن الكريم يستخدم الصورة البيانية لتقديم معنى له علاقة بتربية الإنسان فكريا ونفسيا وسلوكيا، بمعنى أنّ القرآن الكريم لا يقدّم المعنى مجرّدا وإنما يصوّره تصويرا، أي يقدمه عبر صورة ما(تشبيه- مجاز-كناية..).يقول سيد قطب: إنّ القرآن يرسم صورا ويعرض مشاهد فينبغي أن نقول: إنّ هذه المشاهد وتلك الصور، يتوافر لها أدق مظاهر التناسق الفني في ماء الصورة، وجو المشهد وتقسيم الأجزاء وتوزيعها في الرقعة المعروضة[2]. ويقول: فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية[3].

فالقرآن إذن يصوّر المعنى تصويرا حسّيا حتى يمكن تصوّره ذهنيا والتأثر به نفسيا، وذلك عبر الصورة البيانية.

**ب-** معنى البيانية: نسبة إلى البيان.

*البيان لغة: جاء في (مختار الصحاح):

- البيان: الفصاحة( فلان أبين من فلان أفصح منه). -البيان: ما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها.

-بان الشيء: بان بيانا: اتضح.

-أبنته أنا: أوضحته.

---

[1] - البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول: د، محمد العمري, أفريقيا الشرق، المغرب، ص205.

[2] - التصوير الفني في القرآن: سيد القطب، ص114.

[3] - المرجع نفسه: ص36.

-استبان الشيء: ظهر.تبيّن الشيء: ظهر. التبيّن: الإيضاح وكذا الوضوح[1].

فالبيان معناه الوضوح والظهور.

وجاء في (أساس البلاغة):

- بان الشيء وتبين، وأبان واستبان، وبينته وأبنته.
- جاء ببيان ذلك وببيّنته أي بحجته.
- رجل بيّن: فصيح ذو بيان.
- تبيّن في أمرك: تثبّت[2].

فلفظة البيان ترجع إلى: الوضوح، الحجة، الفصاحة، التبين والتثبت.وقد استعمل القرآن الكريم لفظة: البيان" كمصدر وكمشتق:

- بيان (كمصدر) بمعنى إيضاح:﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾. (آل عمران138).
- البيان: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾. (الرحمن 04).

يقول الشيخ محمد الغزالي تعليقا على هذا الآية:﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ ومن خصائص الجنس البشري نعمة البيان ونقل المعنى إلى الآخرين بألسنة شتى، ثم بين جل شأنه أن الكون محكوم بسنن ضابطة، وأن الكواكب لا تتجول في الفضاء كما يحلو لها إن لها مسارا مرسوما وسرعة محددة وعليها إشراف دقيق.وكذلك ما ينمو على الأرض من زرع له ساق مرتفعة أو له ساق تمتد على الثرى، كلا منها خاضع لنظام محكم . وقد يظهر الفساد في البر والبحر بسبب فوضى الناس! وقد يقع ثقب في طبقة ( الأوزون) بسبب الإسراف والطغيان، بيد أن قياد الكون لن يضطرب في يد

[1] – مختار الصحاح:الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، ص79.

[2] – أساس البلاغة:الزمخشري، ص 58.

خالقه! ولن يختل التوازن العام في قوانين المادة إلى أن يأذن الله بفناء العالم وإعادة الخلق بعد بدئه وإفنائه[1].

استنتاج:

الكون لا يضطرب لأنّ له سنن وقوانين تحكمه وتنظم سيره.وكذا الإنسان له سنن وقوانين تضبط حياته..فلا يقع الاضطراب النفسي والاجتماعي. والصورة البيانية( تشبيه- مجاز - كناية...) تحتوي على معان ترتبط بالتربية الفكرية والنفسية والسلوكية( الفردية والجماعية) هذه المعاني تمثّل القوانين والسنن التي تضبط حركة التفكير الصحيح، وتعمّق معاني الخير والفضيلة في النفس، وتضبط السلوك القويم للإنسان.. وبقدر الجهل بهذه القوانين والسنن أو الانحراف عنها يكون الفساد والهلاك.

- بيان (كمشتق) بمعنى الإظهار والإيضاح:

- بيّنا: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(البقرة 118).﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(آل عمران 118).﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(الحديد17).

- بيّناه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾.(البقرة159).

-بيّنوا:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة160).

-لأبيّن: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.(الزخرف63).

[1] - نحو تفسير موضوعي لسور القرآن: محمد الغزالي، ص 422.

-لتبيّن:﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.(النحل44).

-لتبيّننّه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾.(آل عمران 187).

-نبيّن: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾.(المائدة75).

-لنبيّنه:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾. (الأنعام 105).

-بيّن:﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾(الأنعام 105).

- ليبيّننّ: ﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (النحل92).

- يبيّنها: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾. ( البقرة230).

- .بمعنى التثبت والتأمل:

- فتبيّنوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾( النساء 94). ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾( الحجرات06).

- بيانه: .بمعنى الشرح والإيضاح:قال تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾(القيامة19).

وخلاصة معنى البيان في القرآن الكر يم: الإيضاح والتثبت والمنطق الفصيح.

ج- **الصورة البيانية في مفهوم الدراسة:**

ممّا لاشك فيه أنّ البيان في اصطلاح البلاغيين يطلق على التشبيه والمجاز والكناية ونحو ذلك. فأصول البيان أربعة ( أصلان ذاتيان، وهما المجاز والكناية، وواحد وسيلة وهو التشبيه وواحد جزء من أصل وهو الاستعارة[1].يقول عبد القاهر الجرجاني: ومن الدليل القاطع فيه ما بيناه في الكناية والاستعارة والتمثيل وشرحناه من أن من شأن هذه الأجناس أن توجب الحسن والمزية وأن المعاني تتصور من أجلها بالصور المختلفة [2].

فالمعاني والحقائق القرآنية تقدّم من خلال صور شتّى صورة تشبيه أو مجاز أو كناية وغير ذلك، على أنّ هذا الاستخدام لهذه الصور غرضه ليس مجرد بيان وتوضيح للمعاني، بل الهدف أبعد من ذلك، إنّه التأثير في النفس لتقبل على الخير.

إنّ البيان( وسيلة تصويرية توضح المراد من المعنى، في أشكال تصويرية مختلفة..ولقد تعددت ألوان البيان، من تشبيه وتمثيل واستعارة وكناية ومجاز..ولكن هذا التعدد المدرسي.. يقف عند حدود أطراف البيان، بحيث تقف الصورة ساكنة.. قد يلفها الغموض أحيانا أو الوضوح

[1] – البيان في ضوء أساليب القرآن: د، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف ، القاهرة، ط2، 1985، ص 52.

[2] – دلائل الإعجاز:عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق د، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ، بيروت، ط1،1424 هـ-2004م. ص331.

السطحي أحيانا أخرى، وقد يكتنفها التعقيد في نواح أخرى.. أما الصورة البيانية في القرآن فهي عالم بأكمله..زاخر بالمعاني والأخيلة والوجدان، والمشاعر النفسية، تتحرك الصورة البيانية في أداء تغييري معجز، تردفها الحركة، واللون، والصوت، والصورة في تظافر تام)[1].

فقيمة الصورة البيانية تبرز من خلال الأثر الذي تتركه في عقلية ونفسية المتلقي لأنّ (مقياس الجودة الأدبية هو مدى تأثير الصورة البيانية في نفوس متذوقيها، بما جمعت في إطارها من سمو المعاني وبلاغة الألفاظ، وروعة التناسق، ودقة النظم، وحسن إيقاع الكلام)[2]. فالصورة البيانية في القرآن الكريم لها أبعاد تربوية، تتعلّق بتوجيه الإنسان فكريا ونفسيا وسلوكيا، بما يؤدّي في النهاية إلى إيجاد الإنسان المسلم الذي يستخلف الله تعالى في أرضه، ويعمر هذه الأرض بالخيرات، ويستعدّ إلى لقاء ربّه يوم القيامة بحسن أداء الواجبات.

ثالثا-الأبعاد التربوية للصورة البيانية في القرآن:

أشير في البداية إلى أنّ ثمّة ارتباط بين أهداف السورة القرآنية وبين أبعاد الصورة البيانية المستخدمة في السورة.. ذلك أنّ أهداف السورة العامة أو الجزئية التفصيلية واضحة قريبة من ذهن القارئ أو الدارس إلى حدّ ما، بينما أبعاد الصورة البيانية فمنها ما هو واضح قريب ومنها ما هو بعيد يحتاج إلى مزيد تأمّل وبحث، على أنّ ثمة ارتباط وثيق بينهما، فلأجل أهداف السورة يستخدم التشبيه أو المجاز أو الكناية ونحو ذلك، أو أنّ استعمال الصورة البيانية لأجل توضيح وتقريب المعاني لتحقيق أهداف السورة القرآنية.

وقد تحدّث الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره عن أهداف القرآن حيث يقول:إنّ القرآن أنزله الله تعالى كتابا بالصلاح لأمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم.. فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية. فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد لأنّ الاعتقاد مصدر الأدب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، و الباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر، وأما الصلاح الجماعي فيصلح أولا من الصلاح الفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه

[1] – من جماليات التصوير في القرآن: د،محمد قطب عبد العال، الهيئة العصرية العامة للكتاب،ط2، 2006م، ص41.

[2] – الصورة الأدبية في القرآن:د، صلاح الدين عبد التواب، ص36.

يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواكبة القوى النفسانية وهذا هو علم المعاملات، ويعبر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية. وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع ورعي المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع..والمقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيينها ثمانية أمور:

1- إصلاح الاعتقاد. 2 - تهذيب الأخلاق. 3- التشريع وهو الأحكام العامة والخاصة.

4- سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها. 5- القصص وأخبار الأمم السابقة للتأسي بصالح أحولهم. 6- التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار. 7- المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد. 8- الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول، إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه ومتحدى لأجله بمعناه[1].

إنّ القرآن الكريم وهو يستخدم الصورة البيانية من تشبيه ومجاز وكناية ونحو ذلك، إنما يهدف من وراء ذلك تربية الإنسان فكريا ونفسيا وسلوكيا.. فرديا وجماعيا.. والمعنى أنّ الصورة البيانية لا تتعلّق بشكل النّص القرآني فحسب، بل تتعلّق أيضا بمضمونه. يقول د. محمد تحريشي: وقد جاء هذا النص حاملا لأبعاد دينية عقائدية، وفي الوقت ذاته حاملا قيمة جمالية لغوية تؤكد الإعجاز[2].

فالنّص القرآني إذن بما فيه الصورة البيانية، يحمل أبعادا دينية أي أبعادا تربوية، و الدين في أساسه ومضمونه تربية للإنسان فكريا ونفسيا وسلوكيا.. فيكون الإنسان صحيح الاعتقاد ( التوحيد)، زكي النفس، حسن الخلق، مستقيم السلوك بأداء الواجبات وصون الحقوق والوقوف عند الحدود. خد مثلا التشبيه وهو وارد في القرآن الكريم بكثرة، ومن ذلك وروده في سورة البقرة، في مواضع شتّ من السورة ( المقدمة- الوسط- الخاتمة)، واستخدم في جوانب متعددة الجانب العقائدي والأخلاقي و الاقتصادي والعسكري وغير ذلك من الجوانب- وسنفصّل ونوضّح

[1] - التحرير والتنوير: ج1، ص 39.

[2] - النقد والإعجاز: د، محمد تحريشي، ص05.

ذلك في الفصل الثاني من البحث عند الحديث عن الأبعاد التربوية للتشبيه- استخدم على نحو يحقّق تكوين الفرد المسلم ليصبح صحيح العقيدة ..زكيّ النفس ..مستقيم السلوك. يقول د.رابح دوب: ولعلّ الشيء الذي يستوقف الدارس في تشبيهات القرآن الكريم هو غورها في أعماق النفس الإنسانية وصبرها لمظاهر الكون والطبيعة واستقطابها لملامح الحس والإدراك البصري والسمعي وسبك ذلك كله في صياغة موحدة تنظر إلى هداية الإنسان وتهيئة ذهنه بما يحس أمامه وبين يديه وما يدركه وعيه في حياته العامة[1]. فانظر إلى قوله" تنظر إلى هداية الإنسان"، فالصورة البيانية إذن ذات أبعاد تربوية تتعلق بهداية الإنسان.

وقد شدّد الإمام الزمخشري في مقدمة تفسيره (الكشاف) على ضرورة معرفة علم البيان وذلك لإدراك حقائق القرآن، هذه الحقائق التي بها تكون هداية الإنسان فكريا ونفسيا وسلوكيا.يقول الإمام الزمخشري: لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان[2].

وأوضح ابن عاشور في( التحرير والتنوير) أنّ مقاصد القرآن الكريم تعرف من خلال لغة القرآن الكريم، ومن هذه اللغة الصورة البيانية.يقول: فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطابا بينا تعبدنا بمعرفة مراده والإطلاع عليه[3].ويقول محمد رشيد رضا: التفسير له وجوه شتّى (أحدها): النظر في أساليب الكتاب ومعانيه وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة ليعرف به علوّ الكلام وامتيازه على غيره من القول[4].

فمقاصد الدين مودعة في ألفاظ القرآن الكريم، أي في لغة القرآن الكريم ومنها الصورة البيانية( التشبيه- المجاز- كناية ونحو ذلك). و إذا كانت مقاصد القرآن تتعلّق بهداية الإنسان وتربيّته، فإنّ استخدام الصورة البيانية غرضه استخلاص واكتشاف معاني الهداية، المعاني التي

---

[1] - خصائص التشبيه في القرآن الكريم: د، رابح دوب، مجلة العلوم الإسلامية: دورية تصدرها جامعة الأمير عبد القادر، للعلوم الإسلامية 1412هـ/1992م، العدد 03، ص 57.

[2] - الكشاف: الزمخشري،ج1، ص 16.

[3] - التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص39.

[4] - تفسير القرآن الحكيم(المنار): محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط2،م1، ص 7.

تصحّح الاعتقاد، وتزكيّ النفس،و تقوّم السلوك الفردي والجماعي. فيتكوّن الفرد المسلم الصالح ثمّ المجتمع المسلم المتحاب الآمن، ثمّ الدولة المسلمة العادلة القويّة، ثمّ الإنسانية المتآخية المتعاونة.

وخلاصة القول أنّ المقصود بالأبعاد التربوية للصورة البيانية هو استخلاص المعاني التي تتضمّنها صور البيان( تشبيه- مجاز- كناية..) لتكوين شخصية المسلم( اعتقاديا، نفسيا، وسلوكيا) ليحسن خلافة الله في الأرض، وعمارتها بالخير.

## المبحث الأول: الصورة البيانية بين اللفظ والمعنى:

أوضحت من قبل أن الصورة البيانية تطلق على التشبيه والمجاز والكناية ونحو ذلك، وههنا سؤال يجب طرحه والإجابة عليه وهو: هل جمال وحسن الصورة البيانية يرجع إلى اللفظ أم إلى المعنى الذي حوته هذه الصورة البيانية أم إلى شيء آخر؟

لقد ظهر بين علماء البلاغة والأدب، والمتكلمين في إعجاز القرآن اختلاف كبير، فمنهم من اعتبر أنّ البلاغة تكمن في شكل النص، بحسن اختيار الألفاظ والأساليب والصور البيانية ومنهم من رأى أنّ البلاغة والحسن يرجع إلى المعنى الجليل،ولست هنا بصدد البحث في هذا الخلاف فكتب النقد كثيرة قد تناولت هذا الموضوع، ولكني أختار ما يخدم الموضوع، وهو البحث في أبعاد الصورة البيانية في القرآن الكريم ( سورة البقرة)، وعليه أبحث أوّلا في هذه الصورة البيانية، أحسنها وجمالها- وقد استعملت في القرآن الكريم- يرجع إلى المعنى أم إلى الشكل واللفظ؟ الحقيقة التي لا مراء فيها هي أنّ النّص القرآني من حيث اللغة، أجمل وأحسن في اللفظ والمعنى معا، أي في النظم والتركيب، مثل ذلك كمثل المجرى المائي في مكان جميل، الماء يجري وينساب في مجرى حسن تحيط به النباتات الخضراء، والأزهار الجميلة، فتنجذب إليه، ثمّ تأخذ من الماء الجاري فتشرب فإذا هو عذب المذاق، يروي من الظمأ، مع الرغبة في الاستزادة، فتقول في نفسك، أيّهما أحسن وأجمل الماء الذي يجري في هذا المكان وهو عذب، أم المكان الرائع أعطى لهذا الماء مذاقا حلوا وزاده لذّة.

إنّ الذين ذهبوا إلى أنّ جمال الصورة البيانية يرجع إلى اللفظ والمعنى(الشكل والمضمون) معا على صواب، هذا التداخل والتمازج بين اللفظ والمعنى، أطلق عليه اسم النظم، ولذلك فعبد القاهر الجرجاني يرى ( أن العنصر الأصيل و الأهم في هذه الصورة هو عنصر النظم، هو التصرف في التراكيب تصرفا حاذقا ماهرا، يجعلها تستحق اسم الصورة، بحيث تعلن عن روعة

الصفة)[1]. يقول عبد القاهر الجرجاني: واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك، علمت علما لا يعتريه الشك أن لا نظم في الكلام، ولا ترتيب، حتى يتعلق بعضها بعض، ويبني بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس[2].

إنّ مما لا شك فيه أنّ لغة القرآن بجمالها وروعة شكلها ومضمونها، هو ما جعل الدارسين للقرآن الكريم دراسة لغوية ( نحوا وبلاغة) يزدادون جيلا بعد جيل، ولا تزال الرغبة في ازدياد للوقوف على أسرار البيان القرآني، فروعة البيان القرآني تكمن في الشكل والمضمون معا. يقول د. حسين جمعة: فالجمال في شكل القرآن ومضمونه أعجز أرباب البيان والفصاحة بما يتسم به من بهاء وصفاء وتناسق وتناغم وانسجام ودقة ووضوح... فأخذ بألبابهم لذة ومتعة وتفكيرا[3].ثمّ يقول :النص القرآني لم يكن في يوم تحفة أثرية مكانها متحف التاريخ، فهو بلغته الرائعة وأساليبه البلاغية، وعناصره الفنية الجمالية، وقضاياه الفكرية المثيرة الموحية.. يرتفع فوق أن يكون نصا إشاريا أو نصّا تاريخيا ينحصر في زمن ما، أو مكان ما[4].

فالصورة البيانية القرآنية، شكل جميل رائع، ومعنى عميق راق، فالدارس للقرآن الكريم دراسة بيانية، عليه أن يقف عند ذا وذاك، ليكتشف بنفسه ولنفسه حقيقة الإعجاز البياني في القرآن. يقول د.محمد تحريشي: شكّل النص القرآني قيمة جمالية عند الملتقي منذ بداية نزوله خاصة وأنه تحدى البشر في أن يأتوا بمثله، وقد جاء هذا النص حاملا لأبعاد دينية عقائدية، وفي الوقت ذاته حاملا قيمة جمالية لغوية تؤكد الإعجاز فاجأت العرب[5].

إذن فالصورة البيانية (التشبيه- المجاز- الكناية..) لفظ دقيق، حامل لمعنى هام وسام، فللصورة البيانية في القرآن الكريم قيمة جمالية شكلية، وقيمة تربوية في المضمون. يقول د. محمد بركات حمدي: ومما تقدم نلاحظ أن النقاد العرب، قد اختاروا مصطلح ( الصورة) مراعين في فهمه مفردات من التشكيل البلاغي والمصطلح ( الصورة) مراعين في فهمه ومجاز وتشبيه

---

[1]-الصورة الأدبية في القرآن: د، صلاح الدين عبد التواب، ص 23.

[2] -دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 83.

[3]- التقابل الجمالي في النص القرآني: د، حسين جمعة ، منشورات دار النمير، دمشق، ط1، 2005 م، ص 104.

[4]- المرجع نفسه: ص 104.

[5]- النقد والإعجاز: د، محمد تحريشي ، ص 05.

واستعارة وكناية مع عدم إغفال للخصائص الذاتية لكل منها، ولذلك فالعلاقة بين المصطلح ووظيفته هي العلاقة بين الشكل والمضمون في إطار مفهوم الصورة[1].

إذن لا يمكن فصل اللفظ عن المعنى، أو المعنى عن اللفظ، عند دراسة الصورة البيانية خاصة في القرآن الكريم،لئنّ(القرآن إنّما صار معجزا لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أحسن المعاني)[2]. وإذا( كان النقاد يفصلون اللفظ عن المعنى، أو المعنى عن اللفظ في دراستهم، فإن ذلك لا يعني أنهما منفصلان في وجودهما الخارجي، بمعنى أن لكل واحد منهما وجودا مستقلا عن الآخر، ولكنهم اضطروا إلى ذلك الفصل لغايات تعليمية)[3].

وإذا كان قديما هناك من رأى بضرورة التناسب والتطابق بين اللفظ والمعنى- شكل الصورة البيانية ومضمونها- كعبد القاهر الجرجاني، ففي العصر الحديث هناك أنصار لهذا الرأي. جاء في كتاب( فصول في البلاغة): ومن هنا كان فن الأدب عند المشتغلين بالبلاغة والنقد في العصر الحديث يقوم على دعامتين هما: فكرة الأدب وصورته، وهما سر ما فيه من عظمة وجمال غير أن هذه العظمة وذلك الجمال، لا يتعاون موضعهما ولا يحدثان أثرهما إلا إذا انضمت إليهما دعامة ثالثة، وتلك الدعامة هي المطابقة والتناسب بين الصياغة والمضمون[4].

وخلاصة القول أنّ الصورة البيانية في القرآن لفظ ومعنى، شكل ومضمون.

**المبحث الثاني: من خصائص ومميزات الصورة البيانية في القرآن.**

صحيح أنّ القرآن الكريم يهدف إلى تربية الإنسان فكريا ونفسيا وسلوكيا، بما يمكّنه من نيل رضوان الله تعالى، والفلاح في الآخرة، وما الأوامر والنواهي والأحكام المختلفة الواردة فيه إلا لتحقيق هذه المقاصد، بما يعني أنّ القرآن نصّ ديني فحسب. لكنّ الحقيقة هو أنّ القرآن الكريم ( يجمع بين الهدف الديني والمطلب الفني من حيث الجمال في العرض، والتنسيق في الأداء،والتأثير في النفس، مما يستثير كوامن الوجدان، فتنفتح النفس استعدادا لتلقي المطلب الديني في صفاء وجمال

[1] – فصول في البلاغة: د، محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر ، عمان، ط1، 1403 هـ، 1983م. ص 203.

[2] – بيان إعجاز القرآن: الإمام أبو سليمان محمد بن أحمد بن إبراهيم الخطابي( ت 388هـ)، شرح وتعليق: عبد الله الصديق، دار الفكر بيروت،ط1، 1372هـ، ص 29.

[3] – فصول في البلاغة: د، محمد بركات حمدي أبو علي ، ص 287.

[4] – المرجع نفسه: ص 287.

وجلال)[1]. ولذلك فالقرآن الكريم يستعمل أساليب بلاغية شتّى، وصورا بيانية متنوّعة، هذه الصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية ونحو ذلك ذات خصائص ومميزات، تجعلها تحقّق المقاصد الدينية والجمالية معا. ومن هذه الخصائص والمميزات:

## 1- كلّية الصورة:

من الحروف إلى المفردات إلى الأسلوب، كذا الفاصلة، فأسلوب القرآن( يتعدى ذلك كله إلى كلية الصورة التي يردفها الجرس اللفظي، والتآلف الصوتي، والتطريب النغمي وموسيقي السياق كله.. فضلا عن إثارة مجالات الحس والذهن.. عبر ظلال من متممات الصورة كالتلوين بتماثله وتضاده.. والحركة في علوها وانخفاضها، وصخبها وسكونها، والصوت المنبعث من الحروف اللفظية، أو من حوار الشخصية، أو من هدوء النغم، أو ارتفاعه)[2].

فكلّ جزء من أجزاء الصورة يتناسب مع الآخر، ومع ما قبله وما بعده، وحينها (يلتقي تناسق الجرس الموسيقي، مع حركة العمل الصوتية، بتناسق الصور بجزئياتها المتناسبة)[3].فيحصل حسن التأليف، ويحصل تحقيق الغرض الديني والغرض الفني معا. ولعلّ هذا ما يطلق عليه عبد القاهر الجرجاني اسم النظم في النص القرآني ، مهما كان الأسلوب المستعمل. ولذلك فورود التشبيه أو الاستعارة في أي موقع في القرآن، فلأنّ المقام تطلّبه، وكلّ جزئية في الصورة يقتضيها المقام. يقول عبد القاهر الجرجاني: واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك، علمت علما لا يعتريه الشك أن لا نظم في الكلام، ولا ترتيب، حتى يتعلق بعضها بعض، ويبني بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك.[4].

فالصورة البيانية القرآنية قد اختيرت أجزاؤها، فلا زيادة ولا نقصان.يقول الرافعي: فلابد في مثل نظم القرآن من اختيار معاني الجمل وانتزاع جملة ما يلائمها من ألفاظ اللغة، بحيث لا تند لفظة، ولا تختلف كلمة، ثم استعمال أمسّها بالمعنى، وأفصحها في الدلالة عليه، وأبلغها في التصوير[5]. ومن أمثلة ذلك:

---

[1]- من جماليات التصوير في القرآن الكريم: د،محمد قطب عبد العال، ص 07.

[2]-المرجع السابق: ص 56.

[3]- الصورة الأدبية في القرآن الكريم: د، صلاح الدين عبد التواب، ص 117 .

[4] -دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ،ص 83.

[5]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، ص 185.

قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾[1].

المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾، والنادي هو مكان اجتماع سادة قريش وكبرائها، فذكر النادي وأراد الذين يجتمعون في النادي ويحلّون فيه، فالعلاقة المحلية.

جاء في سبب نزول هذه الآيات، كما ذكر البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ أبا جهل قال:﴿ لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأنّ على عنقه ﴾ فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم

فقال لو فعله لأخذته الملائكة[2].

حسب سبب النزول، فإنّ أبا جهل وهو عم الرسول عليه السلام، هو المعني بقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾[3]. وقوله تعالى:﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ .عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾[4]. ثمّ قوله تعالى:﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾. بمعنى أنّ أكثر السورة نزل في أبي جهل، الذي يمثّل واحدا من مئات أو آلاف الكبراء الكفرة الذين حاربوا دعوة الإسلام.

لقد استعمل الله تعالى المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾، وذلك كرد على تهديد أبي جهل للنبي عليه السلام.وإذا كان (المجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متّصفا بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع)[5] فلا بدّ أن يكون لإيثار المجاز على الحقيقة هنا أسرار وأبعاد، ما كانت لتتحقق بدونه. ومن هذه الأسرار والأبعاد التربوية:

- قوله تعالى:﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾، والنادي هو المكان الذي فيه يجتمع سادة قريش وكبرائها، حيث يلتقي أبو جهل مع أصحابه وأنصاره. لم يقل الله تعالى لمحمد عليه السلام " فليدع

---

[1] - العلق (19/18).

[2] - صحيح البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، عالم الكتب، بيروت ،ج6، ص 303.

[3] - العلق ( 6|7 ).

[4] - العلق ( 9 | 10 ).

[5] - جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1424هـ/2003م، ص 249.

أصحابه" بل قال" ناديه" نعم، هو يريد أهل النادي، فما السر؟ وإلى أي شيء يرمي باستعمال هذا المجاز؟ إنّ التحدي بطلب إحضار النادي يكون أعظم، وكأنّ الله تعالى يقول لمحمد عليه السلام قل لأبي جهل، إن كان في إمكانك أن تحمل النادي بمن فيه، لتسقطه عليّ، وتألّب من فيه ضدي فافعل، فأنت مغلوب ومهزوم.. فهو وإن فعل ذلك مهزوم فكيف وهو لا يقدر على ذلك فمن باب أولى أن يكون منهزما ومغلوبا بدعوة أنصاره.

-كذلك استعمال كلمة " النادي" مع إرادة الذين يجتمعون فيه، تحمل معنى الكل والجميع بمعنى أحضر كل من في النادي، مهما كان عددهم فأنت مهزوم، فهذا أشد في التحدي وأعظم من القول، ادع أصحابك، فربما كان الأنصار قليل، فكلمة النادي حيث وقع المجاز تفيد معنى الكثرة، والقول بدعوة الأنصار قد تفيد معنى القلة. والهدف من ذلك إلقاء الرعب في نفس أبي جهل وأنصاره، وغرس الطمأنينة في قلب النبي عليه السلام، وأنّ معه رب قويّ شديد، لو سلّط الملائكة على الأعداء لكفوا، والملك مخلوق فكيف بالخالق؟.

وبربط المجاز المرسل" فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ" بسياق السورة ككل يمكن استخلاص معان آخر:

-في قوله تعالى:﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ. كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾، وجّه الله تعالى نبيّه عليه السلام إلى السجود والاقتراب منه سبحانه، ونهاه عن طاعة هذا الكافر المتكبّر.وفي هذا تعليم للمسلم وخاصة الداعية لله تعالى، إذا وجد صدودا من بعض الناس وأذى منهم، أن لا يشتغل بردّ الفعل كثيرا والاهتمام بهم حزنا وغمّا بل الاستعانة بالله تعالى، مع القيام بالواجبات التي كلّفه الله بها كالصلاة التي تقدّم له دعما معنويّا، وتعطيه قوّة نفسيّة كبيرة، تصبّره وتثبّته ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ ﴾ [1]، والسجود هنا إشارة إلى الصلاة، فقد ذكر الله تعالى السجود وهو يقصد الصلاة فهو مجاز مرسل بعلاقة الجزئية، وذلك لأهمية السجود في الصلاة فهو الموضع الذي يكون فيه أقرب إلى الله تعالى. -كذلك من أسرار المجاز التربوية بربط المجاز طبعا بمعاني السورة ككل﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ. كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ أن يردّ المسلم الداعية على من أذاه من الناس بالعمل والسلوك، فأحيانا الردّ يكون بالقول مفيد، ولكنه ليس صالحا في كل المواقف.فأبو جهل هنا يهدّد النبي عليه السلام باستعمال القوة ضدّه، والله تعالى

1 ــ البقرة 45.

يقول له: لا تطعه في ترك الدعوة وترك الصلاة، بل اسجد واقترب. أي اعمل ما طلب الله منك، وقم بواجباتك فهذا أحسن ردّ على الطاغية الظالم ، والله تعالى يتولّ أمره.

– الله تعالى يوجّه المسلم هنا إلى الاستعانة بالصلاة وقت الشدائد والمحن، حين يلقى أذى وظلما. ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾، فالله تعالى لم يقل لنبيّه اصبر ولكنّه قال:﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾، فاستعمال وسيلة الصلاة عند المحن والشدائد من السنن التي جعلها الله تعالى لمجابهة المحن والشدائد.. أما الحزن والقلق والاضطراب، وردّ الفعل بالسب لمن آذاك،فليس هذا هو الحل.

– ورد المجاز في" فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ" من سورة"العلق"، حيث مقدمة السورة فيها دعوة إلى طلب العلم.. وباقي السورة كلّه يتحدّث عن طغيان بعض الناس وتكبّرهم على ربهم وتجبّرهم على عباده.. وفي آخر السورة يوجّه الله تعالى نبيّه وكل مسلم إلى الموقف الذي يجب أن يتّخذ عند وجود الأذى من الظالمين.

وهذا أبو جهل وأمثاله قديما وحديثا يستعملون ضدّ معارضيهم ومخالفيهم القوة والعنف، فماذا يفعل المسلم؟ هل يردّ بالقوّة والعنف؟ هل دائما يصلح هذا الردّ بالسلاح؟ لا، ليس دائما، وفي هذه الآيات " فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ..." وربطها بمقدمة السورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ... ﴾ إشارة إلى القراءة والتعلم، فبالعلم والوعي يمكن تحقيق الانتصار على الظلمة، باتّخاذ وسائل قد لا يكون فيها عنف وقوة.. ضف إلى ذلك الاستعانة بالله تعالى.

## 2– الإيجاز:

إنّ القرآن وهو يستخدم الصورة البيانية، يقتصد في تكوين العبارات،ويقتصر على القليل من الألفاظ، ومع ذلك تكثر المعاني وتتنوع.. تتجدّد في كل حين.. وهذا ما يعطيه الصلاحية لكلّ زمان وفي كل مكان، نعم هو هكذا في ( تصويره يستثمر في رفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني)[1]. ومثال ذلك:

[1]– الصورة الأدبية في القرآن الكريم: د، صلاح الدين عبد الفتاح، ص 140 .

أ- قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[1] إنها آية واحدة وقد حوت تشبيها تمثيليا﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ ﴾، ومع أنها آية واحدة ففيها من المعاني الكثيرة والمختلفة ما يجعل كل مفسر يستنتج معنى أو أكثر لم يسبق غيره إليه، خاصّة بالنظر إلى التشبيه الوارد فيها.

والتشبيه من صور البيان التي تستعمل في القرآن لتقريب معنى بعيد.. أو تجسيد معنى مجرد لأجل التوضيح والبيان.. أو للتأثير في عاطفة المتلقي فيرغب في فعل خير أو يرهب من فعل شر. واللافت للنظر في البداية تكرّر لفظة نور في الآية، ومع ورودها بكثرة فهي ذات معاني مختلفة. لقد تكرّرت خمس مرات«مَثَلُ نُورِهِۦ »،« نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ »،« ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ »،« يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ»، فالنور(لفظ مشترك استعمل في معنى وتارة أخرى في معنى آخر)[2].

ولقد ورد لفظ نور في القرآن الكريم في مواضع عدة بمعنى القرآن وبمعنى الهداية. قال الله تعالى:﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾( المائدة 15).﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾( النساء 174).﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾. (الأعراف 157).﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾( التغابن08). ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾( التوبة 32).﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾( الصف08). فالنور هنا بمعنى القرآن الكريم.

---

[1] – النور 35 .

[2] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج16، ص 223.

أمّا بمعنى الهداية قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾( البقرة 257).﴿ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾( المائدة16).﴿ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾.( إبراهيم 05).﴿ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ ﴾.( الأحزاب 43).﴿ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾.( الحديد 09).﴿ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾.(الطلاق 11).﴿ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾.( التوبة 32). يتمّ نوره( أي هدايته)[1].

وفي قوله تعالى:﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ ﴾ تشبيه تمثيلي، والمقصود هو تقديم معان بهدف تصحيح اعتقاد المسلم ،ثم التأثير في نفسه فتقبل على الحق، وتحب الخير ثمّ ضبط السلوك بما يتناسب مع العبودية الكاملة لله تعالى، هذه المعاني البعيدة المجردة، استعمل من أجل تقريبها خاصية التجسيم، مع استغلال عناصر الطبيعة والكون مما يعرف الإنسان" المشكاة"،" الزجاجة" " المصباح"،" زيتونة"، " كوكب". ومن عجيب الصورة البيانية هاهنا" تشبيه تمثيلي" أنها ذات معان مختلفة وكثيرة وبأيّها أخذت أفدت، ولعله يأتي في زمن ما من يضيف معان أخر.

أولا: المشبه هنا هو القرآن الكريم، مثله في قوة هدايته وعظمة آياته، وصحّة أحكامه ورفعة مبادئه﴿ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ ﴾. جاء في التفسير الكبير: أعلم أنه لابد في التشبيه من أمرين: المشبه والمشبه به، واختلف الناس ها هنا في أن المشبه أي شيء هو؟ وذكروا وجوها: أولها وهو قول جمهور المتكلمين أن المراد منه الهدى التي هي الآيات اليقينيات. والمعنى أن هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات وصارت في ذلك بمنزلة المشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية[2].

[1] – معجم ألفاظ القرآن الكريم:مجمع اللغة العربية،مصر، ج2، ص 1134.

[2] – التفسير الكبير: محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ/1981م، ج23،ص232.

إنّ القرآن الكريم ظاهر في كونه الحق من عند الله تعالى كظهور النور.وأي نور؟ إنّه نور ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾، وفي هذا القرآن صفاء المعاني الخيرية التي لا تلتبس بالشر، كصفاء الزجاجة الممتلئة كتلألؤ الكوكب الدري.. جاء في (زاد المسير): ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به. فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين. مثل مشكاة[1].

فالقرآن ينوّر القلوب.. يصفيها ويزكيها.. يعلمها ويقويها.. فإذا أصحاب هذه القلوب التي استنارت بنور القرآن دعاة هداة.. أقوياء في الحق وللحق.. بهم يهتدي الضالون.. ويتعلم الجاهلون.. ويستأنس الحائرون.. كالنور الذي به تتبدّد الظلمات فيهتدي الناس. وهذا الرأي يتماشى مع مقدمة السورة خصوصا ومقاصدها عموما، فالمقدمة كما رأينا( فيها إشارة إلى أهمية الأحكام الواردة في السورة وهي لذلك فرضت " وفرضنها"، وأغراض السورة تتمحور حول موضوع التربية الأسرية خاصة، وهي الخلية التي يتم بها بناء المجتمع)[2]. ولاشك أنّ هذه الأحكام كالمصابيح تنير فترشد وتهدي إلى الذي هو خير. فالله تعالى شبّه( القرآن بالمصباح يستضاء به ولا ينقص والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي تكاد حججه تتضح وإن لم تقرأ)[3].

إنّ هذا القرآن العظيم المبارك هو الذي صنع أمة الإسلام جيل الصحابة، الذين صنعوا حضارة الإسلام، حقّقوا العدل ونشروا الخير، وكانوا رحمة للعالمين.

ومما يلاحظ في قوله تعالى:﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ إعادة لفظ المصباح دون أن يقال: فيها مصباح في زجاجة. كما قال: كمشكاة فيها مصباح. ها هنا( إظهار في مقام الإضمار للتنويه بذكر المصباح لأنه أعظم أركان هذا التمثيل، وكذلك إعادة لفظ "الزجاجة" وتسمى هذه الإعادة تشابه الأطراف في فن البديع)[4]. وقوله تعالى:﴿**يُوقَدُ مِن**

---

[1] – زاد المسير في علم التفسير: الإمام جمال الدين عبد الرحمان الجوزي، ج6، ص 43.

[2] – صور بيانية وأسرار تربوية في سورة النور: حميودة عبود، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، ط1، 1429 هـ/ 2008م . ص48.

[3] – زاد المسير في علم التفسير: الإمام جمال الدين عبد الرحمان الجوزي ،ج6، ص45.

[4] – التحرير والتنوير: ج16، ص241.

﴿شَجَرَةٍ﴾ استعمال فعل المضارع " يوقد" لإفادة (تجدد الإيقاد أي لا ينور ولا يطفأ)[1]. وكذلك نور القرآن دائم مستمر ثابت.

إنّ كل جزء من أجزاء التشبيه التمثيلي في الآية يدل على عظمة نور القرآن الكريم وعظمة هدايته. فقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فلفظ" دُرِّيٌّ" يفيد شدة صفاءها وشيوعها ليفيد أن القرآن الكريم له تأثير قوي شامل. واستعمال لفظ "مشكاة" وهي(الكوة في الجدار غير النافذة)[2]. فتكون الإنارة أقوى وأشمل. وهكذا كل لفظ يدل على قوة التنوير وشيوعه وشموله. فكذلك القرآن الكريم في تنويره للعقول والنفوس والحياة.

لقد استعمل في هذه الآية الكريمة، ولتبليغ معان هامة التشبيه التمثيلي وهو أحد أوجه البيان في البلاغة العربية وأعظمها، هذا التشبيه( بالغ الإفصاح بحيث هو مع أنه يشبه هيئة بهيئة هو أيضا مفرق التشبيهات لأجزاء المركب المشبه مع أجزاء المركب المشبه به وذلك أقصى كمال التشبيه التمثيلي في صناعة البلاغة)[3]. فالنور المقصود إذن( هو معرفة الحق على ما هو عليه المكتسبة من وحي الله وهو القرآن شبه بالمصباح المحفوف بكل ما يزيد نوره انتشارا وإشراقا،فحصل تمثيل حال الدين أو الكتاب المترل من الله في بيانه وسرعة فشوه في الناس بحال انبثاق نور المصباح فيما حف به من أسباب قوة شعاعه وانتشاره في الجهة المضاءة له)[4].

فمن أبعاد استعمال التشبيه التمثيلي هنا، التنبيه إلى عظمة القرآن الكريم، المتمثلة في قدرته على بناء الإنسان الصالح، الإنسان الذي يكون باطنه خير وظاهره خير، وقد شهد التاريخ على ذلك، فقد أحيى أمة كانت ميّتة حضاريا ( جيل الصحابة)، والقرآن لا يزال كما هو لم يتغير و لم يتبدل، إذا وجد من يحسن التعامل والتفاعل معه، صنع أمة تملأ الدنيا عدلا وخيرا وأمنا.

ثانيا: المشبه به محمد صلى الله عليه وسلم:

---

[1]-المصدر نفسه:ج16،ص24.

[2] – معجم متن اللغة: الشيخ أحمد رضا، م2، ص192.

[3] – التحرير والتنوير: ج16، ص224.

[4] –المصدر نفسه:ج16، ص241.

يحتمل أن يكون المقصود بالمشبه به هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فمثله في اهتدائه ثم في هدايته للناس كمثل( مشكاة فيها مصباح..)، فمحمد عليه السلام حق وما جاء به حق وما دعا إليه حق.. وهذا الحق ظاهر واضح بقوة في أقواله وأفعاله.. باطنه خير وظاهره خير.. فهو كالنور الساطع المستنير في حد ذاته وهو منير لغيره. جاء في التفسير الكبير: المراد بقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لأنه المرشد ولأنه تعالى قال فيه عند وصفه ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾.( الأحزاب 46)[1].

وجاء في( زاد المسير في علم التفسير): شبه نور محمد صلى الله عليه وسلم بالمصباح النير فالمشكاة جوف رسول الله عليه الصلاة والسلام، والمصباح النور الذي في قلبه، والزجاجة قلبه فهو من شجرة مباركة وهو إبراهيم عليه السلام، سمي شجرة مباركة لأن أكثر الأنبياء من صلبه، لا شرقية ولا غربية، لا يهودي ولا نصراني، يكاد محمد عليه الصلاة والسلام يتبين للناس من أنه نبي ولو لم يتكلم[2].

وإذا كان المصباح في زجاجة والزجاجة كأنها كوكب دري بمعنى أنّ النور قوي وعظيم وشامل لأجزاء المعمورة كنور الشمس أو القمر فإنّ إرشاد النبي عليه السلام وهدايته قد بلغت معظم المعمورة في زمانه، ومن بعد وفاته، ولا يزال إرشاده مستمرا، وفي اتّساع في زماننا، بالرغم من الحملات الظالمة ضد ما جاء به، وضد أتباعه.

**ثالثا: قلب المؤمن:**

فالإنسان بلا إيمان ضال حائر خائف ضعيف.. يسير في حياته على غير هدى، تصدمه مشكلات الحياة فيضعف إلى حدّ الانتحار، أو يضعف فيعيش حزينا شقيا.. أما الإنسان الذي ملأ قلبه بالإيمان، أي بالنور فهو"**كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** ".

يرى ابن قيم الجوزية رحمه الله أنّ المثل الذي ضربه الله في الآية إنما يعني الإنسان الذي آمن، فصار في قلبه النور، هذا القلب المؤمن كمشكاة فيها مصباح. يقول رحمه الله: ضرب الله عز

[1] – التفسير الكبير: محمد الرازي فخر الدين، ج23، ص232.

[2] – زاد المسير في علم التفسير: الإمام جمال الدين عبد الرحمان الجوزي ، المكتب الإسلامي، بيروت،ط 3، 1404 هـ/ 1984م، ج6،ص45.

وجل بهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلا بالمشكاة وهي الكوة في الحائط فهي مثل الصدر، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج حتى شبهت بالكوكب الدري في بياضه وصفائه. وهي مثل القلب، وشبه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافا هي في قلب المؤمن، وهي الصفاء والرقة والصلابة فيرى الحق والهدى بصفائه وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته، ويجاهد أعداء الله تعالى ويغلظ عليهم ويشدد في الحق ويصلب فيه بصلاحياته ولا تبطل صفة منه أخرى ولا تعارضها بل تساعدها وتعاضدها كقوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾. ( الفتح 29) وفي الأثر: القلوب آنية الله تعالى في أرضه، فأحبها إليها أرقها وأصلبها وأصفاها. وفي الزجاجة مصباح وهو النور الذي في الفتيلة، وهي حاملته ولذلك النور مادة وهو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وأخره، فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن، من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة وأبعدها عن الانحراف بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها، ولم تنحرف انحراف النصرانية ولا انحراف اليهودية، بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضيء بنفسه، ثم خالط النار فاشتدت بها إضاءته.. هكذا المؤمن قلبه مضيء يكاد يعرف بفطرته وعقله، ولكن يعرف بفطرته وعقله، ولكن لا مادة له من نفسه فجاءت مادة الوحي فباشرت قلبه وخالطت بشاشته فازداد نورا بالوحي على نوره الذي فطره الله تعالى عليه فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة. نور على نور، يكاد ينطق بالحق وإن لم يسمع فيه أثرا، ثم سمع الأثر مطابقا لما شهدت به فطرته، فيكون نور على نور، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملا، ثم يسمع الأثر جاء به مفصلا فينشأ إيمانه على شهادة الوحي وعن شهادة الفطرة. فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ومطابقتها هذه المعاني الشريفة، فقد ذكر سبحانه وتعالى نوره في السموات والأرض، ونوره في قلوب عباده المؤمنين، النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب والنور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار العالم العلوي والسفلي، فهما نوران عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر، وكما أنه إذا فقد أحدهما من مكان أو موضع لم يعش فيها حيوان ولا يكون البتة فكذلك أمة فقد فيها نور الوحي والإيمان ميتة ولا بد، وقلب فقد منه هذا

النور ميت ولا بد، لا حياة له البتة، كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه[1].

هكذا إذن المؤمن.. المؤمن بالله الحق الموجود الواحد.. المؤمن الإيمان الموافق للوحي. ومع هذا الإيمان يملك فطرة سليمة تقبل الحق وترفض الباطل. هذا المؤمن الذي في قلبه نور الإيمان، هذا النور يصلح القلب ويزكّي النفس ويهذّب الأخلاق، فيكون المؤمن كلّه خير.

إنّ من أبعاد التشبيه هاهنا بيان دور المسلم في الحياة ووظيفته فيها، إنّه كنور النجم يبدد الظلمات فيهتدي الحائرون. فالمؤمن مهتد راشد صاحب خير، وبه يهتدي الضالون ويستأنس الحائرون، فما أحوج البشرية إلى أمثال هذه النماذج المؤمنة. وإذا كانت الدول تعنى بوضع المصابيح في المدن، والناس يهتمون بوضع المصابيح في البيوت، فإنّ أهم من ذلك وأعظم، أن يهتم الإنسان بتنوير القلوب بالإيمان الذي أرشد إليه القرآن الكريم، فإذا استنارت القلوب بالإيمان عمّ الخير ووجد الأمن.

ويؤيّد ما ذهب إليه ابن قيم الجوزية سعيد حوى في كتابه( تربيتنا الروحية): المشكاة والمصباح والزجاجة. هذه الأجزاء الثلاثة ماذا تقابل؟ إنها تقابل في الإنسان المؤمن ثلاثة أشياء جسده وقلبه والنور الموجود في هذا القلب، فالجسد تقابله المشكاة والقلب يقابله الزجاجة، والنور يقابله السراج الموجود في الزجاجة. ودليلنا على ما ذهبنا إليه ما قاله ابن كثير عن أبي بن كعب في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ قال هو المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره، فضرب الله مثله فقال:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال: مثل نور من آمن به، قال: فكان أبي بن كعب يقرأها" مثل نور من آمن به" فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره. وهكذا روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قرأها كذلك" مثل نور من آمن به". إذن﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ بمعنى أنّه هاديهما فلا هداية في السموات والأرض إلا بنوره جلا جلاله، ثم ضرب مثلا لهدايته الأشياء بنوره بهداية المؤمن وضرب لهذه الهداية الأمثلة العظيمة لتتبين عظمة هدايته وجلالها. فالمشكاة جسد المؤمن الذي يحوي قلبه والزجاجة هي قلب المؤمن الذي يحتوي نور القلب الذي يهتدي به المؤمن فيرى الأشياء

[1] – التفسير القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، جمع وإعداد: الشيخ محمد أويس الندوي، تقديم: محمد حامد الفقي، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ/ 2005م ، ص 372.

على حقائقها ويسير على هدى من ربه بسبب هذا النور، هذه هي المرحلة الأولى في هذا المثل، ثم تأتي المرحلة الثانية في المثل: هذه الزجاجة التي تحتوي المصباح أي هذا القلب الذي يحتوي النور شبه في شدة نوره بالكوكب المضيء الذي يشبه الدر لفرط ضيائه وصفائه. ونلاحظ هنا أنه دمج الكلام عن الزجاجة ومصابيحها أي القلب ونوره بأنه شبه الجميع بالكوكب الدري، فالسراج مضيء والزجاجة نفسها مضيئة لصفائها ونقائها وهذه هي المرحلة الثانية في المثل. ثم تأتي المرحلة الثالثة: هذا المصباح في الزجاجة من أين يوقد؟ من أين يستمد نوره؟ كيف تستمر نورانيته؟ أو نقول: هذا القلب المنور من أين يستمد نورانيته؟ قال تعالى:﴿ **يُوقَدُ** ﴾ أي هذا المصباح في الزجاجة أي النور الموجود في قلب المؤمن(**يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ** ) أي كثيرة المنافع:﴿**زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ** ﴾، هي شريعة الله وهي لا شرقية ولا غربية بل هي ربانية خالصة. ثم تأتي المرحلة الرابعة في المثل: هذه الشجرة المباركة التي يستمد منها القلب نوره كم هو عظيم نورانيتها؟ قال تعالى:﴿ **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** ﴾. قال النسفي: وصف الزيت بالصفاء والوميض وأنه لتلألئه يكاد يضيء من غير نار، فما أعظم نورانية هذه الشريعة التي تمد نور القلب. وما أعظم بالتالي نور هذا القلب الذي يستمد نورانيته من شريعة هذه شأنها. ولذلك قال تعالى: ﴿ **نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ** ﴾ فهذه هي المرحلة الخامسة من المثل[1].

إنّ من أهم أسرار وأبعاد التشبيه هاهنا باعتبار أنّ المشبه به هو القلب العامر بالإيمان، أنّ القلب هو أهم ما في الإنسان، وأنّ أهمية القلب تكمن في وجود الإيمان، وأنّ صلاح القلب يكون بالإيمان الذي يصنعه القرآن الكريم، هذا القلب ينشر خيرا. ولذلك فصناعة الفرد المسلم تبدأ بصناعة قلبه بغرس الإيمان فيه ثمّ تعهده بالتعليم والتربية عن طريق القرآن الكريم، لإيجاد جيل من المؤمنين الرحماء الأقوياء، فيكون المجتمع المسلم متراحما داخليا عزيزا على الأعداء.

**رابعا: العلم وقوّة الإدراك:**

إنّ من روعة التشبيه في قوله تعالى:﴿ **مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ** ﴾ أنّه قدّم معان مختلفة ومتكاملة. وإن كنا من قبل عرفنا أنّ المشبه به قد يكون المقصود به القرآن الكريم، وقد يكون

[1] – تربيتنا الروحية: سعيد حوى، مكتبة الرحاب، الجزائر، ص 93/92.

الرسول عليه السلام، وقد يكون قلب المؤمن، فإنّ من المعاني المقصودة أيضا، أن التشبيه يشير إلى قوة الإدراك العقلية التي منحها الله الإنسان. فقوله تعالى:﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ النور( هنا هو قوة الإدراك ومن السهل على خيالنا أن يتصور في الإدراك نورا وفي الغفلة ظلاما)[1].

إنّ الآية كما يرى أبو حامد الغزالي تشير إلى القوى العقلية وأنها مراتب والتي بها تدرك العلوم، فالمشكاة والزجاجة والمصباح وغيرها إشارة إلى هاته المراتب، وأنّ القوى العقلية أنورا وعليه فهذه الأنوار مراتب.يقول الغزالي: بينا أن القوى المدركة أنوار ومراتب القوى المدركة الإنسانية خمسة. أحدها: القوى الحساسة، وهي التي تتلقى ما تورده الحواس الخمس وكأن أصل الروح الحيواني وأوله إذ به يصير الحيوان حيوانا وهو موجود للصبي الرضيع. ثانيهما: القوى العقلية التي فوقه عند الحاجة إليه. ثالثها: القوى العقلية المدركة لحقائق الكلية. رابعها: القوى الفكرية وهي التي تأخذ المعارف العقلية فتألفه فتستنتج من تألفها علما بالمجهول. خامسها: القوى القدسية التي يختص بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الأولياء. وتتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت وإليه الإشارة في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾.(الشورى 52). وإذا عرفت هذه القوى فهي بجملتها أنوار، إذ بها تظهر أصناف الموجودات، وأن هذه المراتب الخمسة يمكن تشبيهها بالأمور الخمسة التي ذكرها الله تعالى وهي: المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت[2].

فحسب رأي الغزالي فإنّ التشبيه يشير إلى قيمة العقل الذي منحه الله تعالى الإنسان، هذه القيمة تكمن في إدراك العقل للحقائق العلمية وأهمها حقائق القرآن الكريم. فمن لم يستغل العقل في إدراك المعارف فقد تخلّى عن أهم نور في الحياة، فمن لا إدراك له لا نور له، ومن لا نور له في الحياة ضل وتاه.

ويؤيّد ابن سينا ما ذهب إليه الإمام أبو حامد الغزالي: حيث جوز أن يراد تشبيه النور المراد به القوى العقلية للنفس بمراتبها الأربع: الأولى: أن تكون النفس خالية عن جميع العلوم

[1] – المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري: د، زكي نجيب محمود، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط5، 1993م، ص 21.

[2] – التفسير الكبير:محمد الرازي، ج23، ص 233.

الضرورية والنظرية مستعدة لها كما في مبدأ الطفولية، وتسمى القوة العقلية في هذه المرتبة بالعقل الهيولاني بأنها كالهيولى في أنها في ذاتها خالية عن جميع الصور قابلة لها. وثانيها: أن تستعمل آلاتها أي الحواس مطلقا فيحصل لها علوم أولية، وتستعد لاكتساب علوم نظرية وتسمى القوة المذكورة في هذه المرتبة عقلا بالمكلة لحصول مكلة الانتقال إلى النظريات لها بسبب تلك الأولويات. وثالثها: أن تصير النظريات مخزونة عندها وتحصل لها مكلة استحضارها متى شاءت من غير تجشم كسب جديد وتسمى تلك القوة في هذه المرتبة عقلا بالفعل لحصول تلك العلوم بالقوة القريبة من العقل. رابعها: أن ترتب العلوم الأولية وتدرك العلوم النظرية مشاهدة إياها بالفعل وتسمى تلك القوة في هذه المرحلة عقلا مستفادا لاستفادتها من العقل الفعال فشبهت القوة بالمرتبة الأولى بالمشكاة الخالية في بدأ الأمر عن الأنوار الحسية المستعدة للاستنارة بها. وبالمرتبة الثانية بالزجاجة المتلألئة في نفسها القابلة للأنوار الفائضة عليها من الغيب الخارجي. وبالمرتبة الثالثة بالمصباح الذي اشتعلت فتيلته من الزيت. وبالمرتبة الرابعة بالنور المتضاعف المشار إليه لقوله تعالى: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾[1].

من بلاغة التشبيه التمثيلي في هذه الآية ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾أنّ من أبعاده أيضا ( التشبيه إلى قيمة العقل، وعليه التشبيه إلى قيمة العلم والإدراك، العلم بما أنزل الله وإدراك مراد الله من خلال وحيه، هذا العلم الكاشف لمنهج الهداية من خلال الوحي، وذاك الإدراك الدقيق لحسن التفاعل مع هذا المنهج، فينتج عن ذلك علم صحيح وعمل صالح، أي صناعة حياة طيبة)[2]. وصدق الله تعالى إذ يقول مخبرا على لسان الكفار الذين لم يستغلوا عقولهم في إدراك الحق والعمل به فكانوا من أصحاب السعير: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3]. فالذي لا يعقل أي لا يدرك الحق ولا يميز بينه وبين الباطل، لا شك ضال خاسر.

[1] – تفسير روح المعاني: الشيخ ابو الفضل محمد الألوسي، دار الفكر،بيروت،لبنان،م6، ج16، ص172.

[2] – صور بيانية وأسرار تربوية في سورة النور : أ، حميودة عبود، ص56.

[3] – الملك 10.

قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ جملة( مستأنفة إشارة إلى أن المقصود من مجموع أجزاء المركب التمثيلي هنا هو البلوغ إلى إيضاح أن الهيئة المشبهة بها قد بلغت حد المضاعفة لوسائل الإنارة إذ تظاهرت فيها المشكاة والمصباح والزجاج الخالص والزيت الصافي)[1].

هذا الكلام فيه إشارة إلى عظمة نور القرآن الكريم، هذا النور المتمثل في توجيهاته وإرشاداته وأحكامه وحكمه التي بلغت المنتهى في الكمال والصواب والخيرية. ويؤيد هذا القول ما قاله السدي قال: نور القرآن ونور الإيمان[2].

إنّه لا معنى لإنسان يمشي ليلا في الظلام ومعه مصباح، والمصباح قوي الإنارة، ومع ذلك هذا الإنسان لم يشغل المصباح ولم يستفد منه، فما قيمة هذا المصباح ولو كان من أعظم المصابيح نورا إن لم يهتد به صاحبه؟ وكذلك المؤمن بالله تعالى و بالقرآن الكريم كونه دين هدى. إنّ الإيمان الحق بهذا القرآن العظيم، هو الاستفادة من هدايته وإرشاده، وذلك بالتزام أوامره واتّباع توجيهاته. وقد أحسن من فسر قوله تعالى﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾بمعنى " إيمان العبد وعمله"[3]، فالعمل هنا هو التزام ما في القرآن أي هو تشغيل المصباح في الظلمات.

قوله تعالى:﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

اختلف العلماء في تحديد معنى "لِنُورِهِۦ"، فقد( قيل لنور القرآن، وقيل لنور الإيمان، وقيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم)[4]. وأولى الأقوال في اعتقادي لنور القرآن، على اعتبار أنّه بالقرآن تعرف حقيقة الإيمان و باتّباع القرآن تعرف حقيقة الإيمان، و باتّباع القرآن الكريم يتبع الرسول عليه الصلاة والسلام. قال أبو السعود في قوله تعالى:﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾. أي: يهدي هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن. وإظهاره في مقام

[1] – التحرير والتنوير: ج16، ص242.
[2] – تفسير ابن كثير: ج5، ص103.
[3] – المصدر السابق: ج16، ص242
[4] – زاد المسير في علم التفسير: ج6، ص 40.

الإضمار لزيادة تقرير وتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الإضافية الناشئة من إضافته إلى ضميره عز وجل[1].

جاء في( التحرير والتنوير): هذه الجمل تذييل للتمثيل والمعنى: دفع التعجب من عدم اهتداء كثير من الناس بالنور الذي أنزله الله وهو القرآن والإسلام.. وأنّ الله يضرب الأمثال للناس مرجوّ منهم التذكر بها. وجملة:﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ تذيل لمضمون الجملتين قبلهما، أي لا يعزب عن علمه شيء ومن ذلك علم من هو قابل للهدى ومن هو مصر على غيه وهذا تعريض بالوعد للأولين والوعيد للآخرين[2].وجاء في( تفسير ابن كثير):﴿ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾: يرشد الله إلى هداية من يختاره. ومما لاشك فيه أنّ هذا الاختيار كائن على حسب العلم والحكمة الإلهية، فمن أراد وأختار الهدى يسّر الله له الهدى ووفقه إلى الإيمان الصحيح، أما من تكبّر واختار غير الهدى فكيف يهديه الله؟.

ب- قوله تعالى:﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[3].

ذكر الله تعالى قبل هذه الآية أهم صفات المنافقين والتي منها: قولهم بلسانهم أنّنا آمنا لكنهم فعلا هم معرضون يرفضون الاحتكام إلى دينه، خاصة إذا كان الحق عليهم لا لهم وما هؤلاء بمؤمنين:﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴾[4].

في هذه الآية التي بين أيدينا﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ بيان سبب إعراض ورفض المنافقين لحكم الله تعالى، فما السبب؟ أهو مرض أصاب قلوبهم؟ أم هو شك في الوحي أو الموحى إليه؟ أم

[1] - تفسير أبي سعود: ج1، ص121.
[2] - التحرير والتنوير: ج16، ص 244.
[3] - النور 50.
[4] - النور ( 48، 49).

خوف من ظلم الله لهم ورسوله؟ أم شيء آخر؟ أذكر أولا سبب نزول هذه الآية، ثم أذكر بعض الصور البيانية إن وجدت، والقضايا البلاغية فيها.

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا مبارك، حدثنا الحسن قال: كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محق، أذعن وعلم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم سيقضي له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أعرض وقال: انطلق إلى فلان، فأنزل الله هذه الآية. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من كان بينه وبين أخيه شيء فدعي إلى حكم من حكام المسلمين فأبى أن يجيب، فهو ظالم لا حق له[1].

وجاء في (أسباب النزول): قال المفسرون: نزلت هذه الآية[2] والتي بعدها في بشر المنافق وخصمه اليهودي، حين اختصما في أرض، فجعل اليهودي يجره إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول إنّ محمدا صلى الله عليه وسلم يحيف علينا[3].

إذن لقد نزلت الآية لتعالج واقعا معيّنا، واقع من آمنوا بأقوالهم و لم تؤمن قلوبهم وإعراضهم عن ربهم بأفعالهم، وتكشف عن فساد سريرتهم، وتنبّه بذلك المؤمنين الصادقين إلى الحذر وأخذ الحيطة من مكرهم وغدرهم. بعد ذكر سبب النزول، نعود للحديث عن الصورة البيانية الواردة فيها وأثرها في المعنى.

لماذا أعرض المنافقون عن حكم الله وحكم رسوله عليه السلام﴿ **أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ... ﴾؟ أبسبب مرض قلوبهم ؟ وإذا كان المرض كذلك فما المقصود بالقلوب؟ ولماذا جيء بلفظ"**مَّرَضٌ** " بدل (فساد) أو لفظ آخر؟ قيل ( القلوب: العقول والمرض مستعار للفساد أو الكفر)[4]. فالمعنى

---

[1] – تفسير ابن كثير: ج5، ص 116.

[2] – هذه الآية هي: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.(النور47).

[3] – أسباب النزول: الحسن علي أحمد النيسابوري ،تخريج الأحاديث الشريف محمد عبد الرحمان،دار التقوى، ص 188.

[4] – التحرير والتنوير: ج18، ص271.

إذن أنّه من أسباب إعراض المنافقين هو فساد تصورهم وكفرهم بالله تعالى أو بالحساب. فالاستفهام هنا إذن تقريري وليس إنكاري﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾.

إنّ الجسم المريض المعلول لا يرضى من صاحبه أداء كثير من الواجبات، وكلما كان المرض خطيرا وعظيما ومستمرا، كلما كان صاحبه أبعد عن القيام بأبسط الواجبات، بل ويعيش عالة على غيره ولأجل الشفاء لابد من التداوي، فالمرض مرفوض فكيف إذا كان هذا المرض قد أصاب القلب، هذا المرض الذي هو فساد قد أصاب العقل، فصار القلب فاسدا، فأيّ فكرة صائبة تتولّد عنه؟ وأيّ تفكير سليم ينشأ عنه؟ وأيّ خير يرجى من إنسان فاسد عقله؟ فاسد اعتقاده؟ فهو يرى بعقله الصورة مقلوبة، الحق باطلا، والباطل حقا، كمن مرض بجسده، ففسد ذوقه، فمهما أتيته بطعام لذيذ صنعه أمهر وأشهر الطاهين، فهو لا يستلذه بل ويرفضه، فهل المشكلة في الطعام أم في المرض؟ فكذا من فسد عقله أي تصوره، فمهما أتيته من أدلة قاطعة بيّنة تقول له: الله حق والقرآن حق والرسول حق، فهو لا يرى ذلك حقّا بل يراه باطلا، هذا إن رآه.

فقد جيء بهذا اللفظ" مَّرَضٌ " للذم، ولبيان أنهم بحاجة إلى علاج، فهم مرضى في مجتمع مسلم سليم.و الزمخشري رحمه الله يقرّر أنّ المرض الذي أصاب قلوبهم( النفاق) أحد أسباب إعراضهم[1]. فهو يقرّر أنّ مرض قلوبهم بالنفاق والكفر من أسباب الإعراض.

إذن فمرض القلوب ليس هو المرض المادي الخاص بمضغة القلب، وإنما هو مستعار للفساد، فساد الاعتقاد، وهو الكفر والنفاق، فهل ثمة من معان بليغة؟ جاء في( التفسير الكبير): الأقرب أنّه تعالى ذمهم على كل واحد من هذه الأوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق[2]. وفي (الظلال):( فمرض القلب جدير بأن ينشئ مثل هذا الأثر، وما ينحرف الإنسان هذا الانحراف وهو سليم الفطرة. إنما هو المرض الذي تختل به فطرته عن استقامتها، فلا تتذوق حقيقة الإيمان ولا تسير على منهجه القويم)[3]. وهي إشارة جيدة من سيد قطب رحمه الله، حين ذكر أنّ مرض القلب، هو فساد الفطرة وانحرافها.

---

[1] – المصدر السابق: ج18،ص271.

[2] – التفسير الكبير:ج23، ص21.

[3] – في ظلال القرآن: م4، ص 2526.

فالمنافقون إذن، فاسد تصورهم، منحرفة فطرتهم، وبذلك فلا عجب أن تكون قصة الإفك من نسجهم، ولا عجب أن يعرضوا عن حكم الله وحكم رسوله عليه السلام.

وفي قوله تعالى: « **أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**» ملاحظة جديرة بالتسجيل، حيث أوتي في جانب هذا الاستفهام ( بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات المرض في قلوبهم)[1]. وفيه إشارة إلى أنّه مرض خطير عميق يدل على الفساد الكبير للتصور وفطرة المنافقين.

## 3-التشخيص والتجسيم:

.بما يعطي لخيال السامع أو القارئ تصوّر المعنى، وفهمه والتأثر به، فالاهتمام ( بالصفة الحسية غالب في الصور القرآنية.. مما يعطي للصورة بعدا تجسيميا وثقلا تخيليا مثيرا للذهن والوجدان.. فهي تأتي في مجال الإدراك العقلي والذهني المجرد، كما تأتي لتجسيم الحالة الوجدانية وتصور المشاعر الإنسانية، وتشخص الجمادات أناسا يحيون ويعقلون ما يعطي للصورة الأثر النفسي كما يعطي للمعنى الدلالة المصاحبة للصورة في إبراز مجسم للمعنى المراد)[2].

إنّ القرآن حين يعمل على تشخيص المعاني ( يدرك حاجة المتلقي النفسية إلى تصور الأشياء والمشاعر.. شخوصا متحركة...بحيث يبدو المجال مؤثرا ومتغلغلا في الذات، وبحيث تتبدى لنا الأشياء، التي نراها ساكنة، حية منطلقة واعية، وكأنها تشارك الإنسان حياته وتواصله ووجدانه)[3].

وإذا كانت الاستعارة صورة من صور البيان فمن أهم خصائصها ( تجسيد المعنويات وتشخيص المجردات.. فتصبح المعنويات والأمور المجردة شاخصة أمام الأعين، ويصير فاقد الحياة بالاستعارة حيا متحركا)[4]. وجاء في كتاب (من روائع القرآن) ما يؤكّد هذا الأمر: فأول مظهر للتصوير، هو إخراج مدلول اللفظ من دائرة المعنى المجرد إلى الصورة المحسوسة والمتخيلة. والمظهر الثاني: تحويل الصور من شكل صامت إلى منظر متحرك حي. والمظهر الثالث: تضخيم المنظر وتجسيمه حينما يكون الجو والمشهد يقتضيان ذلك. والوسيلة القريبة إلى تحقيق هذه المظاهر، لا

---

[1] - المرجع نفسه: م4،ص 2526.

[2] - من جماليات التصوير في القرآن الكريم: محمد قطب عبد العال، ص 56.

[3] - المرجع نفسه: ص 89.

[4] - علم البيان(دراسة تحليلية لمسائل البيان): د، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار ،القاهرة ، ط2، 1425 هـ ،2004 م، ص 188.

تعدو أن تكون استعارة أو مجازا مرسلا أو تشبيها وتمثيلا، وهذه الوسائل التي وضع عليها البيان إنما هي قواعد استخلصت واستنبطت من التصوير الذي انطوى عليه أسلوب القرآن الكريم،فالقرآن هو الأساس لهذه القواعد[1]. و مثال ذلك:

قال الله تعالى:﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾[2].

أقسم الله تعالى بالخنّس الجوار الكنّس، وبالليل إذا عسعس وبالصبح إذا تنفّس، على أنّ القرآن الكريم من عند الله تعالى، وإنما أضافه إلى جبريل عليه السلام لأنّه كان سببا في إنزاله وإيصاله إلى محمد عليه السلام. وقبل الحديث عن أسرار وأبعاد الصورة البيانية في هذه الآيات،نتعرف على معاني بعض المفردات.

الخنّس: الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون، أي تختفي[3].

الكنّس: الكواكب التي تختفي أحيانا في مدارها[4]. عسعس: أقبل بظلامه الدامس[5].

وردت في هذه الآيات صورة بيانية بديعة وهي الاستعارة المكنية في" **وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ** " فقد (شبه النور ينبلج به الصبح، بنسمات الهواء العليل، تحي القلب والنفس، وشبه الفجر بنائم، يغط في سبات عميق، والفجر حي يتنفس، أنفاسه: النور والحركة والضياء، كأنه كان نائما ثم استيقظ، فاستنشق الهواء المنعش للنفس، واستعاد نشاطه وحيويته)[6].

إنّ هذه الاستعارة المكنية، حيث حذف المشبه به الكائن الحي(الإنسان) وجيء بما يدل عليه "**تَنَفَّسَ** "، لها أهداف وأبعاد تربوية، منها ما يتعلّق ببناء العقيدة وتصحيح التصور، ومنها ما

---

[1] – من روائع القرآن: د، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الغرابي للمعارف،دمشق، 1427 هـ/ 2007 م، ص 78.

[2] ـ التكوير: (15، 16، 17، 18، 19)

[3] ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: مرسي عامر، دار المعرفة بيروت لبنان، ج1،ص224.

[4] ـ معجم ألفاظ القرآن: مجمع اللغة العربية ، مصر، ج1، ص985.

[5] ـ الإبداع البياني في القرآن العظيم:محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1428 -2007م، ص396.

[6] ـ المرجع نفسه:ص 396.

يتعلّق بالتأثير في النفس فترغب في خير أو ترهب من شر.. وتحب حقا وتبغض باطلا.. ومنها ما يتعلق بضبط السلوكات التي يجب الانضباط بها، ومن هذه الأبعاد:

-أنّ القسم بالليل إذا أقبل بظلامه الدامس، حيث امتدّ واشتدّ حتى غطى كل الأرجاء، ثم بالصبح وقد جاء بنوره فأزال الظلام.وبمجيء النور كانت الحركة وكان النشاط، مما يبعث البهجة والسرور في النفوس، بل ويعطي منظرا رائعا وجميلا لكل الكون. فقوله تعالى "**تَنَفَّسَ**"، كأنّه كان في مكان مغلق لا ضوء فيه ولا حياة مع صعوبة في التنفس، وبعد وقت جاء الفرج وفتح الباب.

وإذا عدنا إلى قوله تعالى:« **إِذَا عَسْعَسَ**» فقد جيء بالفعل الرباعي المضعف، للدلالة على أنّ هذا الظلام شديد، وأنّه ملأ كل الزوايا، والصورة هنا المكوّنة من(**وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ) توحي أنّ الظلام لما جاء وجد النور فغطّاه ولفّه، فلم يعد النور قادرا على التنفس إلا بصعوبة، ومع ذلك فهو لم يزل تماما، بل هو مستور تحت الظلام، وهو يصارع ويجاهد لكي يزيح عنه كابوس الظلام، وبعد وقت وهو طويل إلى حد ما " **إِذَا تَنَفَّسَ** " ، لأنّ "إذا " تفيد ما يستقبل من الزمان وليس الزمن الحاضر، جاءت لحظة الانتصار فظهر النور وزال الظلام، وقد شبّه هذا بإنسان مسجون في مكان لا حياة فيه، ولا تهوية، وهذا المسجون لم يستسلم بل دافع عن نفسه حتى أخذ حقه، أو فتح منفذا من غرفة السجن وخرج.

هذا التعبير في الحقيقة يرمز إلى الصراع بين الحق والباطل، بين الإسلام والجاهلية، بين الخير والشر، وكما أنّ الليل وإن طال يزول ويعود النور بعد أفول، وهذه سنة كونية مرئية، فكذلك الحق ينتصر ويعود بعد صراعه مع الباطل، وأنّ الإسلام إلى ظهور وغلبة بينما الجاهلية إلى اختفاء و انهزام .

- هذه الآيات « **وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ**» من سورة التكوير، وهي مكية، وفي الفترة المكية، كان الباطل يجول ويصول، كان في الأرض كلها، وانتشر في مكة كلها، وكان المسلمون آنذاك كأنما يعيشون في سجن بلا نور، وكان الإسلام تحاصره الجاهلية بشدة، وبعد مجاهدة المسلمين، وصبرهم

جاء الفرج، وانتصر المسلمون انتصارا عظيما خاصة بعد فتح مكة.﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ..﴾[1]، ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[2].

فالاستعارة الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ تشير إلى الصراع بين الحق والباطل، وبين أهل الإسلام وأهل الجاهلية، وأنّ النصر في آخر المطاف للحق ولأهل الإسلام.

نعم لقد حدث هذا زمن الصحابة ومعهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن يحدث مثل ما حدث، فقانون الطبيعة بمجيء الليل ثمّ يعقبه النهار، لا يزال مستمرا، وكذا قانون النصر كما أراده الله تعالى وسنّه في كتاب القرآن لا يزال، فإذا توفرت الشروط والأسباب لتحقيق النصر، جاء النصر من جديد.

-من أبعاد هذه الاستعارة أيضا أنّها تغرس في النفس معنى الأمل لا اليأس.. والرجاء لا القنوط.. والصبر لا القلق والاضطراب... فمثل المسلم وهو يصارع ضد الباطل ويجاهد ضد الجاهلية، ويتعب لأجل التمكّن من الخير، كمثل من حبس ليلا في مكان، ونظرا للظلام فهو باق في مكانه، لم يكمل سيره إلى هدفه، ومع ذلك لأنّه يعلم أنّ الصبح لابد أن يأتي، وأنّ الليل مهما طال سيرحل، فهو يبيت وفي نفسه أمل ورجاء وصبر.وهل الحياة إلا أمل ورجاء وصبر ومجاهدة؟.

## 4-الإقناع العقلي والإمتاع الوجداني:

هكذا هي الصورة البيانية في القرآن الكريم، تجمع بين إقناع العقل وتحريك الوجدان والتأثير فيه، فصاحب النظرة السوية إذ تلي عليه القرآن ومرّ على صورة بيانية من تشبيه أو استعارة أو كناية تقبّل عقله المعاني الواردة في هذه الصورة، ضف إلى ذلك أنّه يتأثر نفسيا بما لهذه الصورة من روعة في الشكل ودقة في المعنى. يقول محمد قطب عبد العال: وإنما هي تسعى حثيثة إلى مخاطبة الذات ككل، الحس والوجدان معا.. مع القبض على الحالة الذهنية التي تعيش هذه الحالة التصويرية الكلية[3]. ولعلّ هذا ما جعل الكثير من العرب زمن النبي عليه السلام، ممن

[1] ــ النصر 01

[2] ــ الفتح 01

[3] - من جماليات التصوير في القرآن: محمد قطب عبد العال، ص 56.

سلمت نفوسهم من الكبر، يسلمون بعد سماع القرآن الكريم، فهم سمعوا كلاما يقنع العقل ويمتع الوجدان. ومن أمثلة ذلك:

أ- قال الله تعالى:﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[1].

ههنا تشبيهان بليغان « ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا » و« وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا »، أي الأرض كالمهاد وهو الفراش والجبال مغروسة في الأرض كالأوتاد. والوتد: ما يغزر في الأرض أو جدار ونحوهما ليشد به شيء[2]. جاء في أساس البلاغة: وتد الله الأرض بالجبال و أوتدها ووتدها.والجبال أوتاد الأرض، ووتد بالمكان وهو واتد: لا يبرح ثابت[3].

فمعنى الآيتين: جعلنا لكم( الأرض كالمهاد، الفراش، الذي يفترشه النائم، تبنون عليها وتسكنون، وجعلنا الجبال كالأوتاد للأرض، تثبتها وتحفظ توازنها لئلا تضطرب بكم وتتزلزل،فحذف من الكلام كل هذا فأصبح بليغا)[4].

ولكل من التشبيهين أهداف وأبعاد تربوية منها:

- جاء ذكر الأرض والجبال كبراهين مشاهدة لكل ذي عين على أنّ هناك موجد قادر وحكيم لها ولسائر الموجودات. ولقد جيء بالاستفهام كأسلوب إنشائي ولكن غرضه خبري تقريري وذلك لانتزاع إقرار واعتراف من السامع وخاصة الكفار، وهو أنّ الأرض نعم كالمهاد وأنّ الجبال كالأوتاد. ويأتي بعد الاعتراف معرفة أنّ الذي صنع ذلك حكيم، فهو لم يخلق ذلك عبثا، والنتيجة أنّ الإنسان أيضا لم يخلق عبثا، وأنّ له هدفا في الحياة، وأنّه يحاسب بعد موته على هذا الهدف، إن حقّقه فالحسنى وإلا فالعقاب.

فالهدف الظاهر هو تنبيه السامع إلى وجود إله قدير حكيم خلق الأشياء بانتظام، وجعل لكل شيء هدفا، والقادر على ذلك قادر على إحياء الميت ومحاسبته.. وغير معقول أن يكون لكل شيء هدف وحكمة ثمّ لا يكون للإنسان هدف.

---

[1] – النبأ ( 6 /7).

[2] – معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، مصر، ج2، ص 1159.

[3] – أساس البلاغة: الزمخشري، ص 665.

[4] – الإبداع البياني في القرآن العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني، ص 389.

- قوله تعالى:﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾، أي كالفراش، تذكير بنعمة الله على الإنسان، وتسخير الأرض له، وعنايته به، ووجود العناية تدل على وجود المعتني، كما أنّ وجود العناية تقتضي الشكر والمحبة. وكلمة " مِهَـٰدًا " تذكر بالمهد أي بالصبا، حيث كان الإنسان صغيرا عاجزا على الاعتناء بنفسه، فيعتني به أبوه وأمه،ولئن كبر الإنسان وصار بالغا، فهو أمام الله تعالى لا يزال صغيرا بحاجة إلى ربه، فعندما تتحول الأرض إلى فيضانات وزلازل وكوارث فأين الحياة؟!.

وهذا المعنى فيه تصحيح لتصور الإنسان في علاقته بربّه، لابدّ من شكره وذكره.

- هدف تربوي آخر يتعلق بالنفس، وهو غرس محبة الله تعالى في القلب، هذه المحبة التي تدفع إلى الطاعة والعبادة لله تعالى، فالله تعالى يصحح التصور أولا، ثم يهيئ النفس ثانيا، وبعد ذلك يحرّم أو يأمر أو ينهى، فالإتيان هنا بالتشبيه البليغ « ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا »، التي فيها معنى العناية والرعاية، وأنّ الإنسان كان في المهد وهو صغير، ولا يزال في المهد.. التذكير من شأنه أن يغرس في النفس محبة الله تعالى، كالولد الذي يكبر ويجد أبواه قد وفّرا له كل ما يريد من مسكن ومركب ومأكل، أفلا يحبهما؟.

- قوله تعالى:﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾، فالجبال كالأوتاد تثبت الأرض وتحفظ توازنها، وفي هذا التشبيه البليغ إشارة علمية تتعلّق بعلاقة الجبال بالأرض، وبيان الكيفية التي عليها الجبال، وبيان إن كانت الأرض ثابتة أم متحركة.. فالوتد إنّما يغرس في الأرض ليثبت خيمة أو غيرها حتى لا تأخذها الرياح، وحتى يكون الوتد مثبتا لا بد أن يغرس بعمق في الأرض، بحيث يكون أسفله مثل أعلاه. فالجبل مغروس إذا في الأرض، أعلاه كأسفله من حيث الطول، لأنّه كالوتد فالجبال ليس فوق الأرض ولكنّها في الأرض.

- وإذا كان الوتد يستعمل ليثبّت شيئا متحركا أو يقبل الحركة، فالجبل يغرس في الأرض ليثبّتها، فهي إذن أي الأرض متحركة وليست ساكنة وقد أثبت العلم الحديث أنّ الجبال كالوتد تماما مغروسة في الأرض، وأنّ الأرض تتحرك بحركة دورانية وليست ثابتة.

فمن أبعاد التشبيه إعطاء إشارات علمية تتعلق بالكون، وتعطي تصورا صحيحا حول طبيعة بعض الموجودات. ولعلّ هذه الإشارات والملامح العلمية يمكن أن تؤسّس لنظريات علمية تتعلق بالكون.

معلوم أيضا أنّ النبي عليه السلام أميّ وبعث في أمّة أمية، لا تملك حضارة بالمفهوم الواسع للحضارة، حيث تكون الحقائق العلمية المتعلقة بالجبال ودوران الأرض.فمن أين جاء بهذه الحقائق؟ فمن أبعاد التشبيه بيان قدرة الله تعالى وعلمه الواسع الشامل، فهو من خلق الأرض والجبال، وهو يعلم بالكيفية الموجودة عليها كل من الجبال والأرض.. ومن قدر على ذلك وعلم كل ذلك أفلا يقدر على إرسال الرسل وإنزال الرسالات وتشريع الأحكام التي تحقق مصالح العباد دنيا وآخرة؟! أفلا يقدر أيضا على إحياء الموتى ومحاسبة المحسن والمسيء؟!.

## 5- التنوع:

سواء من حيث صورها المستعملة، أو من حيث الأهداف والغايات، فالصور البيانية كثيرة ومتنوعة، من التشبيه إلى الاستعارة إلى الكناية ونحو ذلك، وهي متنوعة أيضا في صورة واحدة كالتشبيه له أكثر من هدف وغاية، فهناك معنى يتّصل بتصحيح الاعتقاد، وآخر يتّصل بالتأثير في النفس فترهب أو ترغب، إلى معنى آخر يرتبط بالتوجيه العملي في السلوك، فيقدم المسلم على التحلي بسلوك ما أو التخلي عنه.

وفي سورة البقرة تنوّعت وكثرت الصور البيانية الواردة فيها، أكثر من ثلاثين من صور التشبيه ونحو ذلك في المجاز وكذلك الكناية والتعريض. مع استعمال القرآن لأساليب أخرى، لها أغراض دينية وأخرى تتعلق بجمال النص كلغة وأدب.

إنّ الصورة البيانية ( إحدى جماليات التصوير القرآني، فالبيان وسيلة تصويرية توضح المراد من المعنى، في أشكال تصويرية مختلفة...ولقد تعددت ألوان البيان، من تشبيه وتمثيل واستعارة وكناية ومجاز...)[1]. ولقد استخدمت في القرآن كل هذه الأشكال التصويرية المختلفة ولكن بما يحقق أغراضها ومقاصد مختلفة ومتنوعة. ومن أمثلة ذلك:

[1]- من جماليات التصوير في القرآن: محمد قطب عبد العال، ص 41.

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[1] .

الكناية في قوله تعالى:﴿ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾، فالمراد بذكر الله:طاعته وعبادته والجهاد في سبيل الله وجميع العبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة...فكنى عن جميع التكاليف الشرعية والعبادات والطاعات بالذكر[2].

فالمعنى في« ذِكۡرِ ٱللَّهِ» هو ذكر الله تعالى بالقلب واللسان، ويلزم عن هذا المعنى أنّ تذكر الله تعالى في سائر عبادتك وأعمالك وبالسلوك، والكناية تقبل لازما للمعنى ولا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، ولاشك أنّ في إيراد الكناية هنا جملة من المعاني والأبعاد التربوية منها:

-أنّ المقصود من التكاليف الشرعية والعبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج، هو أن يذكر المسلم ربه ولا ينساه ولا يغفل عنه، فيخلص ويتطلّع إلى رضاه..فلا يكفي أن تصلي أو تحج أو تصوم إن لم يكن في هذه العبادات ذكر لله تعالى والرغبة في رضاه. ومن عجيب هذه الكناية، وهذا المعنى أن يقع في سورة (المنافقون) والمنافقون يقومون ببعض العبادات كالصلاة ولكن رياءا وتظاهرا ولا وجود لذكر الله تعالى.فغرض الكناية هنا هو بيان أنّ العبادة إن لم يصحبها ذكر لله تعالى، فلا قيمة لهذه العبادة.

فالبعد التربوي الاعتقادي في هذه الكناية هو تصحيح تصوّر المسلم اتّجاه عبادة الله تعالى، فالعبادة الصحيحة المقبولة ما كانت بروح وشكل، وليس بشكل بلا روح، والشكل هو تطبيقها حسب شروطها وأركانها، وروحها وجود ذكر الله تعالى وقصد تعظيمه و رجاء رحمته وقبوله.

-وردت الكناية في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾.

---

[1] - المنافقون 09.

[2] - الإبداع البياني في القرآن العظيم: محمد علي الصابوني، ص352.

فقوله:﴿ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ كناية عن سائر العبادات والواجبات، والعبادة سلوك والواجب عمل وتطبيق، فالمقصود: لا تشغلكم الأموال بسبب جمعها ولا الأولاد بسبب العناية بهم عن إقامة العبادات المفروضة الأخرى. ويستخلص من هذا أنّ أعظم ذكر لله تعالى ما كان بالسلوك، فكل واجب شرعيّ تؤديه فهو ذكر لله تعالى، وترك تطبيقه إنما هو من قبيل الغفلة عن الله. و ههنا بعد تربوي يتعلق بالسلوك، فالمسلم الحق من يذكر ربّه بسلوكه وبأداء الواجبات والتكاليف.

فمن أبعاد الكناية هنا، تنبيه المؤمن على أنّه من ذكر الله بلسانه و لم يذكره بسلوكه فأدّى الواجبات وقام بالعبادات، فهو إما منافق أو يتدرّج ليكون كذلك، خاصة وأنّ الكناية وردت في سورة( المنافقون) وهي تتحدّث عن صفاتهم وتفضح أسرارهم قال تعالى في شأنهم:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ ﴾[1]، فهم يقولون بألسنتهم أنهم مسلمون،لكنّ سلوكهم يخالف ذلك.

## 6-وحدة التصوير:

ويقصد بذلك أنّ الصورة البيانية القرآنية هي هي ومع ذلك فهي تخاطب جميع المستويات البشرية، العامّة والخاصّة، فهي الصورة نفسها، تلقى على سمع هذا فيأخذ منها مقدار ماله من عقل وعلم، ويسمعها ذاك فيأخذ منها أيضا، فالقرآن (قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم.. فهو متعة العامة والخاصة على السواء ميسر لكل من أراد)[2]. كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾[3].

---

[1] - المنافقون 01.

[2] - الصورة الأدبية في القرآن الكريم: د، صلاح الدين عبد التواب، ص 117.

[3] - القمر 17

ومثال ذلك:

قال الله تعالى:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

هذه الآية من سورة الجمعة، وهي مدنية، ومن أهم موضوعاتها وصف اليهود، وبيان ما لديهم من تصورات منحرفة خاطئة، ونفسية مريضة بحب الدنيا، وسلوك طائش منحرف اتّجاه ربهم واتّجاه رسالاته.﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]. وإذا كان( القوم لا يصلحون أنفسهم فكيف يصلحون الآخرين؟)[3].لذلك نقل الله تعالى الرسالة من اليهود فكانت النبوة للعرب، وبعد وصف اليهود بسلبياتهم وشرهم، توجّه بالخطاب إلى المؤمنين وأكثرهم آنذاك من العرب. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ.. ﴾[4].

ولقد استعمل الله تعالى في بيان حال و حقيقة اليهود تشبيها تمثيليا، فقد شبّههم الله تعالى (بالحمار الذي يحمل الكتب النافعة الضخمة، ولا يناله منها إلا التعب والعناء)[5].وواضح أنّ وجه الشبه منتزع من متعدد، فهذا الحمار وقد وضعت فوقه كتبا ضخمة، فهو يحملها ويسير باتّجاه معين، وهو لا يعي ولا يفهم حقيقة العلوم الموجودة في هذه الكتب، فالذين عندهم التوراة فيها علوم، فيها أوامر ونواة تحقق مصالحهم، ولكنهم يتلوها ويحملوها في أيديهم أو يحفظوها في صدورهم ومع ذلك لا يعملون بها، ففيها هداية لهم وهم ضالّون، وفيها إعزاز لهم وهم أذلّة، وفيها تزكية لهم وهم ظلمة، فهم كالحمار في بلادته وجهالته.

ومعلوم أنّ القرآن الكريم وهو المعجزة الخالدة ( مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجم وبحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه والآلات البشرية عن إحصائه)[6].

---

[1] – الجمعة 05.

[2] – الجمعة 07.

[3] – نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: الشيخ محمد الغزالي، ص 458.

[4] – الجمعة 09.

[5] – صفوة التفاسير: محمد الصابوني، الشيخ محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2007م/ 1428هـ ،ج3، ص 379.

[6] – مباحث في علوم التفسير: د، عامر نايف الزوبعي، المشرق للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص 35.

وهذه الآية التي حوت تشبيها تمثيليا، فهي آية واحدة، وفيها تشبيه واحد، ومع ذلك فثمة أسرار ومعان وأبعاد مختلفة بعضها يتعلّق بالفكر، وأخرى بالنفس، وأخرى بالسلوك، ومنها:

- أنّ اليهود لم يظلمهم الله تعالى حين نقل منهم النبوة إلى غيرهم - أمة العرب- لأنهم ﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾، هكذا " حُمِّلُواْ " وهو فعل ماض مبني للمجهول مع وجود الشدة " حُمِّلُواْ " فهناك من حمّلهم التوراة، هناك من كلّفهم بالتزام ما في التوراة فهم لم يحملوها بل حمّلوها، فلا رغبة لديهم في حملها والالتزام بها، وهم ليسوا علماء ولا عقلاء، فلو كانوا كذلك لأسرعوا إلى حملها والالتزام بها، وحتّى لما كلّفوا بحملها، لم يقبلوها بسهولة بل بتعب ومشقّة، وكأنّ موسى عليه السلام وهو يأمرهم وينهاهم تعب معهم، والحقيقة أنّ هذا الذي وقع.

فهؤلاء الذين تكبّروا على رسالة الله تعالى التوراة، لم يفهموا خيرها، لا يصلحون لأن تكون فيهم النبوة، وهم لا يصلحون لقيادة الناس، ولا يصلحون لربط الناس بربهم. وتزداد هذه الحقيقة وضوحا بالنظر إلى الحرف ( ثم) فهم ومع مرور زمن طويل، جيل بعد جيل، العقلية واحدة.. النفسية واحدة.. السلوك واحد، لأن (ثُمَّ ) تفيد معنى الترتيب والتراخي في الزمن، فهم لم يلتزموها أي أوامر التوراة زمنا طويلا حتى زمن النبيّ عليه السلام، فهم لا يستحقون أن تكون فيهم النبوة.

-التشبيه بالحمار يشير إلى معان تتعلّق بطبيعة اليهود وصفاتهم النفسية والفكرية والسلوكية.. فالحمار معروف أنّه لا يعرف ما يحمل فوقه، فهو لا يعقل، فاليهود إذن لا يعقلون، لأنهم لم يعملوا بالتوراة التي فيها خير لهم.. والحمار غالبا ما يسير دون تحديد هدف ولا غاية، وإنما الذي يحدّد هدفه وغايته بطنه فأينما وجد الأكل أقام في ذلك الموضع يأكل، وهو لا يفرّق بين أكل هو ملك لصاحبه أم قد تعدّى على أرض الغير فهو متعدّ ظالم. وكذلك اليهود يتحرّكون في حياتهم دون هدف نبيل، فمصالحهم المادية هي التي تحدّد أهدافهم، وهم لا يتّبعون التوراة في الحلال والحرام، بل يجمعون المال بأي أسلوب دون النظر إلى حكم الله تعالى.

ويستفاد من هذا أنّ المسلمين أيضا إن لم يكن لهم في الدنيا هدف واضح مرتبط برضا الله تعالى، وأنهم في تصرفاتهم يقعون في الحرام ولا يبالون، فهم كهؤلاء اليهود، وهم كالحمار لا يعقلون وهم جاهلون، ففي الآية( تعريض بنا نحن المسلمين، إذا لم نطبق أحكام القرآن الكريم)[1].

– طبيعة الحمار أنّه لا يمشي بسهولة بل يحتاج إلى من يقوده، وأحيانا يحتاج إلى ضرب حتّ يمشي، وإذا وجد أكلا يشتهيه توقّف عن السير.. وأنّه لا يفهم بل يكرّر معه نفس الأسلوب ذهابا وإيابا فاليهود إذا مثله، ليسوا بأحرار قد يحتاجون إلى السوط والقوة حتى يعملون ما طلب منهم.وكذلك المسلم إذا ترك دينه، وانحرف سلوكه عن الإسلام فإنّه يفسد طبعه، فيصبح لا يقوم بواجباته إلا بوجود آمر وموجّه، وربّما بعنف وهذا طبع الحمار.

– قوله تعالى:﴿ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا ﴾ المعنى: علموا بها و لم يعملوا[2]. وكأنّ المشكلة في اليهود أنهم أغبياء وحمقى، ومع ذلك فهم إذا علموا أشياء من دينهم لم يلتزموا بها فكانوا عند الله من المكذّبين بآيات الله تعالى إذ لم يعملوا بها، وجعلهم من الظالمين إذ لم يحرّموا ما حرّم الله بل خالفوا الأوامر.

والمثل صالح للمسلم كي يعرف موقعه من الإسلام، ودرجته عند الله تعالى، فالنقاش العلمي والفكري بين المسلمين مقبول، ولكن لا معنى لادّعاء العلم بالدين ومعرفة الشرع، مع عدم تطبيق أوامر الله تعالى والتزام الواجبات( التعاون– الجود..).فالحمار يحمل كتبا فيها علم ولا يعقلها ولا يعمل بها لأنّه حمار، وكذلك الذي يحفظ آيات الله ويعرفها ولا يعمل بها فهو كالحمار.

–وإذا كان اليهود كالحمار،لم ينتفعوا بالتوراة التي فيها خير لهم، حفظوها وحملوها باللسان، ولكنّهم في الواقع كذّبوا بها، إذ لم يطبقوها فكانوا بذلك من الظالمين، ظلموا أنفسهم إذ ساروا بها إلى العقوبة وغضب الله في الدنيا وإلى النار يوم القيامة، وظلموا ربهم إذ هو ربهم وخالقهم، ومع ذلك تمردوا عليه وعصوه،وظلموا الأنبياء إذ أنهم لم يسلموا مثلهم بل عادوهم وحاكوا المؤامرات ضدّهم.. وإذا كان اليهود بهذه الصفات وبهذا السلوك فما الموقف منهم؟

[1] – الإبداع البياني في القرآن العظيم: محمد علي الصابوني، ص 350.

[2] – الكشاف: الزمخشري، ج4، ص 103.

حسب هذا التشبيه التمثيلي، فإنّ الله تعالى يدع المسلمين إلى عدم موالاة اليهود وهم عند الله ظالمون، بل لابدّ من المعاداة لهم ماداموا على ظلمهم، وأنّه لا ثقة فيهم أبدا، فمن أساء الأدب مع الله تعالى، فأيّ أمانة عنده وأيّ وفاء لديه؟.

هذا قليل من كثير، وهذا من إعجاز القرآن، آية واحدة وتشبيه واحد، ومع ذلك معان وأسرار كثيرة هذا( ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد، غير الذي سبق إلى فهمك أول مرة)[1].

## 7- ذات أبعاد تربوية مختلفة:

تشمل ما يتعلّق بالفرد و المجتمع.. بالدنيا والآخرة.. بالروح والعقل والجسد. جاء في (فصول في البلاغة): وهذا معلم من معالم اتصال البلاغة بالمجتمع، وخروجها من دائرة معرفة الاصطلاح البلاغي إلى الخدمة الاجتماعية ولذلك ورد في القرآن الكريم كثير من الكنايات التي عدل بها عن التصريح تنزيها عن اللفظ المستهجن[2].

إنّ الصورة البيانية لم يكن أبدا الهدف منها مجرد الاستعمال، ولكن لخدمة الإنسان فكريا ونفسيا وحضاريا. ولذلك ( ضم النقاد والمحدثون، علوم البلاغة و مصطلحاتها تحت اسم الصورة أو الأسلوب أو النقد أو الأدب غير مغفلين سمات كل تشكيل بلاغي، ولكنهم أبرزوا هذه السمات من خلال العمل المتكامل والنظرة الشمولية والجمالية والنفسية والاجتماعية والحضارية وهم بهذا الاتجاه الجديد يعودون إلى نظرة المدرسة الذوقية في تاريخ البلاغة العربية[3]. بمعنى أنّ قيمة (المصطلح البلاغي تظهر من خلال الصورة، ومدى ما يحمل من قيمة حضارية أو اجتماعية أو إنسانية)[4].

ويؤكّد هذا المعنى مصطفى صادق الرافعي حيث يرى أنّ لغة القرآن (الأدب) بما في ذلك الصورة البيانية، كانت تهدف إلى تأسيس الخلق الإنساني. يقول: من أجل ذلك كانت آداب القرآن ترمي في جملتها إلى تأسيس الخلق الإنساني المحض الذي لا يضعف معه الضعيف دون ما

---

[1] - النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: د، محمد عبد الله دراز، دار العلم، الكويت، ط2، 1425هـ/2004م، ص 100.

[2] - فصول في البلاغة: محمد بركات حمدي أبو علي ، ص 152.

[3] -: المرجع نفسه: ص 193.

[4] - المرجع نفسه: ص 205.

يحب له،ولا يقوى معه القوي فوق ما يجب له، والذي يجعل الأدب عقيدة لا فكرا إذ تنبعث عليه البواعث من جانب الروح[1].

بل الأكثر من ذلك أنّه يرى أنّ لغة القرآن المعجزة بما فيها من صور البيان هي التي كانت وراء وحدة العرب من قبل، يقول: فجاء القرآن الكريم أفصح الكلام وأبلغه لفظا وأسلوبا ومعنى، ليجد السبيل إلى امتلاك الوحدة العربية التي كانت معقودة بالألسنة يومئذ[2] . ويقول د. حسين جمعة: ومن ثمّ يثبت لنا أن البيان القرآني لم يرتكز في الشكل دون المضمون والغرض الخلقي، حتى غدا المصدر الذي تقتدي به الأقلام في ماهية الجمال وطبيعته، مما يعني أن الجمال ليس أحادي الاتجاه، ولا يكمن في الشكل دون المضمون[3].

وجاء في (الصورة الأدبية في القرآن) نقلا عن أمين الخولي: وأن هذا الفن ليس ترفا وكمالا في الحياة، بل هو مادة إنسانية الإنسان، وعنصر معنويته، وليس غير هذه الإنسانية والمعنوية يخلق الحضارة.ويوجد المدنية، والفن القولي أمس الفنون اتصالا بهذه المعنوية وتلك الإنسانية[4].

وإذا كان القرآن معجز بكل ما فيه، فمن ذلك بيانه- هذا الإعجاز البياني، من شأنه أن يعطي كل جيل من المعاني ما يلائم طبيعته وحياته، وتقدم له من الحلول لكل مشكلة حادثة، فالنظر في صور البيان القرآني، لا يكون على سبيل أخذ أمثلة عامة في درس من دروس التعليم، ثم أخذ معنى سطحيّ عام فحسب، بل يجب البحث وبعمق لاستنباط ما أمكن من مقاصد وأبعاد، يقول منيب الطحان: ولكل عقل حاجته، وبنفس الآية، هناك آيات تعطينا الآن عمقا جديدا في معناها، لم يصل إليه أحد في وقت نزول القرآن، صحيح أن الأحكام التكليفية لا تتغير فيها، إلا أن هناك أشياء متصلة بقوانين الخلق والكون لم يكن للعقل البشري الاستعداد العلمي وقت نزولها ليفهمها تماما، مثل كروية الأرض وعلم الأجنة[5].

---

[1]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، ص 81.

[2]- المرجع نفسه: ص 139.

[3]- التقابل الجمالي في النص القرآني: د، حسين جمعة، ص 56.

[4]- الصورة الأدبية في القرآن: د، صلاح الدين عبد التواب. ص 37.

[5]- الإعجاز في القرآن طريق إلى الإيمان: منيب الطحان، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1420 هـ/ 1999م، ص 21.

ومثال ذلك:

قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

في الآية الكريمة بيان لأهم مواصفات المؤمنين، الطاعة الكاملة والانقياد المطلق لأوامر الله تعالى دون تردّد « سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا» أي( سمعنا قولك وأطعنا أمرك)[2]. وهذا هو أدبهم مع الله دائما، وفي الآية ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، تعريض بالمنافقين الذين يقولون﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] . فهم ( ينتسبون إلى الإيمان قولا،ويرفضون تنفيذ مقتضاه عملا، وبذلك يسيئون إلى المؤمنين الصادقين بعد إساءتهم إلى أنفسهم)[4]. إنّ الإيمان الحق إذا غرس في نفس أثمر طاعة لله تعالى، والمؤمن الصادق يؤثر العمل على القول، لأنّه آثر الآخرة على الدنيا، وعرف ما عند الله تعالى يوم القيامة، فلم يكثر من القول،بل عمل عملا.

جاء في (التحرير والتنوير):« إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ...»: جيء في وصف المؤمنين بالفلاح بمثل التركيب الذي وصف المنافقون فيه بالظلم بصيغة القصر المؤكد ليكون الثناء على المؤمنين ضد المذمة للمنافقين تاما، واعلم أن القصر المستفاد من هنا قصر إفراد لأحد نوعي القول فالمقصود منه الثناء على المؤمنين برسوخ إيمانهم وثبات طاعتهم في المنشط والمكره.. وفيه تعريض بالمنافقين إذ يقولون كلمة الطاعة ثم ينقصونها بعضها من كلمات الإعراض والارتياب)[5].

وإذا كان المسلم يحتكم إلى دينه في مجال الخصومات والمنازعات، فهو من باب أولى الانقياد لأوامر الله تعالى المتعلقة بالعبادات كالصلاة والزكاة وغير ذلك.

---

[1] – النور 51.

[2] – الجواهر في تفسير القرآن: الشيخ طنطاوي جوهري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1350هـ، ج12، ص98.

[3] – النور 47.

[4] – مع الله في صفاته وأسمائه: حسن أيوب، دار الشهاب باتنة، الجزائر، ص 25.

[5] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج18، ص 275.

ومن أسرار التعريض هنا:

- عدم الاحتكام للإسلام في أمور الخصومات والتراعات علامة من علامات النفاق.﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

- الإسراع في تنفيذ توجيهات وأحكام الإسلام دليل الإيمان الصادق ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ ﴾.

**المبحث الثالث: الصورة البيانية أسرار وأبعاد.**

مما لا شك فيه أنّ القرآن الكريم،حين استعمل الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وكناية ونحو ذلك من الصور البيانية، لم يقصد هذه الصور لذاتها، بل لغايات وأهداف تتناسب مع غايته الكبرى وهي هداية الناس إلى كل خير. فالصورة( منهج- فوق المنطق- لبيان حقائق الأشياء)[1]. يقول مصطفى صادق الرافعي: ولسنا نقول إن القرآن جاء بالاستعارة لأنها استعارة أو بالمجاز لأنه مجاز أو الكناية لأنها كناية أو ما يطرد مع هذه الأسماء والمصطلحات إنما أريد به وضع معجزة في تناسق ألفاظه وارتباط معانيه على وجه السياستين من البيان والمنطق[2].

وإذا كانت للصورة البيانية في القرآن أهداف كثيرة منها: أنها تدلّك على إعجاز القرآن البياني. فالأسلوب الحقيقي هو الأبلغ و الأتمّ والأصلح في مكانه والأسلوب المجازي كذلك وذلك في القرآن كلّه( فمن أظهر الفروق بين أنواع البلاغة في القرآن، وبين هذه الأنواع من كلام البلغاء، أنّ نظم القرآن يقتضي كل ما فيه منها اقتضاء طبيعيا بحيث يبنى هو عليها لأنها في أصل تركيبه، ولا تبنى هي عليه، فليست فيها استعارة ولا مجاز ولا كناية ولا شيء من مثل هذا يصح في الجواز أو فيما يسعه الإمكان أن يصلح غيره في موضعه إذا تبدلته منه، فضلا عن أن يفي به،وفضلا عن أن يربى عليه، ولو أدرت اللغة كلها على هذا الموضع[3].

---

[1]- الصورة الأدبية: د، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص 08.

[2]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، ص 210.

[3]- المرجع نفسه: ص 174.

وإذا كان القرآن يستخدم صور البيان بشكل معجز، فإنّه يبغي وراء ذلك الإعجاز، تنبيها للعقول حتّ تأخذ معان، وتأثيرا في النفوس حتى تترك شرا أو تفعل خيرا. يقول د. صلاح الدين عبد التواب: وحتى الآيات التي تناولت أمر العقيدة، وتناولت عرضها، إذا نحن نظرنا إليها وجدناها تخاطب العقل والقلب معا، فلا هي بالألفاظ والعبارات الرتيبة التي يضيق بها سامعها أو قارئها، ولا هي بالمعاني المجردة الغامضة، التي تثير اللبس والإبهام وإنما هي الصور الأدبية الرائعة التي جمعت في إطارها رونق اللفظ، ورشيق المعنى، وجمال الاتساق حتى كانت تلك الصور الحية النابضة، التي تملاها الخيال، فلا يكاد ينتهي عنها إلا وقد انطبعت في النفس، وأثرت في الحس وأقنعت العقل وأمتعت الوجدان[1].

ولذلك فالدراسة البيانية للقرآن الكريم، لا تقف عند حدود استخراج صور البيان من تشبيه واستعارة وكناية ونحو ذلك وبيان أنواعها، بل يجب البحث في غاياتها وأبعادها، فقد استخدمت على نحو يمكن معه اكتشاف معنى، أو استنباط حكم في قضايا مختلفة اعتقاديه وأخلاقية ونفسية وغير ذلك. يقول الأستاذ ناصر حامد أبو زيد: إن عملية التفسير تنصب على النصوص اللغوية، وتقوم على تحليل المعطيات اللغوية للنص، ولكنها تهدف إلى الكشف عن مستويات المعنى الباطني... وتصبح مهمة المفسر هي النفاذ إلى عالم النص وحل مستويات المعنى الكامن فيه، الظاهر والباطن، الحرفي والمجازي، المباشر وغير المباشر[2].

ومن الضرورة بمكان أنّه ينبغي على مفسر القرآن لغويا وبيانيا، أن لا يهدف إلى إظهار الإعجاز البلاغي من حيث المسائل البلاغية، والبحث عن جماليات الشكل، بل يكون هذا المدخل إلى البحث في المعاني التي تضمنتها الحروف والكلمات والصور البيانية، فلعلمي ( المعاني والبيان مزيد اختصاص بعلم التفسير لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز)[3].

وقد بيّن ابن خلدون أنّ استنباط أحكام الشريعة من القرآن مرتبط بجملة من العلوم منها (علم البيان)، فهو يربط بين الدراسة البيانية وبين استنباط الأحكام، يقول: أركان علوم اللسان

---

[1]- الصورة الأدبية في القرآن الكريم: د، صلاح الدين عبد التواب، ص 02.

[2]- إشكاليات القراءة وآليات التأويل:نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط7، 2005م، ص 46.,

[3]- أصول التفسير وقواعده: الشيخ خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،ط4 ،1424هـ/2003م، ص 43.

العربي أربعة: اللغة والنحو والبيان والأدب. ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة[1].

إنّ من أهداف القرآن الترغيب في الدار الآخرة، والتزهيد في الحياة الدنيا، والحياة الدنيا قد زيّنت حتى أنّ أكثر النفوس لا تقوى على ترك التعلّق بها والنظر إلى الآخرة، فكان من أساليب القرآن المستخدمة الأسلوب البياني علّه يلقى من بعض النفوس قبولا. يقول د. عبد الفتاح لاشين: دعا القرآن إلى الإيمان بالبعث، وباليقين بالدار الآخرة، لكن تلك الدعوة لقيت صدودا من الكافرين، وعنادا من المشركين، فكان لا بد أن يتضمن القرآن من أساليب البيان والتصوير ما يزهدهم في الدنيا ويرغبهم في الآخرة، ويحتوي من صور التمثيل ما يصور قصر الحياة الدنيا، التي عظموها بقولهم: (ما هي إلا حياتنا الدنيا)، ويسموا بالحياة الآخرة ويكشف لهم عن حقيقتها ويجسم فناء هذا العالم العام بالجمال والآمال[2].

وجاء في كتاب (من روائع القرآن): ثم إن التصوير القرآني يتدرج في مظاهر متعددة بوسائل مختلفة، وكثيرا ما تجد هذه المظاهر كلها مجتمعة في نص واحد، وقد تجد بعضها متفرقا في نصوص متعددة، فأول مظهر للتصوير، هو إخراج مدلول اللفظ من دائرة المعنى المجرد إلى الصورة المحسوسة والمتخيلة[3]. المظهر الثاني: تحويل الصور من شكل صامت إلى متحرك حي. المظهر الثالث: تضخيم المنظر وتجسيمه حينما يكون الجو والمشهد يقتضيان ذلك، والوسيلة القريبة إلى تحقيق هذه المظاهر لا تعدو أن تكون استعارة، أو مجازا مرسلا، أو تشبيها وتمثيلا، وهذه الوسائل التي وضع عليها علم البيان، إنما هي قواعد استخلصت واستنبطت من التصوير الذي انطوى عليه أسلوب القرآن الكريم، فالقرآن هو أساس لهذه القواعد وليس العكس كما قد يتوهم)[4].وهذا التصوير الرائع للمعاني من خلال صور البيان هو الذي يترك أثرا فكريا أو نفسيا.

وبمناسبة الحديث عن أهداف وأبعاد الصورة البيانية في القرآن على وجه العموم، فلا بأس أن نبرز أهداف كل صورة بيانية على حدة: التشبيه- المجاز- الكناية والتعريض ، ذلك أنّ أصول

[1]- المقدمة: عبد الرحمان ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان، ص 545.

[2]- البيان في ضوء أساليب القرآن: د، عبد الفتاح لاشين ، ص 52.

[3]- من روائع القرآن:د، محمد سعيد رمضان البوطي، ص 199.

[4]- المرجع نفسه: ص 199.

البيان أربعة ( أصلان ذاتيان، وهما المجاز والكناية، وواحد وسيلة وهو التشبيه وواحد جزء من أصل وهو الاستعارة[1].

**أولا: بلاغة التشبيه:**

إنّ الغاية من استعمال الصورة البيانية، من تشبيه، استعارة، وكناية... لا تقتصر على الجانب الشكلي، وإنما التأثير في النفس، لتفعل خيرا، أو تترك شرا، وتقبل على حق أو تعرض عن باطل، وجمالية الصورة تكمن في(دقة التصوير وروعته في إثارته الحواس المختلفة، والعواطف المتباينة، مما يثبت الصورة في الإدراك والوجدان، وهذا الأمر هو الذي وجه أنظار العلماء، فتنبهوا إلى الصورة القرآنية في قوتها وروعتها، وبذلوا الجهود المشكورة في سبيل إبرازها، والوقوف على أسرار إعجازها، وذلك لما رأوه في الصورة البيانية القرآنية من آثار نفسية رائعة)[2].

ومن صور البيان التي لقيت اهتماما كبيرا، التشبيه. يقول د. صلاح الدين عبد التواب: وقد أدرك الأدباء منذ القديم عظم التشبيه، ومنزلته في التصوير البياني، فهو عندهم من الصور التي تراود الخيال، وبه تحسن الصورة المراد التعبير عنها[3].

وإذا كان التشبيه أنواعا، فإنّ قسم التمثيل أدق بلاغة وأعظم تأثيرا. جاء في ( الإيضاح في علوم البلاغة): فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به. لاسيما قسم التمثيل منه- يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك[4]. وجاء في( الصورة الأدبية في القرآن): وإذا كان للتشبيه المفرد روعته وجماله، وبساطته ووضوحه، فإن التمثيل أحفل منه منظرا، وأوسع مدى من التشبيه المفرد، كما أن له روعته في البيان، وقوته في الإيضاح وجماله في التصوير[5].والقرآن الكريم (حافل بصور التشبيه التمثيلي وما ذاك إلا لتلك الآثار) [6].

---

[1]- البيان في ضوء أساليب القرآن: د، عبد الفتاح لاشين، ص 52.

[2]- الصورة الأدبية في القرآن الكريم: د، صلاح الدين عبد التواب، ص 43,

[3]- المرجع نفسه: ص 44.

[4]- الإيضاح في علوم البلاغة: الإمام الخطيب القزويني، دار الكتاب اللبناني، ط5،1400 هـ- 1950م، ص 328.

[5]- الصورة الأدبية في القرآن: د، صلاح الدين عبد التواب، ص 53.

[6]- المرجع نفسه: ص 56.

وكما هو شأن القرآن، أحكمت آياته ثمّ فصلت من لدن حكيم خبير، كل حرف في مكانه، وكل لفظة في موقعها، فإنّ صورة التشبيه وغيرها، تستعمل بدقة، من استعمال أمثل للألفاظ والفاصلة إلى استغلال أروع لعناصر الوجود التي يحياها الإنسان ويتأثر بها.

إنّ التشبيهات في القرآن (لم تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء، بل تتجاوزها إلى المماثلة النفسية وتعمقها حتى أضفت عليها حياة شاخصة وحركة متجددة، فانقلب المعنى الذهني إلى هيئة أو حركة. وتجسمت الحالة النفسية في لوحة أو مشهد، وليس هذا فحسب،بل يبرز جمال التشبيه القرآني ما فيه من إبداع في العرض وجمال في التنسيق وروعة في النظم والتأليف وجرس في الألفاظ يدل على صورة معانيها[1]. فمن روعة وبلاغة التشبيه في القرآن أنّه دقيق ( في الاختيار المناسب لكل جزئية من جزئيات التشبيه، بالإضافة إلى أن صور هذا التشبيه الرائع منتزعة من الحقائق المسايرة لنظام الكون، والموافقة لطبائع الناس، كما أنها كلها صور مما يقع عليها البصر أو يدركها الفكر فلا غموض ولا إبهام،فهي صور شملت مظاهر الكون بأسره، بما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد[2].

وممّا يتميّز به التشبيه كذلك الإيجاز، ومع ذلك فهو يحتوي على معان غزيرة، لذلك فالبليغ (يؤثر أسلوب التشبيه لما يحتويه من فوائد تعود على الأسلوب، من وضوح الفكرة والمبالغة فيها والإيجاز للوصول إلى الغرض)[3]. ولعل الشيء الذي يستوقف الدارس في تشبيهات القرآن الكريم هو غورها في أعماق النفس الإنسانية وسبرها لمظاهر الكون والطبيعة واستقطابها لملامح الحس والإدراك البصري والسمعي وسبك ذلك كله في صياغة موحدة تنظر إلى هداية الإنسان وتهيئة ذهنه بما يحس أمامه وبين يديه وما يدركه واعيا في حياته العامة)[4]

وخلاصة القول أن التشبيه في القرآن له غايات وأهداف تتعلق بالتربية الفكرية والنفسية والسلوكية.

---

[1] -.- الصورة الأدبية في القرآن الكريم: د، صلاح الدين عبد التواب، ص 57.

[2] - المرجع نفسه: ص 51.

[3] - البيان في ضوء أساليب القرآن: د، عبد الفتاح لاشين ، ص 107.

[4] - خصائص التشبيه في القرآن الكريم: د، رابح دوب، مجلة العلوم الإسلامية، دورية تصدرها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. عدد03،ص57.

ومن أمثلة ذلك:

قال الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[1].

الدراسة البيانية تعتمد أساسا على الكلمة( اللفظة) فأنت ترى أنّ( الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير، وهي غرة جميعه، وواسطة عقده. والمنادي على نفسه بتميزه وتخصصه برونقه وجماله واعتراضه في جنسه ومائه)[2]. فكل كلمة في القرآن لها معنى خاصا يتماشى والسياق الذي ترد فيه ولذلك (يتعذر علينا جميعا الإتيان بكلمة أخرى مماثلة لها في موضعها)[3]. لأجل ذلك نبحث أولا في معاني أهم المفردات قبل الحديث عن أسرار وأبعاد التشبيه التمثيلي الوارد في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ ﴾.

السراب:الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء وهو يكون نصف النهار[4].وقيل: نهر رقيق يرفع من قعور القيعان فإذا اتصل به ضوء الشمس أشبه من بعيد الماء السارب أي الجاري واشترط فيه الفراء اللصوق بالأرض[5].

قيعة:قيعة جمع قاع( أرض مستوية منخفظة عما يحيط بها)[6]. الظمآن: شديد العطش[7]. العطش[7].

لجيّ: منسوب للجة، وهو الماء الكثير بعيد الغور[8].

---

1 – النور: (40/39).

2 – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، ص42.

3 – التفسير البياني للقرآن الكريم: د، عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، دار المعارف، مصر، ج2، ص 09.

4 – لسان العرب: ابن منظور، إعداد: يونس خياط، دار لسان العرب، بيروت، م2، ص126.

5 –تفسير روح المعاني: الشيخ ابو الفضل محمد الألوسي، م6، ج18، ص180.

6 – معجم ألفاظ القرآن الكريم: ج2،ص 916.

7 – المصحف الميسر:عبد الجليل عيسى، ص 464.

8 – المرجع نفسه: ص464.

في هاتين الآيتين حديث عن أعمال الكافرين وأحوالهم، هذه الأعمال وإن حسنت في الدنيا ولأنها خالية من التوحيد والإخلاص لله تعالى، فهي غير نافعة في الآخرة، وأنّ أحوال الكافرين مضطربة في الدنيا، وإن ادّعوا الفلسفة والتقدم العلمي والتكنولوجي، بسبب بعدهم عن الإيمان الصحيح الذي بيّنه القرآن الكريم، والذي وحده المؤدي إلى الاستقرار النفسي والاجتماعي.

وقد استعمل الله تعالى في هاتين الآيتين ولتقرير الحقائق المذكورة سابقا صورة بيانية وهي التشبيه التمثيلي في كل منهما، هذا التشبيه له أسرار وأبعاد مختلفة:

أولا: خسارة في الآخرة وضلال في الدنيا:

أراد الله تعالى أن يبيّن حال الكافرين، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فضرب لذلك مثلين فحاله في الآخرة﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ ﴾. فقد( شبه ما يعمله من لا يقرن الإيمان المعتبر بالأعمال التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر، بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة، فحسبه ماء فيأتيه، فلا يجد ما رجاه، ويجد زبانية الله عنده، فيأخذونه ويعتقلونه إلى جهنم، فيسقونه الحميم و الغساق، فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض وذلك أنّه روعي من الكافر فعل مخصوص وهو حسبان الأعمال نافعة له، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة، وهي صورة الأعمال الصالحة التي وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الإيمان به وبرسله عليهم السلام، وأنها لا تفيدهم في العاقبة شيئا، وأنهم يلقون فيها عكس ما أملوه وهو العذاب الأليم، وكذا في جانب المشبه به)[1].

أما حالهم في الدنيا ففي قوله تعالى:﴿ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ ﴾. فقد( تضمن صفة أعمالهم في الدنيا أي أنهم من الضلال في مثل هذه الظلمات المجتمعة من هذه الأشياء. وقيل في هذا المثال أجزاء تقابل أجزاء من الممثل به: فالظلمات الأعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلة، والبحر اللجي صدر الكافر وقلبه، اللجي معناه ذو اللجة وهي معظم المياه وغمره واجتماع ما به أشد لظلماته هو الضلال والجهالة التي غمرت قلبه والسحاب هو شهوته في الكفر وإعراضه عن الإيمان. وقوله: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۚ ﴾ لفظ يقتضي مبالغة الظلمة، واختلف في هذه اللفظة هل معناها

[1] – الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، ص352.

أنه لم ير يده البتة أو المعنى أنه رآها بعد عسر وشدة وكاد أن لا يراها ووجه ذلك أن كاد إذ صحبها حرف النفي وجب الفعل الذي بعدها وإذ لم يصحبها انتفى الفعل وكاد معناها قرب)[1].

فالكافرون وإن حسنت الكثير من أعمالهم- فكيف وهي سيئة في معظم الأحوال- لا تنفعهم في الآخرة، إلا كما ينتفع العطشان من السراب، أما في الدنيا فهم في فوضى واضطراب وقلق، كمن غرق في بحر متلاطم الأمواج يرجوا النجاة، وهيهات أن يحصل عليها.

ويؤيد هذا الرأي القائل بأنّ التمثيل المتضمن في الآيتين، موزّع بالاعتبار الزمني، فالأول تمثيل لحالهم في الآخرة، والثاني تمثيل لحالهم في الدنيا، الشيخ المراغي في تفسيره، حيث يرى أنّ الآية الأولى بيّنت حال الكافرين في الآخرة، والثانية بيّنت حالهم في الدنيا، فمعنى الآية الأولى( شبه الأعمال الصالحة التي يعملها من جحدوا توحيد الله وكذبوا بهذا القرآن وبمن جاء به ويظنون أنهم تنفعهم عند الله، تخيب في العاقبة آمالهم ويلقون خلاف ما قدروا، بالسراب يراه من اشتد به العطش فيحسبه ماء فيطلبه ويظن أنه حصل على ما يبغي، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، هكذا حال الكافرين في الآخرة، أما حالهم في الدنيا فكما قال تعالى:﴿ **أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ** ﴾ أي ومثل أعمالهم التي عملت على غير هدى مثل ظلمات مترادفة في بحر عميق ماؤه، بعيد غوره، يغطيه موج من فوقه سحاب، فالظلمات هي أعمال الكافرين، والبحر اللجي قلوبهم التي غمرها الجهل وتغشتها الحيرة والضلالة، فلا تعقل ما في الكون من آيات ولا تسمع عظة الناصحين، ولا تبصر حجج الله فتلك ظلمات بعضها فوق بعض)[2].

وإذا كان التمثيل في الآيتين الاعتبار الزمني، فلماذا قدم المثل المتعلق بالآخرة على المثل المتعلق بالدنيا، وزمن الدنيا مقدم على زمن الآخرة؟. قدّم الله تعالى( أحوال الآخرة التي هي أعظم وأهم لاتصال ذلك بما يتعلق بها من قوله سبحانه( ليجزيهم..) ثم ذكر أحوال الدنيا تتميما لها.. وفائدة ذلك أن يعتبر ويتعظ ويفهم السامع أيا كان ليهتم بالآخرة فهي دار الخلود وهي أقرب إليه من الدنيا، إذ بالموت ينتقل إليها)[3].

---

[1] – الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمان الثعالبي، ت: د، عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج09،ص 189.

[2] – تفسير المراغي:أحمد مصطفى المراغي،دار الفكر،بيروت،ط3،1394ه-1974م، م6، ص113.

[3] – تفسير روح المعاني: الشيخ ابو الفضل محمد الألوسي، ج18، ص182.

وها هنا سر من أسرار التشبيه في الآيتين وهو أن يبقى الإنسان متذكرا لآخرته فهو في أي لحظة عرضة للموت والانتقال إليها، وأن يحذر من طول الأمل والحرص على الدنيا والتسويف للتوبة والطاعة.

ثانيا: علم الدنيا وحده لا يكفي:

في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ مثل لمن جاء بعمل ولو صالحا، لكنّه لم يأت بإيمان وإخلاص لله تعالى، فمثله كمثل من طلب ماء وهو عطشان، فلما جاء موضع الماء، علم أنّه كان يرى سرابا لا ماء، فهو لا ينتفع بأعماله في الآخرة، كما لم ينتفع هذا بالسراب.

ولا شك أن الذي يظن أنّ السراب ماء فيأتيه لينتفع به هو جاهل، فلو كان عنده علم بحال السراب ما أتعب نفسه للحصول على السراب، وكذلك الذي لا إخلاص له لله تعالى في أعماله ولا توحيد جاهل، فلو كان ذا علم لعلم أن التوحيد والإخلاص من شروط قبول الأعمال.وهذا يتعلّق باليهود والنصارى وكل من أشرك بالله تعالى في كل زمن.

وفي الآية الثانية﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ يبيّن الله تعالى( حال جميع الكفار والمنافقين وفيهم من قدر ذكرهم في المثال الأول، فالله تعالى يقول عن هؤلاء جميعا أنهم لا يقضون حياتهم من بدئها إلى آخرها إلا في حالة الجهل الكامل، ولو كانوا حسب اعتبارات الدنيا كبار علمائها وأساتذتها الذين قد سبقوا سائر أهلها في الفنون والعلوم والاختراع ولكن مثلهم – حسب بيان القرآن- كمثل رجل يعيش في مكان ليس فيه إلا الظلمة ولا ينفذ إليه من أي جوانبه شعاع واحد من النور، فيظن هؤلاء أن العلم إنما هو عبارة عن اختراع القنبلة الذرية أو الصاروخ الطائر إلى القمر، وأن المهارات في الاقتصاديات والماليات والقانون والفلسفة هي العلم، إلا أن العلم الحقيقي هو شيء آخر ليسوا على أدنى إلمام بألفه وبائه، فهم على الجهل المحض باعتبار هذا العلم، حيث إن رجلا من البدو لهو أعلم منهم إن

كان سعيدا بمعرفة الحق[1]. هذا التأويل يشبه قوله تعالى:﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[2]. فمن فقد علم القرآن المبيّن لطرق النجاة والرشد، لا شك يتصرف على غير هدى.. بغير نور.. فهو في فوضى واضطراب من أمره، فمثله كمثل سائر في الظلمات. ولعل هذا ما أشار الله إليه في قوله:﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ فمن ترك نور الله وهدى الله، فهيهات أن يجد ذلك في مناهج أخرى.

إنّ المتأمل في واقع البشرية اليوم يلحظ مصداق ما ذكر القرآن الكريم، فالعلوم الكونية حصل فيها التقدم، ولكنّ العالم يعيش أزمات نفسية وسلوكية واقتصادية واجتماعية.. الانتحار في عقر أوربا وأمريكا.. الحروب الظالمة هنا وهناك.. الصراعات الدولية.. فلا أمن ولا استقرار.. أليس هم من وصلوا إلى القمر؟ أليسوا هم أصحاب الصواريخ العابرة للقارات؟ لكن أين سعادة الإنسان؟

ختام الآيتين﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ من طلب الهدى والرشاد في غير دين الله ومنهجه، فلا هداية ولا رشاد له، مهما اتّبع من أديان ومناهج، وقد يكون المعنى( من لا يرحمه الله و ينور حاله بالمغفرة والرحمة فلا رحمة له)[3]. وإنما رحمة الله تكون لمن تعرض لها وكان أهلا لها بأن كان من الموحّدين المخلصين.

هناك ملاحظة جديرة بالتسجيل، بعد الحديث عن التشبيه التمثيلي في الموضعين، وهي أنّه تعالى عندما بيّن حال المؤمن الذي استنار بنور القرآن قال:﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ وعند بيان حال الكافر قال:﴿ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾. فصورة الكافر هنا تقابل صورة المؤمن هناك، فإذا كان حال المؤمن نور كله، بما له من تصور صحيح، وإيمان صادق، وسلوك قويم، فينعكس إيجابا على حياته ظاهرا وباطنا، فيطمئن قلبه، وتنتظم حياته، ويستقر أمره،فإنّ حال الكافر ظلام كله، بما له من اعتقاد خاطئ، وسلوك فاسد، فينعكس سلبا على حياته ظاهرا وباطنا، فيحزن قلبه وتضطرب حياته، ويعيش غير آمن ولا مستقر،ومن ضلّ في دنياه، خسر في أخراه.

---

[1] – تفسير سورة النور: أبو الأعلى المودودي،دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ص205.

[2] – الروم 07.

[3] – الجواهر الحسان: عبد الرحمان الثعالبي، ج3، ص189.

## ثانيا:بلاغة المجاز

### 1-المجاز المرسل:

المجاز عند أهل البلاغة ( كلمة استعملت في غير معناها الحقيقي لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي)[1]، وهو قسمان:

1- مجاز عقلي: ويكون في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له.

2- مجاز لغوي: ويكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة ومشابهة[2]. والمجاز اللغوي نوعان: مجاز مرسل واستعارة.

1- المجاز المرسل: ما كانت العلاقة فيه بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي غير المشابهة، وسمي مرسلا (لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة، أو لأن له علاقات شتى)[3]، علاقاته تستخلص من خلال السياق.

2- الاستعارة: وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له[4]. وسأقتصر في الدراسة على المجاز اللغوي (المرسل والاستعارة)،حتى لا يتشعّب البحث، وتكون الدراسة مركّزة ومفيدة.

ولقد ( اتفق أهل علم اللسان، وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن لأن القرآن نزل بلسان العرب، وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز ولا وجه لمن منعه لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى)[5]. وجاء في ( جواهر البلاغة): والمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفا بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع[6].

فالمجاز إذن له أبعاد تربوية، ومثال ذلك:

---

[1] – البلاغة العربية (علم البيان) في ثوبها الجديد: د، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ط10، 2006م، ج2، ص67.

[2] – المرجع نفسه: ج2، ص67.

[3] – الواضح في البلاغة العربية: محمد رزقان الفرخ، دار هبة وهدى، ط1، 1416هـ/1996م، ص113.

[4] – الإيضاح في علوم البلاغة: الإمام الخطيب القزويني، ج1، ص407.

[5] – ابن جزي ومنهجه في التفسير: علي محمد الزبيري، دار القلم دمشق، سوريا، ط1، 1407هـ/1987م، ج2، ص676.

[6] – جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي، ص249.

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴾[1].

ورد المجاز المرسل في قوله تعالى:﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾، فقد أراد الله تعالى(الصلاة، فأطلق اسم الجزء على الكل، لأن القراءة أحد أجزاء الصلاة)[2]، ولا شك أنّ في إطلاق الجزء وإرادة الكل فيه معنى الاهتمام بهذا الجزء، وأنّه من أهم الأركان، كما هو الشأن في قراءة القرآن في الصلاة.

وهذه الصلاة هي صلاة قيام الليل كانت مفروضة قبل فرضية الصلاة المعروفة ليلة الإسراء والمعراج، ثم أصبح قيام الليل مستحبا، وذكرها هنا في سورة المزمل دليل على رفعة شأنها عند الله تعالى. جاء في( الكشاف): عبر عن الصلاة بالقراءة لأنها بعض أركانها، يريد فصلوا ما تيسّر عليكم و لم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للأول[3].

جاء في سبب النزول: عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ . قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم، فأنزل الله﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ... ۚ ﴾)[4]. رواه الحاكم.

إنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم، وطلب من عباده تدبّر آياته،﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]. وقد أنزل بلسان عربيّ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2]، والعربية حقيقة ومجاز، وقد (اتفق أهل علم اللسان وأهل الأصول

---

[1] – المزمل 20.

[2] – الإبداع البياني في القرآن العظيم: محمد علي الصابوني، ص 377.

[3] – الكشاف: الزمخشري، م4، ص179.

[4] – أسباب النزول القرآني:د، غازي عناية، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط1، 1407هـ/1987م، ص398.

الأصول على وقوع المجاز في القرآن لأن القرآن نزل بلغة العرب وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز)[3].

ففي قوله تعالى:﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ دعوة إلى قيام الليل مع التخفيف والتيسير، حيث استعمل المجاز المرسل، فقد ذكر القراءة للقرآن وأراد الصلاة، وهي هنا قيام الليل ولا شك أنّ استعمال المجاز إنما يهدف لتحقيق جملة من المعاني و الأبعاد التربوية، سواء ما تعلق بضبط السلوك أو بتصحيح التصور أو تزكية النفس. ومن الأبعاد التي يمكن استخلاصها:

-إذا كان المقصود بقوله تعالى:﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ الصلاة، وإذا ذكر قراءة القرآن لأنها جزء من أجزاء الصلاة، بحيث لا تصح صلاة بدون قراءة قرآن، فإنّ هذا يدل على أهمية قراءة القرآن في الصلاة..هذه الأهمية تكمن في تصحيح تصور المسلم للصلاة عموما ولقراءة القرآن خصوصا، فقراءة القرآن في الصلاة كأنها هي الصلاة، والاهتمام بالصلاة واجب، من حيث الركوع والسجود والخشوع والاعتدال وغير ذلك، وإنّ أهم ما في الصلاة قراءة القرآن والقرآن توجيه وأمر ونهي من الله تعالى..فالمسلم في صلاته وهو يقرأ القرآن لابد أن يفهم ويعقل أنّ أهم ما في الصلاة فرضا أو نفلا قراءة القرآن، فلا بد أن يقرأ الآيات وهو يتصوّر أنّه أمام الله تعالى، وأنّ الله يوجهه ويأمره وينهاه..فإذا خرج من صلاته تعلّم أمرا أو نهيا أو حكمة.

-في قوله تعالى:﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ﴾[4].

كرّر القول مرتين﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾، ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ﴾. وفي موضع الحديث عن القتال في سبيل الله، والتجارة وغيرها من أعمال كسب الرزق، وفي هذا دلالة على أهمية قيام الليل ولو على سبيل التطوع، ذلك أنّ الحياة الدنيا مليئة بالفتن والمحن، وفيها ما يجعل الإنسان المسلم يغفل عن الآخرة..فكان قيام الليل وقراءة القرآن ولو يسيرا بخشوع ما يثبت

---

[1] - ص 29.

[2] - يوسف 02.

[3] - ابن جزي ومنهجه في التفسير: علي محمد الزبيري، ج2، ص 676.

[4] - المزمل 20.

المسلم وما يجعله يتذكّر آخرته، فلا يغترّ بالحياة الدنيا. وهذا في حق كل مسلم، فإذا كان المسلم داعية ومصلحا اجتماعيا، فهو أحوج ما يكون لسماع التوجيهات من الله تعالى وقد سكن الليل ونام الناس، فيأخذ ما به يستطيع مقاومة الفتن .يقول الشيخ محمد الغزالي: إن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أخشى الناس لله وأشدهم إحساسا بقرب لقائه وكان الجيل الذي حف به يتأسى به ويحيا على غراره فليس غريبا أن يقوم الليل مثله ويشد أزره في مكافحة الظلام الجاثم في صدر الدنيا[1].وبهذا المعنى يجب أن نفهم المغزى من الصلاة عموما، ومغزى قيام الليل خصوصا.

## 2- بلاغة الاستعارة في القرآن

لست هنا بصدد تعريف الاستعارة وبيان أنواعها، فذلك مبسوط في كتب البلاغة، وإنما أردت أن أبرز بعضا من بلاغة الاستعارة، والغاية من استعمالها خاصة في القرآن الكريم، كتمهيد لدراسة أبعادها في سورة البقرة.

وإذا كان القرآن الكريم حافلا بصور التشبيه، فإنه كذلك استعمل صورة الاستعارة، ذلك أن (للاستعارة تركيب يحمل على تخيل صورة جديدة وروعتها فيما تضمنته من تشبيه خفي مستور، وإذا كنا قد رأينا في التشبيه كيف تتحقق صفة من الصفات في شيء ما بصورة قوية، فإنا نرى في الاستعارة خطوة أبعد في التخيل، الذي يعبر عن تأثرنا بمظاهر الحياة والأحياء تعبيرا حافلا بمختلف المشاعر والأحاسيس، وما ذاك إلا لأنها من ذلك النوع الموحي الذي يجعل القارئ أو السامع يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، وتصوير المنظر للعين، وتنقل الصوت للأذن، وتجعل الأمر المعنوي ملموسا محسا[2]. فالاستعارة (قد تجسم الأشياء المعنوية وتعرضها في صورة مرئية ملموسة، فيكون لها الأثر البليغ، والوقع اللطيف)[3].

وإذا كانت الاستعارة تعتمد أساسا على اللفظ فبلاغتها ( إنما تكون بما فيها من إيحاءات وإشارات فنية يحملها اللفظ وما يطوي تحته من انفعالات ويصور من أحاسيس)[4]. وإذا كان للاستعارة تأثير في العواطف والنفوس، فلأن هذا التأثير يعتمد(كالرسم والتصوير على الخيال

[1] - نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: محمد الغزالي،ص 485.

[2] - الصورة الأدبية في القرآن: د، صلاح عبد التواب، ص 59.

[3] - المرجع نفسه: ص 193.

[4] - ا الصورة الأدبية في القرآن: د، صلاح عبد التواب، ص 199.

وعرض الصور والصفات والأعمال عرضا حسيا مجسما، يرى القارئ في ألفاظها من الألوان والمعاني ما يراه إذا هو نظر إلى رسم أو تبصر في تمثال)[1].

إنّ من الغايات الكبرى لاستعمال صور البيان- بما فيها الاستعارة- هو الوصول إلى عمق النفس للتأثير فيها إيجابا. يقول د، مصطفى ناصف:والاستعمال الاستعاري كان دائما المظهر الأساسي لإشاعة الحب وقدر من الوحدة بين ألوان النشاط البشري[2]. ويرى عبد القاهر الجرجاني أن فضيلة الاستعارة ترجع إلى أنها ( تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجد بعد الفضل فضلا)[3].ويستنتج مما سبق أنّ غاية الاستعارة التأثير والتوجيه.

ومن أمثلة ذلك:

أ-قال الله تعالى:﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾[4] .

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾، وهي استعارة (مكنية حيث شبه اللسان بالسيف الحاد المصلت، الذي يقطع الرؤوس، ويبتر الأعضاء، وحذف المشبه به وهو السيف ورمز له بشيء من لوازمه وهو (السلق) بمعنى القطع والضرب، ولفظ (حداد) ترشيح للاستعارة)[5].

قبل الحديث عن أسرار وأبعاد الاستعارة المختلفة، نبحث عن معاني بعض المفردات، بما يساعد على الفهم الصحيح لفهم الآيات ولفهم مقاصد الاستعارة.

---

[1]- المرجع نفسه :ص 192.

[2]- الصورة الأدبية: د، مصطفى ناصف، ص 06.

[3]- أسرار البلاغة: الإمام عبد القاهر الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، 14265- 2005م، ص 31.

[4] ــ الأحزاب( 18، 19).

[5] ــ الإبداع البياني في القرآن العظيم: محمد علي الصابوني، ص258.

المعوّقين: المعوّق: المثبط للهمم والعزائم، الذي يعوق الناس عن الجهاد وفعل الخير[1].

سلقوكم: تقول: سلقت اللحم عن العظم: قشرته، ومن المجاز: سلقه بلسانه[2].

بألسنة حداد: حداد جمع حديد، والحديد هو القوي من كل شيء. ويقال لسان حديد أي صارم كالسيف في إيلام المخاطب[3].

**المعنى العام للآيات:**

تتحدث الآيات عن المنافقين ودورهم في غزوة الأحزاب، إذ كانوا مع الذين حاربوا المسلمين من كفار قريش واليهود، وهم الذين قالوا بألسنتهم آمنا، وقالوا بأفعالهم ومواقفهم كفرنا.وقد استعمل الله تعالى ـــ وهو يريد التعريف بالمنافقين ويبين خفاياهم لجماعة المسلمين ليحذروهم ـــ استعارة مكنية كما أوضحنا من قبل.

ولهذه الاستعارة وبربطها بالسياق العام للآيات التي وردت فيها يمكن استخلاص المعاني والأبعاد التالية:

-﴿ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ﴾ هذه طبيعة المنافقين الحقد الدفين، العداوة العميقة، لمن؟ لجماعة المسلمين متى؟ « فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ » عند مجيء الفرج للمسلمين، عند زوال شدة الحرب، عند عودة الأمن للمسلمين، لماذا؟ لأنهم ودّوا لو أنّ المسلمين أهلكوا وقضى عليهم الكفار.. ولكنّ الكفار رجعوا إلى بلادهم، واليهود هزموا وتفرقوا.. فلم يحدث ما كان يود المنافقون.حينها يفتحون أفواههم ويخرجون ألسنتهم للطعن في المسلمين، وللنيل منهم، فلما سلم المسلمون من أذى الكفار واليهود بالسيوف، أخرج المنافقون ألسنتهم ليؤذوا بها المسلمين.. وكيف هي هذه الألسنة المؤذية، إنها حداد قوية الأذى تشبه السيف البتار القاطع.. ومعنى هذا أنّ العداوة متعمقة متجذّرة في نفوسهم، والحسد للمسلمين متمكّن من قلوبهم، فتبا لهم من بشر.

---

[1]- مختصر تفسير الطبري: ابن جرير الطبري ، ص204.

[2]- أساس البلاغة: الزمخشري، ص305.

[3]- المصحف الميسر: الشيخ عبد الجليل عيسى، ص 552.

فالاستعارة هنا من أبعادها الكشف عما في أنفسهم من العداوة والبغضاء.

– وإذا كان معنى( حِدَادٍ ) قوية، ولسان حديد أي صارم كالسيف .فإنّ المنافقين لا يؤذون النبي عليه السلام والمسلمين مجرد إذاية باللسان بمعنى إذاية بالكلام وحسب، بل هم يتطلعون ولو بغيرهم للقضاء علي المسلمين.. لأنّ الذي يشهر سفيه إنما يريد القضاء على خصمه، هؤلاء يستخدمون ألسنتهم بالسوء والأذى، ومقصدهم إيلام المسلمين وإحزانهم، حتى لا يتمتعون بنعمة الأمن، ونعمة النصر على الأحزاب. ويصدّق هذا قوله تعالى:﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ والمعوّق هو المثبط للعزائم، الداعي إلى التخلف عن الجهاد والتضحية، فهم يساعدون الكفار ويقفون ضد المسلمين. تبّا لهم كان الأولى بهم أن يدافعوا عن المدينة وهم مواطنوها، ويقفوا مع جماعة المؤمنين لا مع اليهود، لكنه النفاق يدفع إلى كل شر وكل رذيلة وكل سوء.

– يستخلص من الاستعارة كذلك أنّ مرض النفاق الذي يصيب بعض القلوب، يثمر أشواكا تلسع الناس وتؤذيهم، وهو مرض إذا انتشر هلك الأمة، وإن لم يداو أتعبها. فالنفاق ينتج البخل﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ ﴾، وينتج الجبن﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ إذا حدثهم النبي عليه السلام عن الحرب خافوا وجبنوا. هكذا ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ ﴾ أي: خوفا من القتل وفرارا منه[1].

إنّ في هذه الاستعارة ومن خلال السياق كله، تتبيّن خطورة النفاق، وعليه يجب على المسلم أن يفتّش في نفسه ليصدق مع الله تعالى، ويوقن بلقائه وحسابه ومعيّته، فالنفاق سيوقع صاحبه في المواقف السلبية، ففي وقت الجهاد والتضحية يجبن، ووقت العطاء والبذل والإنفاق يبخل، مثله مثل مريض البدن إذا كان المرض خطيرا ومهلكا، يقعد صاحبه في الفراش فلا يقدر على أداء الواجبات حتى الدنيوية منها.

– نستخلص أيضا أنّ من علامات النفاق البخل والجبن و إذاية الناس باللسان أو بغيره ناهيك أن يكونوا مؤمنين ولأجل إيمانهم يؤذون، فالله في نفس الآية يقول:«أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ».

[1] ـــ مختصر تفسير الطبري: ابن جرير الطبري ،م2، ص204.

– النفاق يحبط الأعمال وإن كان فيها خير أحيانا، فالله يتقبّل من المخلص الصادق، لا من المرائي الكاذب..والنفاق هو أن يظهر الإنسان بوجه أمام الناس،وفي قلبه عكس ما يظهره و يعترف بالإسلام ظاهرا.﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ﴾، فمن كان هذا حاله وهذا باطنه لم يقبل الله منه صلاته ولا غيرها﴿ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ﴾.

ب– قوله تعالى:﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.( فاطر 02).

في هذه الآية الكريمة استعارة تمثيلية حيث ( شبه الله تعالى إرسال النعم عليهم، بفتح خزائن الأموال والخيرات الكثيرة، من رزق، وصحة، وأمن، وحكمة، وعلم، وهو تمثيل بديع للخيرات التي يغدقها الله على عباده، فالفتح والإمساك كناية عن المنح والعطاء)[1].

ومن أسرار هذه الاستعارة:

– النعم والخيرات التي بيد الإنسان، مصدرها الله تعالى، وإن بذل الإنسان جهدا في كسبها، وعليه فالخالق يستحق الحمد والشكر. وما دامت النعم مصدرها الله، فحين تشاء إرادته إمساكها أو إفساد مصلحتها فعل، وعندها فلا يندم إلا الجاحد.

– الأصل أن يتعلق قلب الإنسان بالخالق ما دام العطاء منه، مع تقديم الأسباب فحسب دون طغيان. ((ومن يتوكّل على الله فهو حسبه)).

– استشعار الخوف من الله وتعظيمه، لأنّه قادر على إمساك ومنع كل نعمه وكل خير على من يشاء في اللحظة التي يشاء وبالكيفية التي يشاء. فكل نعمة كأنها مربوطة بحبل وأوله عند الله إن شاء أرسل وإن شاء أمسك.

## ثالثا: بلاغة الكناية في القرآن

[1] – الإبداع البياني في القرآن العظيم: محمد علي الصابوني، ص396.

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، نزل ( على نمط يعجز قليله وكثيره معا، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه، إذ النور جملة واحدة وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته)[1].

ومن هذا الإعجاز اللغوي والبلاغي، استعماله للكناية، وغايته تهذيب الأخلاق وتزكية النفس وتصحيح الاعتقاد، ذلك( أن الكناية ليست حقيقتها في ذلك الشكل المادي التعبيري فحسب، بل تتجاوزها إلى ما وراءها من حقيقة نفسية، فمجيء الكناية- إذا- هو بمثابة البرهان المادي لتلك الحقيقة النفسية، والقرآن الكريم وقد حشدت آياته بالصور الأدبية الرائعة لم يخل من هذه الصور الكنائية، بل وكما عرفناه دائما: النموذج الأعلى، والمثال الفرد لكل بيان[2].

وإذا كان الله قد اشترط في كتابه للطهارة الماء المطلق الذي لم يتغيّر لونه ولا طعمه ولا ريحه، فإنّه وهو يستخدم الأسلوب الكنائي يختار من الألفاظ والعبارات أجملها وأروعها، فلا غرابة ولا كراهة ولا ثقل، فالنفس تستروح، والأذن تستأنس، ولذلك فالكناية القرآنية تقوم (بنصيبها كاملا في أداء المعاني وتصويرها خير أداء وأدق تصوير، وهي حينا راسمة مصورة موحية وحينا مؤدبة مهذبة، تتجنب ما تنفر الأذن من سماعه، وحينا موجزة تنقل المعنى وافيا في لفظ قليل وهي - في كل ذلك- لا تخلو من الإيحاء والتصوير)[3].وقد ( أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح)[4].طبعا في موضعها حيث لا يكون أسلوب آخر كافيا لبلوغ الهدف.

و الخلاصة أنّ للكناية غايات تهذيبية تربوية للفكر والنفس والسلوك.ومن أمثلة ذلك:

أ- قال الله تعالى:﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ

[1]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي ، ص 64.

[2]- الصورة الأدبية في القرآن: د، صلاح الدين عبد التواب، ص 69.

[3]- المرجع السابق: ص 69.

[4]- دلائل الإعجاز: الأمام عبد القاهر الجرجاني، ص 89 .

بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[1].

الكناية في قوله تعالى:﴿ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾. ومعنى الكلام وليضعن خمرهن على صدورهن حتى لا تظهر زينة المرأة أمام الأجانب، ولكنّ الله تعالى آثر كلمة" يضربن" على" يضعن". والضرب ( تمكين الوضع والمعنى ليشددن وضع الخمر على الجيوب، أي بحيث لا يظهر شيء من بشرة الجلد والباء لتأكيد اللصوق مبالغة في إحكام وضع الخمار على الجيب)[2].

ولا شك أنّ في إيثار الكناية على الحقيقة، واستعمال "يضربن" بدل يضعن، أسرارا وأبعادا تربوية مختلفة منها:

– في الكناية﴿ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ بيان لكيفية وضع الخمار، لا وضع الخمار بأية كيفية، فالضرب معناه إحكام وضع الخمار على الصدر فلا تظهر زينة المرأة بحيث لا ينبغي ما يغري الرجال، ولو قال ( يضعن) فالمعنى أنّ المرأة المسلمة تضع خمارها كيف شاءت. وهكذا تعطي الكناية معنى فيه تصحيح للتصور، فالمرأة المسلمة لا يحق لها أن تضع الخمار كيف شاءت، بل تضعه بإحكام وإتقان، فلا زينة تظهر ولا إغراء يوجد.

– الله تعالى قال:﴿ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾، والخمر (بضمتين جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها و ينسدل على صدرها والجيوب جمع جيب وهو الصدر)[3]، فالواجب هو ستر المرأة المسلمة البالغة لزينتها أمام غير محارمها، وقد ختم الله الآية بقوله:﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾، فكلمة" جَمِيعًا " تفيد أنّ الخطاب موجه للرجال والنساء، للأزواج والآباء، ذلك أنّ تطبيق فريضة اللباس الشرعي" الحجاب" فريضة فردية وجماعية في آن واحد، فإما أنّ المرأة المسلمة البالغة تؤدي الواجب بنفسها، أو يوجد من ينصحها

[1] – النور 31.

[2] – التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ج18، ص 207.

[3] – الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1441هـ- 1991م. ج15، ص 112.

ويأمرها بالتزامه كالأب والزوج، ذلك أنّ آثار ترك اللباس الشرعي، وترك الستر، وإظهار الزينة أمام أعين المجتمع سيؤدي إلى فتنة عامة. لذلك شدّد الإسلام وجعل عقوبة قاسية على من لم تستر زينتها أمام الأجانب. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا[1].

– من المعاني كذلك أنّ الله تعالى حرم على المرأة إبداء زينتها ما عدا الوجه والكفين ولها أن تبدي زينتها أمام محارمها، وأعتقد أنّ إبداء الزينة بالشكل الذي يجذب الزوج اتّجاه زوجته واجب فالآية بدأت بالأزواج «إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ». ذلك أنّ فتنة النساء خطيرة على الرجال، فكان لا بد للزوجة أن تكفي زوجها، وتبدي زينتها وتخفي ذلك عن الآخرين من الغرباء. –أمر الله تعالى النساء المسلمات بأن « وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ » كما أمر قبل ذلك بغض البصر وحفظ الفرج فقال:﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾[2]. وبما أنّ التصوير في القرآن يقوم على أساس التناسق وذلك بوجود( التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض)[3]. فلا بد من وجود سر وحكمة في الأمر بغض البصر ثم الأمر بالستر بما يحقق من أقوى الغرائز، لذلك لا بد من وضع أسباب للوقاية من الانحراف، وتحديد شروط، وضع الخمار على الصدر وإخفاء زينة المرأة خارج بيتها أو أمام الأجانب، ومعنى ذلك أنّ غض البصر صعب مع عدم وجود ستر من قبل المرأة المسلمة للمساهمة في تطبيق واجب غض البصر وحفظ الفرج. وهذا بعد تربوي فيه تصحيح لكيفية علاج بعض المشكلات في علاقة الجنسين المرأة و الرجل ببعضهما.

ب– قوله تعالى:﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ (مريم 97).

---

[1] –صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص 80.

[2] . النور 30.

[3] . التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص 88.

هكذا " يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ " ذكر اللسان وهو يقصد اللغة، ولغة النبي صلى الله عيه وسلم هي العربية وهي لغة قومه، لغة القرآن الكريم، فاللسان هنا كناية عن اللغة. أي ( إنما أنزلنا عليك هذا القرآن بلغة قومك " اللغة العربية" لتبشر به أهل التقوى والإيمان وتخوف به أهل الكفر والعصيان ففي الآية كناية لطيفة)[1]. ومن أسرار الكناية هنا:

– الحكمة في تفضيل العربية لتكون الحاملة لكتاب الله تعالى لعباده، أنها وبعلم الله الأفضل في تقديم المعاني المرادة إلى العباد.

– أنّه على الإمام والمصلح أن يتّبع أسلوب التيسير لا التعسير في تعليم الناس وتوجيههم " يَسَّرْنَٰهُ ".

– على المصلح في كل زمان أن يتعلم العربية" لغة القرآن" ليسهل عليه فهم القرآن، ويسهل عليه التعريف بالقرآن.

– لسان المصلح ينتهج نهج التبشير والترغيب فهو أدعى لاستمالة القلوب وتربية النفوس والتأثير على العقول، كذلك ينتهج نهج الإنذار والتخويف للعصاة دون سب ولا شتم ولكنّ الإنذار بذكر العواقب.﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾.

## رابعا:بلاغة التعريض

التعريض (هو المعنى الحاصل عند اللفظ به، فالتعريض حاصل بغير اللفظ وهو السياق والقرائن)[2]. يعرفه د. بكري شيخ أمين: التعريض هو أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق[3].

والتعريض من الكناية لأنّ الكناية تتفاوت إلى التعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة، فإن كانت( عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضا، فإن كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في" كثير الرماد" فالمناسب أن تسمى تلويحا، لأن التلويح هو أن نشير إلى

[1] – الإبداع البياني في القرآن العظيم: محمد على الصابوني، ص197.

[2] – البيان في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، ص272.

[3] – البلاغة العربية في ثوبها الجديد(علم البيان): د،بكري شيخ أمين، ج2، ص153.

غيرك عن بعد، فإن كان فيها نوع خفاء، فالمناسب أن تسمى رمزا لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية، وإلا فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة)[1].

**الفرق بين الكناية والتعريض:**

– الكناية واقعة في المجاز ومعدودة منه، بخلاف التعريض فلا يعد منه، لأنّ التعريض مفهوم من جهة السياق، فلا تعلق له باللفظ، لا من جهة حقيقته ولا من جهة مجازه.

– التعريض أخفّ من الكناية، لأنّ دلالة الكناية مدلول عليها من جهة اللفظ، بخلاف التعريض فإنما دلالاته من جهة القرينة والإشارة، ولا شك أنّه كلما كان اللفظ يدل عليه فهو أوضح.

– الكناية تقع في اللفظ المفرد والألفاظ المركبة بخلاف التعريض فأنّه لا موقع له في اللفظ المفرد[2].

أثر التعريض:

التعريض له أثر بليغ في النفوس لأنّه يعين صاحبه على إخفاء ما يريد، من عتاب أو نقد أو سؤال أو شكاية حتى لا يفهم مراده إلا من يقصده بالتعريض، لما علم من أنّ التعريض إنما يفهم من أحوال خارجة عن اللفظ– لا من اللفظ– وهذه الأحوال قد تكون معلومة للمقصود بالكلام دون بقية السامعين[3].قال الثعالبي: العرب تستعمل التعريض في كلامها فتبلغ إرادتها بوجه ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل وجه وقد جعله الله في خطبة النساء جائزا فقال:﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ

[1] – الإيضاح في علوم البلاغة :الإمام الخطيب القزويني، 466.

[2] – البيان في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، ص278.

[3] – المرجع نفسه: ص281.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ.﴾(البقرة 235). ولم يجز التصريح[1]. ومثال ذلك:

قال الله تعالى:﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾[2].

في الآية توجيه للمؤمنين إلى حسن الظن بالمؤمنين، كل المؤمنين ناهيك أن يكونوا من بيت النبوة أهل الطهر والعفاف، والتعبير في الآية فيه( تعريض بأن ظن السوء الذي وقع هو من خصال النفاق التي سرت لبعض المؤمنين عن غرور وقلة بصارة فكفى بذلك تشنيعا لهم وهذا توبيخ على عدم إعمالهم النظر في تكذيب قول ينادي حاله ببهتانه وعلى سكوتهم عليه وعدم إنكاره)[3].

فالإفك الذي هو( أخبث أنواع الكذب والأباطيل المختلقة)[4]. واضح زيفه، ذلك أنّه من أقاويل المنافقين، واتجاه أطهر البيوت، بيت النبوة، وفي التعبير انتقال من الخطاب إلى الغيبة: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ فلم؟ عدل عن الخطاب إلى الغيبة( ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب)[5]. فواجب المسلم أن يحسن الظن بالمؤمنين، لأنّ حسن الظن بهم حقّ من حقوقهم، وإنّما يسوء ظنّ المنافقين، الذين يبطنون الكفر والحسد والغل.

ومن أسرار التعريض ها هنا:

- سوء الظن بالمؤمنين من مواصفات المنافقين، ومن ثمرات النفاق.

---

[1] - البلاغة العربية في ثوبها الجديد: د، بكري شيخ أمين،ج2، ص152.

[2] - النور 12.

[3] - التحرير والتنوير: ج18، ص175.

[4] - معجم ألفاظ الأعلام القرآنية: محمد إسماعيل إبراهيم، ص40.

[5] - الكشاف: ج3، ص 53.

– وجوب دفاع المؤمن عن أخيه المؤمن إذا تعرّض لظلم، فحسن الظن بالمؤمن مدعاة للدفاع عنه.«ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا».

–في قوله تعالى:﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾. معنى بليغا وتوجيها رائعا، إنّه لم يقل«ببعضهم خيرا »وإنما( بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا) والمقصود أنّ المجتمع المسلم يعيش أفراده كجسد واحد، وأنّ كل واحد يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإذا كان المؤمن يكره أن يساء الظن به، فكذلك إخوانه المؤمنون، وإذا كان وهو بريء لا يشكّ في براءته فكذلك لا يشكّ في براءة المؤمنين من حوله إذا اتّهمهم منافقون.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الثاني:
# الأبعاد التربوية للتشبيه في سورة البقرة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفصل الثاني: الأبعاد التربوية للتشبيه.

### المبحث الأوّل: الأبعاد الاعتقادية (بناء العقيدة وتصحيح الفكر):

بيّنا في الفصل الأول، عند الحديث عن خصائص الصورة البيانية في القرآن الكريم، أنّ من خصائصها التنوع، سواء في الشكل أو في المضمون، فمن حيث الشكل تنوّعت حيث أخذت صورا شتى(تشبيها-استعارة-كناية ونحو ذلك) ومن حيث المضمون تنوّعت أبعادها وأغراضها، فمن صورة واحدة كالتشبيه وفي موضع واحد، يمكنك استخلاص معنى له علاقة ببناء العقيدة وتصحيح الفكر، ومعنى له ارتباط بالتربية الروحية وآخر له صلة بالسلوك. يقول د. صلاح عبد التواب: جمالية الصورة تكمن في دقّة التصوير وروعته وإثارته الحواس المختلفة والعواطف المتباينة، مما يثبت الصورة في الإدراك والوجدان، وهذا الأمر هو الذي وجّه أنظار العلماء فتنبهوا إلى الصورة القرآنية في قوّتها وروعتها، وبذلوا الجهود المشكورة في سبيل إبرازها، والوقوف على أسرار إعجازها وذلك لما رأوه في الصورة البيانية القرآنية من آثار نفسية رائعة[1].

وفي هذا الفصل، أستخلص ما أمكن من أبعاد التشبيه (اعتقادية، نفسية، وسلوكية)، في مباحث ثلاثة: الأوّل: الأبعاد الاعتقادية .الثاني: النفسية. الثالث: السلوكية.

وممّا ينبغي ذكره هو أنّ التشبيهات في القرآن الكريم (لم تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء، بل تتجاوزها إلى المماثلة النفسية وتعمقتها حتى أضفت عليها حياة شاخصة وحركة متجدّدة، فانقلب المعنى الذهني إلى هيئة أو حركة، وتجسّمت الحالة النفسية في لوحة أو مشهد، وليس هذا فحسب بل يبرز جمال التشبيه القرآني ما فيه من إبداع في العرض، وجمال في التنسيق وروعة في النظم والتأليف وجرس في الألفاظ يدل على صورة معانيها)[2].

إنّ القرآن الكريم أنزله الله رب العالمين ، لتنظيم حياة الإنسان، وإصلاح شؤونه العامة والخاصة، وإعداده ليكون صالحا نافعا، وتوجيهه إلى إيثار الدار الآخرة على الدار الفانية. وتنبيهه إلى التوجّه الكامل والخالص لموجده ومالك حياته ومصيره، مستخدما في ذلك كلّ الأساليب

[1] – الصورة الأدبية في القرآن الكريم: د، صلاح عبد التواب، ص43.

[2] – المرجع نفسه: ص 45.

العربية الحقيقية منها والمجازية لأنّه(كتاب عربي يخضع للأساليب العربية في الفهم)[1].وهو في تنويعه للأساليب، يهدف إلى التأثير في المتلقّي، فيأخذ معنى يرجع عليه بالفائدة دنيا وأخرى.

وقد استخدم التشبيه في سورة البقرة، وهو موزّع في مواضع شتّ من السورة، من أوّلها إلى آخرها وفي أوسطها، كما استخدم في موضوعات شتّ، وله أبعاد مختلفة منها الاعتقادية المتعلقة ببناء عقيدة المسلم وتصحيح تصوّره اتّجاه قضايا كثيرة.

**أولا: تصحيح التصور تجاه الله تعالى خالق الأكوان وربّ الإنسان:**

1- لا هداية صحيحة وكاملة إلا من الله تعالى" الهادي":

قال تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

هدى: بمعنى اهتداء[3]. وقد وردت بهذا المعنى في مجموعة من الآيات:

-﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ ( الكهف 13).

-﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾(مريم 76).

-﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾(الحج 67).

-﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(لقمان 05).

-﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾(محمد 17).

---

[1] - كيف نتعامل مع القرآن: محمد الغزالي، دار الرجاء، عنابة، الجزائر، ص 196.

[2] - البقرة 05.

[3] - معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، مصر، ج2، ص1174.

في قوله تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ تشبيه ضمني دلّ على ذلك حرف الاستعلاء (عَلَىٰ)فالإتيان(بحرف الاستعلاء تمثيل لحالهم بأن تشبهت هيئة تمكنهم من الهدى وثباتهم عليه ومحاولتهم الزيادة به والسير في طريق الخيرات بهيأة الراكب في الاعتلاء على المركوب والتمكن من تصريفه والقدرة على أرضته فشبهت حالهم المنتزعة من متعدد بتلك الحالة المنتزعة من متعدد تشبيها ضمنيا دل عليه حرف الاستعلاء لأن الاستعلاء أقوى أنواع تمكن شيء من شيء، ووجه جعلنا إياها مؤذنة بتقدير مركوب دون كرسي أو مصطبة مثلا، أنّ ذلك هو الذي تسبق إليه أذهانهم عند سماع ما يدل على الاستعلاء، إذ الركوب هو أكثر أنواع استعلائهم فهو الحاضر في أذهانهم يرمزون إليه ما يذكرون إلا المركوب وعلائقه فيقولون جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل، فتكون كلمة " على" هنا بعض المركب الدال على هيئة المشبه بها وعلى وجه الإيجاز)[1]. ففي الآية تشبيه ضمني غايته بيان أنّ الهداية الكاملة تكون من الله تعالى ،فهم ((عَلَىٰ هُدًى )) أي اهتدوا إلى الطريق الصحيح ،وتمكّنوا من الطريق الموصل إلى الفلاح،ذلك أنّ هذه الهداية ((مِّن رَّبِّهِمْ ٱ)).

وإذ كان ( الجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد وأمسها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به)[2] .فإنّه يلاحظ( أنّ الحديث عن هؤلاء ابتدأ بالهدى: " هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ " وانتهى« عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ » وكذلك طريق هؤلاء يبتدئ بالهدى وينتهي به[3].قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾

[1] – التحرر والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص 242.

[2]- معالم التنزيل : الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك و مروان سوار، دار المعرفة، بيروت لبنان، ج1، ص106.

[3] - النفس في القرآن الكريم( دراسة بيانية لآيات النفس البشرية الإنسانية): إعداد الطالب: خالد بن عميور، رسالة دكتوراه ،إشراف :د،عبد الحميد بوكعباش، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية،1431هـ/1432هـ-2011/2010م، ص354.

فهذا الابتداء بالحديث عن الهدى والختم به ليس صدفة، وإنّما يعبّر عن معان وأسرارمنها:أنّ البداية الصحيحة لحياة الإنسان تؤدّي حتما إلى النهاية الصحيحة،وأنّ الذي يحدّد البداية هو الله تعالى خالق الإنسان وهو رحيم وعليم،ولذلك فالنهاية آمنة وناجحة.

وعند التأمّل في الآية حيث ورد التشبيه الضمني« أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ » ألاحظ استعمال كلمة (رب)بدل (الله)،ومعلوم أنّ الكلمة في القرآن ( تكون بليغة دائما لأنّ منزل القرآن وهو الله تعالى يضع الكلمات في مواضعها) [1].هذا الاستعمال لكلمة(رب)يشعر بمدى لطف الله بعباده وحبّه لهم،فهو ربّهم يرعاهم ويشرّع لهم مابه يهتدون ويفلحون، ولا يتركهم حيارى تائهين.

فمن أبعاد التشبيه الضمني الاعتقادية بيان أن لا هداية كاملة وصحيحة، إلاّ من الله خالق الإنسان، هداية بها يعرف الخير والشر، وبها يميّز بينهما، بها يعرف الحقّ والباطل، وبها يميّز بينهما، بها يعرف الطريق إلى الفلاح الذي لا خير بعده، وفوزا لا خذلان عنده،« وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ».

## 2- عدل الله في قضائه:

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2].(7/6).

قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. ههنا تشبيه( فالمشبه هو الإنذار للذين كفروا. والمشبه به عدم الإنذار. والأداة سواء. أي: أن إنذارهم يشبه عدم إنذارهم في كونهم لا يؤمنون. ولما كان الغرض من التشبيه توظيفه لخدمة المعنى، فإننا نجد التشبيه هنا مبينا لحال هؤلاء الكفار قاطعا بعدم إيمانهم وذلك لتصدر أداة التوكيد ثم

[1] - المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي، ص107.

[2] – البقرة( 7/6).

اسمية الجملة)[1].وجاء في(أحكام القرآن) : " سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ": معناه معتدل عندهم الإنذار وتركه، أي سواء عليهم هذا، وجيء بالاستفهام من أجل التسوية.

قال الأعشى الأكبر:

وليل يقول الناس من ظلماته سواء صحيحات العيون وعورها[2].

*( الأعشى: قيس الملقب بالأعشى الأكبر، ولد ميمون بن قيس البكري المعروف بالأعشى الكبير بقرية منفوحة باليمامة سنة 830م. كان ماجنا مستهترا وكان أعمى لذا لقب بالأعشى كما لقب بأبي بصير تفاؤلا أن يبصر، وكان يحسن المدح والذم فكانت حياته عبارة عن مشاكل يتعرض لها بسبب هجائه. له ديوان شعري، أشهر ما فيه لاميتان طويلتان. له معلقة من 65 بيتا)[3].

وفي اعتقادي أنّ استواء الإنذار من عدمه، إنما هو من قبيل الإخبار عمّا يجول في خواطرهم، وما هو كامن في قلوبهم، فكأنهم يقولون في باطنهم سواء يا محمد أنذرتنا أم لم تنذرنا لن نؤمن، وليس من قبيل حكم الله عليهم بعدم الإيمان، ثمّ إنزال العقوبة عليهم، والدليل عندي ابتداء قوله تعالى بـــ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾. فقد جاء بأداة التوكيد ثمّ اسم الموصول " ٱلَّذِينَ "، للتأكيد على صلتهم بالكفر، فهم كفروا بعد وصول البيّنات إليهم، ولكنّهم قرّروا عدم الإيمان، ولو أنذروا ألف مرة، جاء في( أحكام القرآن): أصل الكفر في كلام العرب: الستر والتغطية [4].فقد ظهر لهم الحق وبانت لهم حقيقة الإيمان، ولكنهم ستروا ذلك تكبّرا وعنادا.

ويؤيّد هذا الرأي سيد قطب في(الظلال): وقد طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وغشي على أبصارهم جزاء وفاقا على استهتارهم بالإنذار،حتى تساوى عندهم الإنذار وعدم الإنذار[5]. وإذا كان الأمر كذلك، فالله عدل لم يظلمهم حيث تركهم في كفرهم،لا يتأثّرون بالإنذار،وطبع على قلوبهم،ولهم عذاب أليم بعد ذلك. جاء في (تفسير ابن كثير): « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ

[1]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: د،إبراهيم علي حسن داود،ص 36.

[2]- أحكام القرآن : القرطبي:ج1، ص 184.

[3] - شرح المعلقات العشر: القاضي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص306.

[4]- أحكام القرآن : القرطبي ، ج 1،ص 183.

[5]- في ظلال القرآن: سيد قطب، ج1، ص 36.

عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ»أي غطوا الحق وستروه وقد كتب الله عليهم ذلك سواء عليهم إنذارك وعدمه فإنهم لا يؤمنون بما جئتهم به[1].

و إذا كان ممّا يتميز به التشبيه الإيجاز، فهو مع ذلك يحتوي على معان غزيرة، لذلك فالبليغ (يؤثر أسلوب التشبيه لما يحتويه من فوائد تعود على الأسلوب، من وضوح الفكرة والمبالغة فيها والإيجاز للوصول إلى الغرض)[2].إنّ التشبيه الوارد في الآية « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ»، له معان كثيرة منها:أنّ الكفار غطوا الحق وستروه،فلا يقبلون إنذارا ولا يريدونه،ولا يتأثّرون به، فوجود الإنذار كعدمه في رفضه وعدم التأثّر به.

ويستنتج من هذا المعنى أنّ الله لم يكتب عليهم الشقاوة والكفر وعدم الإيمان ابتداء، دون أن أدخل في الجدل التاريخي بين المعتزلة و الأشاعرة. وإنّما كتب الله عليهم ذلك لأنّهم غطوا الحق وستروه واستهتروا بالمنذر و الإنذار، فعاملهم بعدله.

## 3- الله لا يغفل وقد أحاط بكل شيء علما:

قال تعالى:﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[3].

هذه الآيات تضمّنت تشبيهات عدة،لنعلم أنّ الله تعالى لا يغفل عن شيء،فالمنافقون الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام،علم الله ذلك،واستعمل التشبيه لتعريف النبي عليه السلام والمسلمين الصادقين بأحوال المنافقين الظاهرة والباطنة،فيأخذون حذرهم،وليثبت المؤمن على إيمانه،ويستمر في صدقه مع الله تعالى، لأنّ الله يعلم خبايا النفوس، فالله إذن عليم

[1]- تفسير ابن كثير: ج1، ص 07.

[2]- البيان في ضوء أساليب القرآن: د، عبد الفتاح لاشين ، ص 107.

[3]- البقرة ( 17 /18/19/20).

بالمنافقين وأعلم المؤمنين بهم،وهو مطّلع على كل سر حاضرا ومستقبلا.في قوله تعالى:« **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ** »تمثيل،و في قوله تعالى:« **صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ** »تشبيه بليغ محذوف المشبه به( هم صم بكم عمي)، وفي قوله تعالى:﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ..** ﴾ تمثيل آخر.

فالمشبه في الأول:﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ** ﴿١٧﴾﴾.هو(مجموع أحوال المنافقين في تحيرهم واضطرابهم مع إظهارهم الإيمان حفظا لإيمائهم وأموالهم و ذراريهم وأهلهم وزوال ذلك عنهم بإفشاء أسرارهم وافتضاحهم المؤدي إلى خسارة الدارين.والمشبه به: حال المستوقد نارا مضيئة له فانطفأت، ووجه الشبه: صلاح ظاهر الحال يؤول إلى خلافه. وفي الثاني: حالهم في الشدة، ولباس إيمانهم المبطن بالكفر المطرز بالخداع حذر القتل، بحال ذوي مطر شديد يبرق ويرعد، يرقعون طروق آذانهم بأناملهم حذر الهلاك، ووجه الشبه وجدان ما ينفع ظاهره وفي باطنه بلاء عظيم)[1].

لقد أطال الله الحديث عن المنافقين ابتداء من قوله تعالى:﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ إلى قوله﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ..** ﴾[2].وهذه الإطالة تنبئ عن خطر المنافقين، وتصف مرض النفاق الفظيع والخطير، فالله وهو يعلّم النبيّ عليه السلام والجماعة المسلمة في المدينة- وهي في طور البناء والتكوين بعد الهجرة إلى المدينة مباشرة- بهذه الحقائق عن المنافقين، أستخلص منها أنّ الله لا يغفل عن شيء متعلّق بعباده، و لم يغفل شيئا في كتابه هو نافع للمؤمنين.جاء في(التحرير والتنوير): أعقب تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة،بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة وهذه طريقة تشبيه التمثيل،إلحاقا لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة لأن النفس إلى المحسوس أميل[3].

وقد جيء بالتشبيه الأول﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ..** ﴾، (استدلالا على ما يتضمنه مجموع تلك الصفات من سوء الحالة وخيبة السعي وفساد العاقبة فمن فوائد التشبيه قصد

[1]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: د، إبراهيم علي حسن داود، ص 94.

[2]- البقرة ( 8 إلى 20).

[3]- التحرير والتنوير:ابن عاشور، ج1، ص 302.

تفظيع المشبه)[1]. ولقد اختار الله تعالى في قوله﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ﴾ المفردة "بِنُورِهِمۡ " وليس بنارهم ليلفت نظرنا، إلى أنّ الله إن كان دقيقا في اختيار المفردة المعبّرة المناسبة لكلّ غرض ولكلّ موقف، فليدلّنا على أنّ الله لا يغفل عن دقائق الأمور في هذا الكون، حتى أنّه يعلم أسرار المنافقين وطبائعهم وحالاتهم الفكرية والنفسية، وما تؤول إليه أمورهم، ومن حكم ذلك أن يزداد المؤمن ثقة في ربه، ويزداد تمسّكا بدينه، دون خوف من العقبات التي يضعها المنافقون في طريق المسلم، وهو يصنع الحياة الإسلامية، اختير (هنا لفظ النور عوضا عن النار المبتدأ به، للتنبيه على الانتقال من التمثيل إلى الحقيقة ليدل على أن الله أذهب نور الإيمان من قلوب المنافقين، فهذا إيجاز بديع كأنه قيل فلما أضاءت ذهب الله بناره فكذلك ذهب الله بنورهم وهو أسلوب لا عهد للعرب بمثله فهو من أساليب الإيجاز)[2].

والحقيقة أنّ المنافق لا يعرف نورا، وكذلك بنفاقه لم يعش إضاءة، بل حياته كلّها ظلمات، ففيم شبّهت حاله بحال المستوقد؟ جاء في (الكشاف): المراد ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم وراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي تزامن إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد، ويجوز أن يشبهه بذهاب الله بنور المستوقد اطّلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين وما استمروا به من سمة النفاق[3].

ولأنّ الله ليس بغافل، فقد جاءنا بالخبر اليقين عن أحوال المنافقين وصفاتهم.﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾، والإخبار عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقة التشبيه البليغ (شبهوا في انعدام آثار الإحساس منهم بالصم البكم العمي أي كل واحد منهم اجتمعت له الصفات الثلاث وذلك شأن الأخبار الواردة بصيغة الجمع بعد مبتدأ وهو اسم دال على جمع، فالمعنى كل واحد منهم كالأصم الأبكم الأعمى وليس المعنى على التوزيع. فلا يفهم أن بعضهم كالأصم وبعضهم كالأبكم وبعضهم كالأعمى، وليس هو من قبيل الاستعارة عند محققي أهل البيان) [4].

---

[1]- التحرير والتنوير: ج1، ص 302.

[2]-المصدر نفسه: ج1، ص 309.

[3]- الكشاف: ج1، ص 41.

[4]- التحرير والتنوير: ج1، ص 314.

إذن فالمنافقون يقولون كلمة الإسلام، ويظهرون بعض شعائر الإسلامية ليحفظوا حياتهم، ولينتفعوا من المسلمين بمنافع دنيوية، ولكنّ الله مطّلع عليم غير غافل، إنهم يخدعون أنفسهم ويهلكونها، ولن يضرّوا نبيّه محمّدا عليه السلام، ولن يضرّوا جماعة المسلمين، لأنّ الله ناصرهم ومؤيّدهم، ومن تأييده لهم أنّه سيعرفهم بأحوال ومواصفات المنافقين.

وقد استخدم تشبيها آخر في قوله﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ .. ﴾ لزيادة التعريف بهم، ولزيادة التنبيه على أنّ الله لم يغفل عن شيء مهما دقّ وخفي، فقد ( أعيد تشبيه حالهم بتمثيل آخر وبمراعاة أوصاف أخرى فهو تمثيل لحال المنافقين المختلطة بين جوانب ودوافع، حين يجاذب أنفسهم جاذب الخير عند سماع مواعظ القرآن وإرشاده، وجاذب الشر من أعراق النفوس والسخرية بالمسلمين، بحال صيب من السماء فيه غيوث وأنوار ومزعجات و أكدار)[1].ومن ( بديع التمثيل أنه مع ما احتوى عليه من مجموع الهيئة المركبة المشبه بها حال المنافقين حين منازعة الجواذب لنفوسهم من جواذب الاهتداء وترقبها ما يفاض على نفوسهم من قبول دعوة النبي عليه السلام وإرشاده مع جواذب الإصرار على الكفر وذبّهم على أنفسهم أن يعلق بها ذلك الإرشاد حينما يخلون إلى شياطينهم، هو مع ذلك قابل لتعريف التشبيه في مفرداته إلى تشابه مفرد بأن شبه كل جزء من مجموع الهيئة المشبهة لجزء من مجموع هيئة قوم أصابهم صيب معه ظلمات ورعد وصواعق ولا يطيقون سماع قصفها ويخشون الموت منها وبرق شديد يكاد يذهب بأبصارهم وهم في حيرة بين السير وتركه)[2].فالله ليس بغافل عن حركاتهم وسكناتهم.﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، وهذا تهديد و وعيد، وحين يريد الله تنفيذ وعيده فعل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

إنّ هذه التشبيهات (تطلعنا وبدقة عن طبائع المنافقين وأحوالهم، ترسم لنا حقيقتهم في مشاهد حية متحركة وهذه الحركة في المشهد لترسم- عن طريق التأثر الإيحائي- حركة التيه والاضطراب والقلق والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون.. بين لقائهم للمؤمنين.. وعودتهم للشياطين. بين ما يقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة، بين ما يطلبونه من هدى ونور، وما يفيئون إليه من ضلال وظلام.. فهو مشهد حسي يرمز لحالة نفسية، ويجسم صورة شعورية،وهو

[1]-المصدر نفسه : ج1، ص315.

[2]- المصدر نفسه : ج1، ص 321.

طرف من طريقة القرآن العصيبة في تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس)[1]. إذن فالله تعالى يصوّر في هذه الآيات حال المنافقين في موقفين متتاليين، ليكشف عن طبيعتهم وتقلّبهم، وليزيد هذه الفئة من الناس جلاء ووضوحا، إذ أنّ هؤلاء المنافقين لم يعرضوا عن الهدى منذ البداية ولم يصمّوا آذانهم عن السماع وعيونهم عن الرؤية وقلوبهم عن الإدراك، كما فعل الذين كفروا ولكنّهم استحبّوا العمى على الهدى بعدما استوضحوا الأمر وبينوه.لقد استوقدوا النار فلما أضاء لهم نورها لم ينتفعوا بها وهم طالبوها، عندئذ ذهب الله بنورهم الذي طلبوه ثم ضيّعوه وتركهم في ظلمات لا يبصرون جزاء إعراضهم عن النور.

والموقف الثاني( يصور عز وجل المنافقين بقوم أصابهم مطر شديد أظلمت له الأرض وأرعدت له السماء وهو مصحوب بالبرق وهم لما أصابهم الهلع والذعر جعلوا أصابعهم في أذانهم من الصواعق خشية الموت ظنا منهم أن ذلك ينجيهم ولكن هيهات فالله محيط بالكافرين)[2].

وبهذا تبرز قيمة التشبيه القرآني، وهو يجسّم ويصوّر المعنى في مشاهد حيّة، ويقرّب المعنى البعيد، ويوضّح المعنى الغامض، ولاشكّ أنّ التشبيه الواحد له أكثر من مقصد وأكثر من بعد و ههنا أخذنا ما تعلّق بتصحيح التصور اتجاه الله تعالى في أمر يتعلّق بالله تعالى فهو على اتّصال دائم بالموجودات والتي منها الإنسان، الإنسان المؤمن والكافر و المنافق، لا يغفل لحظة عما يفعله الظالمون، وما يفكّر فيه المنافقون.

## 4- استمرارية عناية الله بالإنسان:

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[3].

[1] – في ظلال القرآن: م1، ص 40.

[2] – خصائص التشبيه في القرآن الكريم: د، رابح دوب، مجلة العلوم الإسلامية، ا لعدد03،ص59.

[3] – البقرة (22/21).

طلب الله تعالى من الناس كل الناس عبادته، لأنّه من خلق ومن رزق، إنّه من اعتنى بهم منذ النشأة الأولى، ثمّ لا يزال يعتني بهم وهم كبار، وهو يخاطبهم مباشرة ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً... ﴾.

ومعنى جعل الأرض فراشا أنّها (كالفراش في التمكّن من الاستقرار والاضطجاع عليها وهو أخص أحوال الاستقرار)[1]. وقوله تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ أي فيها (متانة البناء وتنسيق البناء، والسماء ذات علاقة وثيقة بحياة الناس في الأرض، وبسهولة هذه الحياة، وهي بحرارتها وضوئها وجاذبية أجرامها وتناسقها وسائر النسب بين الأرض وبينها تمهد الحياة على الأرض وتعين عليها)[2]. وفي كلّ من قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾، ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ تشبيه بليغ هكذا شبّه الأرض كالفراش، أعدّت للإنسان ليرتاح ويستقر، والسماء كالبناء المحكم وضعت لحماية الإنسان، ولئن كان الإنسان وهو صغير يعدّ له الفراش ويجعل له البناء، من قبل الوالدين أو من يأخذ دورهما، وربما كبر فاعتمد على نفسه في الفراش والبناء، فإنّ الإنسان بالنسبة إلى الله تعالى لا يزال صغيرا ولو كبر، ضعيفا ولو قوي، فقيرا وإن غني، فإنّ فراشا كالأرض وبناء كالسماء، لا يقدر عليهما إلاّ الله تعالى، ولا يجود بهما إلا إله كريم.

وهكذا يريد الله عن طريق التشبيه البليغ هنا أن يلفت النظر إلى وجود الخالق الذي اهتم واعتنى بالإنسان، وهو لا يزال في عناية دائمة مستمرّة بهذا الإنسان، ألا يستحقّ الشكر والعبادة؟!

إنّه لأمر غريب وعجيب، أنّ أكثر الناس ينسون (هذا الفراش الذي مهده الله لهم لطول ما ألفوه، ينسون هذا التوافق الذي جعله الله في الأرض ليمهد لهم وسائل العيش، وما سخره لهم فيها من وسائل الراحة والمتاع، ولولا هذا التوافق ما قامت حياتهم على هذا الكوكب في مثل هذا اليسر والطمأنينة)[3]. فما أحلم الله وما أكرمه، يعصى وتستمرّ عنايته بهذا الإنسان.

---

[1]- التحرير والتنوير: ج1، ص331.

[2]- في ظلال القرآن: م1، ص41.

[3]-المرجع السابق:م1، ص 41.

## 5- الله يغضب وينتقم بسبب العصيان:

قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

إنّها طائفة من بني إسرائيل لم تلتزم بأمر ربّها حين أمرت بعدم صيد السمك يوم السبت، فوضعوا الشباك وسيلة الصيد يوم الجمعة لتمتلئ يوم السبت، ثمّ تؤخذ يوم الأحد. هذا احتيال على من؟ على الله تعالى من خلقهم ورزقهم ونصرهم على عدوهم فرعون، وأنعم عليهم برسول منهم موسى عليه السلام،عاقبهم الله تعالى وانتقم منهم:﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾.

وفي قوله تعالى:﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾، خبران أي (كونوا جامعين بين القردية و الخسوء وهو الصّغار و القردية)[2]. والمعنى هنا أنّ الله جعلهم على وجه الحقيقة قردة أذلّة صاغرين، حرموا من رحمه الله، لأنّهم احتالوا ومكروا وهذا أشدّ أنواع الكفر بالله تعالى.

وثمّة رأي آخر أنّ في الآية تشبيها بليغا، أي كونوا كالقردة حيث حذفت أداة التشبيه فصار تشبيها بليغا. وإذا كان المعنى كذلك فالمراد أنّ الله (مسخ قلوبهم فلا تقبل وعظا ولا تعي زجرا)[3].وهي عقوبة لا تقلّ من حيث الشدّة والقسوة والانتقام من جعلهم حقيقة قردة، فما الإنسان إلا بقلبه النقيّ التقيّ الذي يقبل الوعظ ويفهم الإنذار ويستجيب للنصح، فيجنّب نفسه غضب الله عليه وانتقامه منه. وإذا كان من روعة وبلاغة التشبيه في القرآن أنّه دقيق ( في الاختيار المناسب لكل جزئية من جزئيات التشبيه، بالإضافة إلى أن صور هذا التشبيه الرائع منتزعة من الحقائق المسايرة لنظام الكون، والموافقة لطبائع الناس، كما أنها كلها صور مما يقع عليها البصر أو يدركها الفكر فلا غموض ولا إبهام،فهي صور شملت مظاهر الكون بأسره، بما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد[4].فإنّ الله حين عاقب اليهود على تحايلهم فجعل طبائعهم كطبائع القردة

---

[1] - البقرة ( 65-66).

[2] - الكشاف: ج1، ص 73.

[3] - خصائص التشبيه في سورة البقرة: د،إبراهيم علي حسن داود، ص 159.

[4] - - الصورة الأدبية في القرآن الكريم: د، صلاح الدين عبد التواب، ص 57.

باستعمال التشبيه البليغ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾،فإنّ لذلك معاني بليغة منها:أنّ ارتكاب المعاصي باتباع أسلوب التحايل يجلب غضب الله ونقمته،ومما يعاقب به أن يبدّل طبائع الناس فتكون التصرفات حيوانية لا إنسانية،حيث تضيع الحقوق،وتنتشر الأنانية،ويختفي الأمن.

إنّ من أبعاد التشبيه هنا تصحيح التصور اتجاه تعامل الله تعالى مع المسلم عند ارتكاب المعاصي خاصة باتّباع أسلوب التحايل، فالله تعالى يغضب حين يعصى ،وينتقم حين يخالف أمره وخصوصا عند الاحتيال والخداع.

## 6- علم الله وقدرته:

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[1].

إنّها قصّة من قصص بني إسرائيل، من مراميها وأبعادها أن تكشف لهم ولنا قدرة الله المطلقة، وعلمه الواسع.

وخلاصة القصّة، أنّه قتل واحد من بني إسرائيل ظلما، فطلب بنوا إسرائيل من موسى عليه السلام أن يبيّن لهم القاتل، فأمرهم بذبح بقرة كما أوحى الله تعالى، فجادلوا ثمّ فعلوا ما أمروا، حيث أخذوا جزءا منها بعدما ذبحوها، وضربوا بهذا الجزء القتيل، فقام وأخبر بمن قتله. وهكذا بجزء من ميّت يحي الله تعالى ميّتا،إنّ في هذا لعبرة، والعبرة هي أنّ الله قادر، وقدرته مطلقة موصولة بكلّ شيء، وعليه فإحياء الناس بعد الموت، وبعثهم للحساب أمر هيّن على الله تعالى.

وقد تضمن قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾ تشبيها ( والمشبه به هو الإحياء أي إحياء القتيل، والمشبه هو إحياء الله الموتى يوم القيامة والمماثلة إنما هي في مطلق الإحياء لا في كيفيته)[2].جاء في (التحرير والتنوير): قوله تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾ الإشارة إلى محذوف للإيجاز أي فضربوه فحيي فأخبر بمن قتله أي كذلك الإحياء يحي الله الموتى فالتشبيه في

[1] – البقرة (73/72).

[2] – التشبيه في سورة البقرة: دن إبراهيم علي حسن داود، ص 172.

التحقق وإن كانت كيفية المشبه أقوى وأعظم لأنها حياة من عدم بخلاف هاته فالمقصد من التشبيه بيان بإمكان المشبه[1].

وجاء في ( الكشاف): فإن قلت: هلا أحياه ابتداء و لم شرط في إحيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها؟ قلت: في الأسباب والشروط حكم وفوائد وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكليف واكتساب الثواب والاستغفار بحسن تقديم القربة على الطلب[2].

وهكذا استفدنا من هذا التشبيه، قدرة الله تعالى بطريقة عمليّة بالنسبة لبني إسرائيل آنذاك،وبالوحي بالنسبة إلينا، وفي الحقيقة أنّ مظاهر القدرة الإلهية لا تقدر ولا تحصى، فله في كل شيء آية تدلّ على أنّه القادر.

## 7- الله خبير بالنفوس مطّلع على الأسرار:

قال الله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. (101).

هكذا﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ها هنا ( تشبيه لمن يعلم بمن يجهل لأن الجاهل بالشيء لا يجهل به ولا يعتد به، لأنه لا شعور له بما فيه المنفعة)[3].

هكذا هم اليهود يتوارثون الجهل والظلم ونكران الجميل، أساءوا الأدب مع الله في مواضع شتّ، وخالفوا أوامر موسى عليه السلام مرّات ومرّات، وحاولوا قتل عيسى عليه السلام، ومع ذلك الله حليم، يعطيهم فرصة أخرى، ويعلمون أنّ القرآن كتاب الله تعالى، لكنّهم أعرضوا عنه، نبذوه وراء ظهورهم حسدا وتكبّرا، متظاهرين بأن لا علم لهم بشأن القرآن بكونه من عند الله حقّا، فتعاملوا معه تعامل الجاهل به، فأخبر الله تعالى عنهم كما هو مضمون الآية.

---

[1]- التحرير والتنوير: ج1، ص 561.

[2]- الكشاف: ج1، ص 76.

[3]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: د،إبراهيم علي حسن داود، ص202.

ومن مرامي التشبيه﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنّهم كاذبون، فهم في الحقيقة يعلمون أنّ الله حقّ وأنّ محمّدا عليه السلام حقّ، وأنّ كتاب الله القرآن حقّ، ولكنّهم شبّهوا أنفسهم بمن يجهل هذه الحقائق.

إذن فالله تعالى خبير بأسرار العباد،وخفايا النفوس، ومن ذلك أسرار اليهود وخفاياهم. ومن فوائد ذلك أيضا تعريف النبي عليه السلام والجماعة المسلمة بحقيقة اليهود.

## 8- الله حكيم في تشريعه وأفعاله:

قال الله تعالى:﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1].

المقصود بالنسخ هنا، هو تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، الذي يعود تحديد بنائه إلى إبراهيم عليه السلام، وهو الذي يرجع إليه بنوا إسرائيل والعرب، وعليه فالحكمة تقتضي هذا التحويل، ليتوحّد بنو إسرائيل والعرب في ظل الإسلام.

والله بحكمته وإحسانه يوجّه المؤمنين ألا يتشبّهوا باليهود في جدال الأنبياء ومخالفة الأوامر الإلهية، والإكثار من الأسئلة التي تتضمّن معنى الاستهزاء وضعف اليقين.

هكذا توجّهتم من قبل إلى بيت المقدس، لمّا أمرتكم بهذا، وآمركم اليوم أن تتوجّهوا إلى البيت الحرام، فلا تجادلوا، ولا تناقشوا، إن كنتم آمنتم بالله صاحب الحكمة المطلقة، وأنتم إن تشبّهتم باليهود فالعاقبة واحدة الذلة والصّغار.

وقوله تعالى:﴿ تُرِيدُونَ ﴾( يؤذن بأن السؤال لم يقع ولكنه ربما جاش في نفوس بعضهم أولا بما أثارته في نفوسهم شبه اليهود في إنكارهم النسخ وإلقائهم شبه البدء ونحو ذلك مما

[1]- البقرة ( 106، 107، 108).

قد يبعث بعض المسلمين على سؤال النبي عليه السلام. وقوله ﴿ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ ﴾ تشبيه وجهه أن في أسئلة بني إسرائيل موسى كثيرا من الأسئلة التي تفضي بهم إلى الكفر)[1].

يقول د،إبراهيم علي حسن داود: قوله تعالى:﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ ﴾: لما بين الله سبحانه وتعالى أنه مالك أمورهم ومدبّرها، على حسب مصالحهم، من نسخ الآيات وغيره و قررهم على ذلك بقوله: «أَلَمْ تَعْلَمْ» أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعهدهم، وألا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى عليه السلام من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم: « ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا »[2].فتراه في هذا يحذرهم من نهاية هذا الطريق وهي الضلال واستبدال الكفر بالإيمان وهي النهاية التي وصل إليها بنو إسرائيل. كما أنها النهاية التي يتمنى اليهود لو قادوا المسلمين إليها[3].

إنّ الله خلق الكون ونسّق بين أجزائه في حكمة باهرة، وأنزل القرآن وجعل لكلّ شيء فيه حكمة، ولئن كان اليهود لقسوة قلوبهم وقلّة بصيرتهم وضعف يقينهم، واعتمادهم في فهم المعاني وإدراك الحكم- حين يؤمرون بأمر أو ينهون عن شيء- على الأشياء المادية المحسوسة، فلا يليق بالمسلمين أن يسلكوا طريق اليهود، يعلمون أن الله حكيم عليم، يشرع لعباده ما يصلحهم وما يشرّع لهم من شيء فلمصلحتهم التي يدركونها بعد جدال واستهزاء وتردّد، والله لا يريد للمسلمين أن يكونوا كذلك.يقول سيد قطب:" أَمْ تُرِيدُونَ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ ": فهو استنكار لتشبه بعض المؤمنين بقوم موسى في تعنتهم وطلبهم للبراهين والخوارق، وإعانتهم لرسلهم كلما أمرهم بأمر أو بلغهم بتكليف على نحو ما حكى السياق عنهم في مواضع كثيرة.. وهو تحذير لهم من نهاية الطريق وهي الضلال[4].

ويستخلص ممّا سبق بيانه أن يتعامل المسلم مع أوامر الله تعالى بكلّ ثقة، فالله حكيم في تشريعه.

---

[1]- التحرير والتنوير: ج1، ص 665.

[2]- الأعراف 138.

[3]- خصائص التشبيه: د،إبراهيم علي حسن داود، ص 214.

[4]- في ظلال القرآن: سيد قطب، م1 ،ص 96.

## 9- الله يحاسب ويفصل بين العباد يوم القيامة:

قال الله تعالى:﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[1].

وبيان التشبيه في هذه الآية ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾. هو أن يقال:لما كان( اليهود والنصارى يضلل بعضهم بعضا ويتهم كل فريق صاحبه بأنه على باطل حتى قال اليهود للنصارى أنهم ليسوا على شيء وقال النصارى لليهود إنهم ليسوا على شيء. أي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المناهج قال الجهلة الذين لا علم لهم ولا كتاب كعبدة الأصنام ونحوهم قالوا لأهل كل دين ليسوا على شيء. وفي جعل قولهم مشبها به أقوى لأنه أقبح، إذ الباطل من العالم أقبح منه من الجاهل)[2].

وهذا الاختلاف بين هذه الطوائف دليل على وجود يوم البيان، وزمن الفصل، ولحظة الحساب، أي دليل على أنّ الله يراقب أقوال وأفعال الناس، وهو يحاسبهم ويفصل بينهم فيما اختلفوا فيه. يقول د، إبراهيم علي حسن داود: والذي ينبغي أن تفطن إليه القلوب أنّ في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ تقبيحا للمشبه وتشويها له بأن جعل مشابهة لقول الضالين[3].

يستخلص أنّ الاختلاف بين الناس في العقائد والأديان، من دلائل وجود يوم الفصل بعد الموت.

---

[1] - البقرة: 113

[2] - خصائص التشبيه في سورة البقرة: : د،إبراهيم علي حسن داود، ص 223

[3]-المرجع السابق: ص 224

## 10- الله هو الهادي يصطفي من عباده ويختار:

قال الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[1].

ورد التشبيه في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ وأنّ ( أداة التشبيه هنا الكاف مع اسم الإشارة، وذلك إشارة إلى الجهل المدلول عليه " جَعَلْنَٰكُمْ" وجيء بما يدل على البعد تفخيما. وأصل التقدير: جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل)[2].

والمعنى كما جعلنا قبلكم أفضل قبلة، إذ أنّها تمتدّ إلى إبراهيم عليه السلام، حيث يتّصل به العرب وبنو إسرائيل، فالأمّة المسلمة تشبه القبلة في الأفضلية، فأمّة الإسلام خير أمّة. وها هنا سر لطيف فكما أنّ القبلة أفضل قبلة "البيت الحرام" يتّجه إليه المسلمون في عبادتهم لله " الصلاة". فالأمّة المسلمة أفضل أمّة يتّجه إليها كل الناس ليأخذوا الخير والعدل وكل فضيلة.

ولا شكّ أنّ الله وهو يشرّع للمسلمين، يهديهم إلى أفضل الأمور وأحسنها، والبيت الحرام ولا شك هو أفضل قبلة، لأنّها تجمع تاريخيا بين أهل الكتاب وبين العرب،فالمسجد الحرام بناه إبراهيم عليه السلام وإليه ينتسب العرب وأهل الكتاب. يقول سيد قطب: فإذا اتّجه المسلمون فترة من الزمان إلى المسجد الأقصى، الذي يتجه إليه اليهود والنصارى، فقد كان هذا التوجه كلمة خاصة هي التي أشار إليها السياق، فالآن وقد شاء الله أن يعهد بالوراثة إلى الأمة المسلمة، وقد أبى أهل الكتاب أن يفيئوا إلى دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، وهو الإسلام فيشاركوا في هذه الوراثة.. الآن يجيء تحويل القبلة في أوانه، تحويلها إلى بيت الله الأول الذي بناه إبراهيم لتتميز للمسلمين كل خصائص الوراثة، وراثة الدين، ووراثة القبلة، ووراثة الفضل من الله تعالى.إن الاختصاص والتميز ضروريان للجماعة المسلمة: الاختصاص والتمييز في التصور

[1]- البقرة 143.

[2]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: : د،إبراهيم علي حسن داود، ص 245.

والاعتقاد والاختصاص والتمييز في القبلة والعبادة، وهذه كتلك لابد من التمييز فيها والاختصاص[1].ثمّ يقول: والجماعة المسلمة التي تتجه إلى القبلة مميزة يجب أن تدرك معنى هذا الاتجاه، إن القبلة ليست مجرد مكان أو جهة تتجه إليها الجماعة في الصلاة، المكان أو الجهة ليس سوى رمز،رمز للتمييز والاختصاص،تميز التصور وتميز الشخصية، وتميز الهدف، وتميز الاهتمامات وتميز المكان[2].

إذن فالتميّز في الخصائص والاهتمامات للأمّة المسلمة يشبه التميّز في القبلة إلى البيت الحرام. وهذا هدى الله تعالى، وذلك فضله.

## 11- الله قوي منتقم من الظالمين ناصر للمؤمنين مستحق للمحبة:

قال الله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾[3].

التشبيه وارد في قوله تعالى:﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾، فمن الناس من يحبّ من دون الله أشياء أخرى، وهم يساوون بين حبّهم لله وحبّهم لهذه الأنداد الباطلة، فحبّهم لها يشبه حبهم لله تعالى، وهذا شرك، إذ المحبة تقتضي الطاعة و الاتّباع،و الاتّباع يفضي إلى العبودية، فيكون الإنسان حينها عبدا لله تارة وعبدا لغيره تارة أخرى وهذا شرك. والله لا يقبل أن يشرك به ولذلك ينتقم من الظالمين﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾.

أمّا المؤمنون العارفون بالله تعالى فهم لا يسوّون بين الله وغير الله في المحبّة، بل حبّهم لله أشد، هذا الحب يفضي إلى العبودية المطلقة لله تعالى. وما دام الله ينتقم ممّن أشركوا به في المحبة فهو ناصر المؤمنين الذين وحّدوا ربهم في المحبّة، وإنّما كانت محبة غير الله من الوالدين والأبناء وغير ذلك تابعة لمحبّتهم لله تعالى.

---

[1]- في ظلال القرآن: سيد قطب، م1، ص 121.

[2]- المرجع نفسه: م1، ص 123.

[3]- البقرة 165.

إنّ المؤمنين( لا يحبون شيئا حبهم لله، لا أنفسهم ولا سواهم لا أشخاصا ولا اعتبارات ولا شارات ولا قيما من قيم هذه الأرض التي تجري وراءها الناس "وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ" أشدّ حبّا لله"، حبا مطلقا من كل موازنة، ومن كل قيد، أشد حبا لله من حب يتجهون به إلى سواه، والتعبير هنا بالحب تعبير جميل، فوق أنه تعبير صادق، فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب، صلة الوشيجة القلبية، والتجاذب الروحي[1].

والخلاصة أنّ الله لا يقبل أن يشرك به في المحبة، ومن فعل ذلك فقد ظلم، والله منه ينتقم، ولذلك فالله يفرد بالمحبة التامّة.

## 12- الله ربّ الإنسان يرعاه ويوجّهه ويزكّيه:

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[2].

التشبيه هنا في قوله تعالى:﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.

وهذا التشبيه "كَمَا كُتِبَ" ليس ( المقصود منه تبيين كيفية الصوم، بل في أصل الفرض، ثم يكيّفه بما يتلاءم مع طبيعة الدعوة التي هي كمال الرسالات السماوية، وما يتلاءم مع طبيعة الأمة التي جعلت أمة وسطا وشاهدا على غيرها، فوجب أن يكون صومها يترع بها ذروة الاكتمال الروحي والصفاء القلبي والاعتدال الجسدي)[3].

فالله إذن كتب الصوم، وأوجبه على الأمم الماضية بما له من فوائد جمّة ترجع على الصائم، والأمّة المسلمة أولى بهذه الفريضة، وهي التي أوكل الله إليها تطبيق الإسلام، والعمل على نشر دينه، فلا بدّ أن تكون قويّة في إيمانها، قويّة في إرادتها، قويّة في جسدها.. لتقدر على تحمل مشاق الطريق الطويل المحفوف بالمكاره.

---

[1]- في ضلال القرآن: سيد قطب،م1 ،ص 147.

[2]- البقرة 183.

[3]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: د،إبراهيم علي حسن داود، ص 300.

وممّا يكشفه لنا هذا التشبيه، أنّ للصوم أهميّة كبرى في حياة الإنسان، حتى أنّ الله فرضه على كلّ الأمم من لدن آدم عليه السلام، هذا الصوم وإن بدا ظاهريا شاقّا ومتعبا، ولكنّه يربّي ويزّكي النفس، ومفيد حتى للجسد، وقد ثبت طبيّا أنّ الصوم يعالج الكثير من الأمراض، والله يريد للأمّة المسلمة، سلامة القلب وسلامة الجسد. مع بداية( عصر النهضة نشطت الدعوة من جديد إلى المعالجة بالصوم في كل أوربا، منها ما كتبه الطبيب السويسري بار سيلوس: إن فائدة الصوم في العلاج تفوق مرات استخدام الأدوية المختلفة. وفي عام 1941 صدر كتاب بوخنجر" المعالجة بالصوم" كطريقة بيولوجية شرح فيه المؤلف كيفية استخدام الصوم في معالجة كثير من الأمراض المستعصية وبيّن أن الجوع يغيّر من تركيب البنية العضوية للجسم ويؤدي إلى طرح السموم منه)[1].

فما أعظم هذا الدين، وما أكرم الله تعالى، إذ يوجب ما يزكّي ويصلح.

## 13- الله يرغب عبادة في الطاعة ويخوفهم من عاقبة المعصية:

أ-قال الله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾[2].

الله هو الخالق وهو السيد المعبود، والإنسان هو المخلوق وهو العبد، ولله أن يأمر بما يشاء، وعلى العبد أن يطيع ويستسلم، ولكنّه سبحانه ههنا لم يأمر ولكنّه رغّب لأنّه يعلم أن من النفوس من تستجيب لفعل الخير بطريق التشجيع والترغيب، ولا تحتاج إلى أمر.

هذا الترغيب في الإنفاق في سبيل الله تعالى، جاء في صورة تشبيه تمثيلي، فالذي ينفق شيئا من ماله قلّ أو كثر، إن أخلص فيه لله تعالى، ضاعف الله تعالى له الأجر والثواب، كما تضاعف حبّة القمح وغيرها إذا زرعت مرّات ومرّات، حتّ أنّ حبّة يمكن أن تعطي سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة.

[1] – الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية:د، أحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي، القاهرة،ط1، 1426هـ/2005م،ص528.

[2] – البقرة 261.

فلا خوف ولا حزن إذن، فالمال زاد ولم ينقص، وكثر ولم يقل، وحفظ ولم يضع، وهكذا الله يرغب النفوس لتنفق، وإنّ الحياة الإنسانية إن لم تبن على الجود والكرم والسخاء، حياة آيلة إلى الزوال والفساد والخراب، وإنّ أمّة يكثر فيها أهل الجود والكرم، أمّة يسودها الأمن والخير والترابط، وإنّ دعوة يحتضنها أفراد أهل جود وسخاء، دعوة ناجحة منتصرة.

جاء في( تفسير ابن كثير): وهذا المثل أبلغ في نفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإنّ هذا فيه إشارة إلى أنّ الأعمال الصالحة ينمّيها الله عز وجل لأصحابها كما ينمّي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة[1].روى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا تصدق بناقة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة ﴾[2].

ب-قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ ﴾[3].

إنّه لتحذير شديد، وترهيب بليغ﴿ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾. فالله يستعمل الترهيب لتترك النفس المعصية، وقد ورد التشبيه في هذه الآية في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾. وهو تشبيه مقلوب، فالأصل أن يقال:(إنّما الربا مثل البيع) لأنّ الكلام في الربا وليس في البيع، بل وأنّ الربح الآتي من الربا أكثر وأفضل من طريق البيع، لأنّ المشبه به عند علماء البيان أقوى من المشبه.

والله بخوّفهم وبحذّرهم من عاقبة التعامل الربوي﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ ﴾. فآكل الربا لا يقوم إلاّ كما يقوم المصروع الممسوس.

---

[1] - تفسير القرآن العظيم: الحافظ إسماعيل بن كثير، ج1، ص 516.

[2] -المصدر نفسه: ج1، ص 561 .

[3] - البقرة 275.

جاء في (الكشاف): لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم.﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أي المصروع. وتخبط الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع. والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون. والمس الجنون ورجل ممسوس. هذا أيضا من زعماتهم وأن الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن.والمعنى: أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع. أي أنهم يقومون يوم القيامة مجنونين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف.." ذلك" العقاب بسبب قولهم « إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا» [1]. وجاء في (الإبداع البياني في القرآن العظيم): «لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ»: تمثيل لحال المرابين، الذين يمتصون دماء البشر، فقد صورهم القرآن بهذا التصوير المرعب، صورة الممسوس، الذي أصابه مس من الجن، فتخبط تخبط المجنون، فهذى في كلامه، وصرع في مشيه، وأصبح فاقد الوعي والإحساس، ذلك لأن الربا أثقل بطونهم فلم يستطيعوا المشي سويا[2].

دون الدخول في جدال، هل الجن تصيب الإنسان بالمسّ أم هذا زعم المشركين، فإنّ الله عن طريق التشبيه يحذر العصاة آكلي الربا.

## 14- رحمة الله بالمؤمنين:

قال الله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[3].

---

[1] - الكشاف: ج1، ص 154.

[2] - الإبداع البياني في القرآن العظيم: الشيخ محمد الصابوني، ص 53.

[3] - البقرة 286.

التشبيه هنا ورد في قوله تعالى:﴿وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾. ومن معاني ومقاصد التشبيه هنا أن يذكّر المؤمنين بفضل الله عليهم ورحمته بهم إذ جعل شريعتهم شريعة الإسلام تتّصف باليسر ورفع الحرج، والإصر ( العبء الذي يأصر حامله أي لا يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قطع موضع النجاسة من الثوب)[1].

ولا شك أنّ ثمة ترابط بين مجموع المعاني الواردة في الآية، فقوله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾ له ارتباط بقوله تعالى:﴿ وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ ﴾.

فالله يعلّم المؤمن الدعاء فيقول:﴿ وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا ﴾ أي لا تكلّفنا بما لا نطيق، والله يجيب الدعاء ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ ﴾. فتكاليف الشريعة الإسلامية في مقدور البشرية التزامها. وها هنا سر أودّ ذكره، لنعرف أكثر مدى سعة رحمة الله تعالى.في قوله تعالى:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾. الفعل (كسب) مجرد وقد استعمل في جانب الخير، والفعل (اكتسب) مزيد بحرفين (ا، ت)، وقد استعمل في جانب الشر. فما السر؟ السر في ذلك أنّ المؤمن وإن فعل خيرا قليلا بلا تعب، أي مجرّد من الألم والمشقة فله أجر كبير فالحسنة عند الله بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾، بينما إذا فعل شرّا وقد حرص على فعله وزاد في التكلّف والحرص على فعله فلا يكتب إلاّ شرّا واحد بلا زيادة ولا تضعّف ، فما أكرم الله.

[1]- الكشاف: ج1، ص 159.

## ثانيا: تصحيح التصور تجاه سنن الله في معاملته للناس.

### 1- مواصفات واحدة للاهتداء وطريق واحد للفلاح:

قال الله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

سبق وأن بيّنا في هذا الفصل في النقطة المتعلقة بتصحيح الاعتقاد اتّجاه الله تعالى، أنّ في قوله تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾: تشبيه ضمني ومن أبعاده بيان أنّ الهادي هو الله، وأن لا هداية كاملة نحو النجاح والفلاح إلاّ ما كانت مصدرها الله تعالى.

ولهذا التشبيه أيضا أبعاد أخرى ومعان تذكر، إنّه يحمل معنى الإشارة إلى سنّة الله تعالى التي وضعها لأجل الفلاح، فمن عرفها وعمل بمقتضاها، أدركته عناية الله واهتدى ثمّ أفلح وإلاّ فله الضّلال والخسران.

فقوله تعالى« أُوْلَٰٓئِكَ» اسم إشارة للبعيد، بعد المكانة والرفعة، دنيا وآخرة، لمن اتّصف بالمواصفات التي ذكرت قبل ذلك، والتي بسببها كانت الهداية وكان الفلاح، جاء في( ظلال القرآن): ومع التقوى والإيمان بالغيب عبادة الله في الصورة التي اختارها، وجعلها صلة بين العبد وربه، ثم السخاء بجزء من الرزق اعترافا بجميل العطاء. وشعورا بالإخاء، ثم سعة الضمير لموكب الإيمان العريق، والشعور بآصرة القربى لكل مؤمن ولكل نبي ولكل رسالة، ثم اليقين بالآخرة بلا تردد ولا تأرجح في هذا اليقين.. وهذه كانت صورة الجماعة المسلمة التي قامت في المدينة يوم ذاك، مؤلفة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وكانت هذه الجماعة بهذه الصفات شيئا عظيما، شيئا عظيما حقا يتمثل هذه الحقيقة الإيمانية فيها.. ومن ثم صنع الله بهذه الجماعة أشياء عظيمة في الأرض، وفي حياة البشر جميعا.. ومن ثم كان هذا التقرير﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ، وكذلك اهتدوا وكذلك أفلحوا، والطريق للهدى والفلاح هو هذا الطريق المرسوم[2].

---

[1]- البقرة 05.

[2]- في ظلال القرآن: سيد قطب، م1، ص 35.

وأهل الكتاب عندما خالفوا هذه السنن ضلّوا وما أفلحوا، فاستبدلهم الله بأمّة الإسلام، هذه الأمّة جرّبت تطبيق هذه السنن فاهتدت وأفلحت، وهذه السنن لا تزال هي هي لا تتغيّر ولا تتبّدل، لأنها محفوظة بحفظ القرآن ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

إنّ الأوكسجين كما يقول العلماء هو الذي يصلح للتنفس الطبيعي، وهذه سنّة كونية أو قانون طبيعي، فكذلك الصلاة والإنفاق واليقين بالآخرة، والتصديق بالرسل، سنن اجتماعية أو قانون اجتماعي، كل أمّة التزمته أفلحت.

## 2-كفاية الله ونصرته:

قال الله تعالى:﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) ﴾[1].

التشبيه في قوله تعالى:(فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ )،والمعنى ( فإن آمنوا بكتابكم المماثل لكتابهم أي: فإن آمنوا بالقرآن الذي هو مصدق لما هو في التوراة والإنجيل فقد اهتدوا)[2].

ومن معاني التشبيه هنا أنّ ما أنزل من عند الله من كتب فإنّ مقاصدها واحدة، ولذلك فالقرآن الكريم دعا إلى ما دعا إليه الإنجيل والتوراة(توحيد الله والتزام أوامره)، فمن آمن بالتوراة والإنجيل حقّا، حتما سيؤمن بالقرآن صدقا، والله تعالى يدعو نبيّه عليه السلام، والأمّة المسلمة عموما، في زمن نزول الوحي وفي كل زمن إلى الدوران في الحياة مع القرآن ومقاصده، دون خوف من أهل الكتاب وغيرهم، لأنّ الله يكفي وينصر من اتّبع كتابه ونصر رسالته، وهذا قانون إلهي به يتعامل مع الناس.

[1]- البقرة ( 137/136).

[2]- خصائص التشبيه في سورة البقرة:د،إبراهيم علي حسن داود، ص 210.

## 3- لا يقبل الله شرك المحبة:

قال الله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾[1].

التشبيه وارد في قوله تعالى:﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾. والمعنى ( يسوون بينه وبينهم في محبتهم لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين)[2].والله تعالى غنيّ عن الند لأنّه قويّ بذاته غنيّ، فلماذا بعض الناس يتّخذون مع الله أندادا يحبونهم ويوالونهم بل ويخضعون لهم أحيانا؟! أيبتغون عندهم القوة والعزة؟! فللّه القوّة الكاملة.

والمحبة هنا ليست مجرّد عاطفة بل هي اعتقاد وهي إرادة، فهم ساووا في محبّتهم بين الله وبين الأنداد الآخرين من حجر أو بشر، آمنوا بالله خالقا ورازقا، وصدّقوا أنّه قوي وغني، ولكنّهم خضعوا واتّبعوا في حياتهم لسلطان غير سلطان الله، فالمحبّة التي هذه نتيجتها الخضوع حينا لله وحينا أخر لغير الله هي من قبيل الشرك بالله تعالى، والله لا يقبل شركا أيّا كان نوعه، وإلاّ فإنّ الله يحاسب ويعاقب.

## 4- دعاة الباطل وعقوبة الحسرة:

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[3].

---

[1] - البقرة 165.

[2] - الكشاف: ج1، ص 104.

[3] - البقرة ( 167/166).

التشبيه وارد في قوله تعالى:﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ﴾. حيث ( يشبه التابعين حين تمنّوا الرجوع إلى الدنيا حتى يطيعوا الله تعالى فيتبرءوا من متبوعيهم في الآخرة إذا حشروا جميعا مثل تبري المتبوعين منهم مجازاة لهم مثل صنيعهم، أي كما جعلوا بالتبري غائضين متحيرين على ما حصل لهم بترك متابعتهم، كذلك لم يتبرءوا منهم قبل تمني الرجوع، لأنه لا يغيظ المتبوعين حيث تبرءوا من الإتباع أولا. ومن هنا يظهر وجه القراءة على البناء للفاعل. لأن تبرؤ الأتباع من المتبوعين في الآخرة بالانفصال عنهم بعدما ما تبين لهم فكذلك تمنوا الرجوع إلى الدنيا ليتبرءوا منهم تبرؤا يغيظهم[1].

إنّها سنّة الله تعالى، من والى غيره واتّبعه، وترك السير على ما أنزل الله من الهدى سيجعل له يوما يتمنّى لو تكون له فرصة للعودة إلى دار الدنيا ليتبرّأ من هؤلاء الذين اتّبعوهم وناصروهم في الدنيا ثمّ هم يوم القيامة تركوهم بل تبرؤا منهم، إنّه قانون الله يسري على الناس، موالاة بين الناس، تابع ومتبوع، على غير طاعة الله، تتحوّل يوم القيامة إلى عداوة وحسرة وندامة.

## 5- بين الكفر والعقل:

قال الله تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾[2].

شبّه الله تعالى ( واعظ الكفار وداعيهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم بالراعي الذي ينعق بالغنم والإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه، ولا تفهم ما يقول)[3].

هكذا هي سنّة الله تعالى في تعامله مع عباده، من كفر فستر الحق وغطىّ النور، وجعل حجابا بينه وبين نور الإيمان بالله تعالى وبكتبه ورسله، نفى عنه صفة العقل، العقل الذي هو أشرف ما منح الله الإنسان، فمن لم يعرف ربّه بهذا العقل، لم يدرك الحقّ الذي جاءه من عنده، فأي عقل عنده؟ إنّه يشبه الإبل وقد شردت، فلا تفهم عن صاحبها شيئا ولا تعقل.

---

[1]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: د، إبراهيم علي حسين داود، ص 285.

[2]- البقرة 171.

[3]- أحكام القرآن: القرطبي، ج1، ص 214.

وهذه السنة أو هذا القانون جار في كل زمان ومكان، ولن تجد لسنّة الله تبديلا فمن كفر بالله تعالى فهو كالأنعام التي تسمع صوتا ولا تعقل معنى، حتّى ولو كان هذا الكافر دكتورا في الطب والهندسة والرياضيات وغيرها من العلوم إن لم يعرف عقله ربّه وخالقه، و لم يهتد به إلى دينه، فهو لا يفهم ولا يعقل عند الله تعالى، وإن رفع قدره عند البشر.

## 6- حدود الله من تعدّاها ظلم:

قال الله تعالى:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[1].

والتشبيه وارد في قوله تعالى:﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾.

أي هنّ كاللباس لكم وأنتم كاللباس لهنّ، ومن فوائد اللباس أنّه يستر صاحبه ويقيه ممّا يضرّ من حرّ وقرّ، وكذلك المرأة ستر للرجل والرجل ستر للمرأة، وكلاهما يقي الآخر من الوقوع في الحرام.جاء في (الظلال): واللباس ساتر وواق.. وكذلك هي الصلة بين الزوجين، تستر كلا منهما وتقيه، والإسلام الذي يأخذ هذا الكائن الإنساني بواقعه كله، ويرتضي تكوينه وفطرته يلبي دفعة اللحم والدم، وينسم عليها هذه النسمة اللطيفة، ويدثرها بهذا الدثار اللطيف[2].

نعم هكذا هو الإسلام ما جاء ليقف ضد الفطرة، وهكذا هو الله تعالى لم يضع التشريع لعباده ليحرمهم من كل شيء، فالإسلام يتماشى مع الفطرة، والإنسان مفطور على الميل الجنسي، والله تعالى لم يحرّم العلاقة التي تؤدّي دورها الإيجابي في الحياة، فمن تعدّى هذه الحدود ظلم نفسه وغيره، ومقتضى ذلك العقوبة في الدنيا والآخرة.

---

[1]- البقرة 187.

[2]- في ظلال القرآن: سيد قطب ، م1، ص 168.

فالطريق المرسوم بين المرأة والرجل هو الزواج، وبعد الزواج يجب المحافظة على هذه العلاقة، والله تعالى وهو يتحدّث عن هذه العلاقة، ذكرها في معرض الحديث عن عبادة الصيام، فمن الحدود المرسومة التي يجب أن لا يتعدّاها الزوجان، أن يكون الرفث ليلا لا نهارا، ولا في حالة الاعتكاف، قد تشتهي النفس العلاقة، وقد تتمنّ النفس ذلك نهارا، لكن رسم الحد فلا يتعدى.

والتشبيه في قوله تعالى:﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ يتضمّن حدودا، فالمرأة لزوجها يجب أن تكون كاللباس الساتر الواقي، ولمن؟ لزوجها وفقط، وكذلك الزوج مع زوجته ولزوجته، فمن تعدّى العلاقة الزوجية إلى علاقات أخرى فقد تعدّى على حدود الله وقد ظلم، ومن لم يكن كاللباس ساترا وواقيا، فقد تعدّى على حدود الله، فكان المطلوب من الزوجين، هو البحث في العلاقة بينهما بحيث تؤدّي الهدف وهو الستر والحماية، المعاشرة بالمعروف، والتزيّن المألوف، وغير ذلك مما يزيّن كل واحد منهما في نظر الآخر، ويدعو إلى الانجذاب الفكري والنفسي بينهما.

## 7- ردّ العدوان مع التقوى:

قال الله تعالى:﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

ورد التشبيه هنا في قوله تعالى:﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾.وهذا التشبيه يتضمّن سنّة من سنن الله تعالى في رسم العلاقات بين المسلمين وبين من اعتدى عليهم من الكافرين، وهذه العلاقة يجب أن تفهم كما هي، ويجب التعامل معها كما طلب.

إنّ الله سنّ للمؤمن أن يردّ العدوان، ولا يجبن ولا يخضع لولاية كافر، ولكنّه ردّ( بلا تجاوز ولا مغالاة.. والمسلمون موكولون في هذا إلى تقواهم، وقد كانوا يعلمون- كما تقدم-

[1]- البقرة ( 195/194).

إنما ينصرون بعون الله، فيذكرهم هنا بأن الله مع المتقين، بعد أمرهم بالتقوى.. وفي هذا الضمان كل الضمان)[1].

إذن فالدفاع عن النفس، وعن العرض والدين والوطن، ينبغي أن يكون موصولا بتقوى الله، حتّى لا يقع التجاوز عند ردّ العدوان، وهذه هي سنّة الله تعالى، وهذا هو قانون الله تعالى.

## 8- الابتلاء سنّة ماضية:

قال الله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[2].

التشبيه في هذه الآية في قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ﴾. أي (لم تبتلوا كما ابتلى الذين خلو من قبلكم من المؤمنين وهذا من التشبيه المنفي)[3].

إنّ ابتلاء الناس وخاصّة المؤمنين، سنّة الله الجارية، مضت في الأوّلين وهي لا تزال يتعامل بها الله تعالى، ليتبيّن الذين صدقوا، وليميز الله الخبيث من الطيب، وليكون إيمان المؤمن مبنيّا على أساس الصدق والإخلاص واليقين والعلم، ومن كان إيمانه كذلك لم يتغيّر، حتّى وإن" **مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ**" أي لم يكن الابتلاء بسيطا وإنّما كان شديدا، بلغ مداه أن مسّ الجسد والروح، في الحرب وبالأمراض الخطيرة، ومع ذلك الإيمان هو الإيمان، والصدق مع الله باق، والثبات على دينه مستمر.

وهذا المعنى، معنى ابتلاء الله للناس بمن فيهم المؤمنين، وجّه للصحابة عند نزول الوحي حينذاك، وهو موجّه من بعدهم لكلّ مؤمن، وهذا من باب تعليم المؤمن أنّ سنّة الله تعالى في عباده المؤمنين، مضت أنّ الابتلاء بالخوف والجوع والأمراض وغير ذلك لا مفرّ منه، وأنّ الصابرين والتائبين لهم نصر الله وفرجه.

---

[1]- في ظلال القرآن: سيد قطب،م1، ص 185.

[2]- البقرة 214.

[3]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: د، إبراهيم علي حسن داود، ص 350.

ولقد ابتلى الصحابة رضي الله عنهم ومعهم رسول الله عليه السلام، مسّتهم البأساء والضراء في المرحلتين المكية والمدينة ( الحصار- الغزوات...) ..ولقد كانوا نعم المؤمنين في الصبر والثبات، وجزاهم الله بالفتح المبين وفي الأرض بالتمكين.

## 9-الخير فيما اختاره الله لك:

قال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

التشبيه في هذه الآية ورد في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ ﴾.
فإذا كان (الكره بمعنى الإكراه، كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم، وفي هذه الحالة وهي: كون الكره بمعنى الإكراه تشبيه بليغ لأنه حمل للإكراه على المكره عليه، فكأنه شبه القتال بالشيء المكره عليه)[2].

فالله كتب على المؤمنين القتال، فرضه عليهم للدفاع عن الدين الحقّ، وفي هذا القتال مشقّة وتعب وألم، والنفس عادة ما تفرّ ممّا فيه مشقّة وتعب وألم، ولكنّ الله يطمئن المؤمن بأنّ الخير كل الخير فيما كتبه الله وفرضه ولو كان فيه ألم ومشقة.﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾. وهذا المعنى يصبح يفهم على أنّه سنّة الله تعالى فيما فرض وما شرّع، فأحكام الله تعالى كلّها مصالح وخير للعباد في الدنيا وفي الآخرة، ولو كان فيها مشقّة وألم.

ولقد تعامل الصحابة بإيجابية مع هذه السنّة الإلهية، فعزّوا وانتصروا.

## 10-سنة الله بين الطبيعة الكونية والطبيعة البشرية:

قال الله تعالى:﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

---

[1]- البقرة 216

[2]- خصائص التشبيه في سورة البقرة:د،إبراهيم علي حسن داود، ص 358.

[3]- البقرة 223 .

في قوله تعالى:﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ ﴾ تشبيه بليغ (حيث شبه النساء بالحرث لما بين ما يلقى في أرحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث أن كلا منهما مادة لما يحصل له، ولفظ حرث تعطي بأن الإباحة لم تقع إلا في الفرج خاصة)[1]. وتشبيه المرأة بالأرض، والولد بالنبات وما يجعله الأرض في رحم المرأة بالبذور، فيه إشارة إلى سنّة الله تعالى في الطبيعة، وسنّة الله تعالى في الحياة البشرية، ومن فوائد ذلك بيان أنّ الحياة البشرية بما فيها العلاقة الزوجية يجب أن تبنى على قواعد وقوانين، لتؤدّي دورها وتبلغ أهدافها، فمثل الحياة البشرية- العلاقة الزوجية- كمثل حراثة الأرض وزراعتها وتعهد نباتها حتى تؤتى أكلها.

والله تعالى وضع القواعد والقوانين التي تحكم العلاقات الزوجية ثمّ العلاقات الأسرية عموما، فمن اتّبع هذه القواعد والقوانين كانت حياته آمنة مطمئنة. يقول سيد قطب: والأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولّى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها، وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل وتنطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة وعلى هديه ونوره تتفتح للحياة، وتفسر الحياة، وتتعامل مع الحياة[2].

إنّ علاقة الرجل بالمرأة كعلاقة الفلاح بالأرض، وزرع الأرض وانتظار الحصاد بعد ذلك له قواعده، من اختيار البذرة الجيّدة وجودة الحرث، وحسن البذر، واختيار الزمان والمكان المناسبين للزرع، ثمّ الرعاية للزرع، ومع كلّ ذلك لا بدّ من الحرص على أن لا تفسدها الآفات، ممّا قد يستدعي استعمال الأدوية. وكذلك في جانب علاقة الرجل بالمرأة، علاقة مبنية على أساس عقد شرعي، ثمّ المباشرة في موضع الحرث – موضع إنجاب الولد- مع ذكر الله وعبادته وشكره حتّى يبارك، وترك ما حرم الله – فهي كالآفات- وتعهّد الولد بالرعاية وحسن التربية.وهكذا كان للتشبيه دور في إبراز سنّة الله تعالى في الحياة الطبيعية والحياة البشرية،وأن لا معنى أن تسير الحياة الزوجية بلا ضوابط.

[1]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: د، إبراهيم علي حسن داود، ص 368.

[2]- في ظلال القرآن: سيد قطب، م1، ص 229.

## 11-السبيل للمحافظة على المال ومضاعفته:

- قال الله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

- وقال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

هذه الآيات تتضمن تشبيهات تمثيلية « كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ .. » ، « فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ »، « كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ .. ».

وممّا ترمي إليه هذه التشبيهات من مقاصد، بيان سنّة الله تعالى في مجال المال، من حيث إنماؤه والحفاظ عليه، أو من حيث إتلافه. فالله تعالى يتعامل مع الناس في مجال المال، وفق سنّة لا تتبّدل ولا تتغيّر، فالذي ينفق ماله فيجود ويتكرّم في سبيل الله، مخلصا محبّا، متوكّلا على الله راجيا ما عند الله من ثواب، ومتعاطفا مع الفقراء والمساكين دون منّ ولا أذى.. فهذا يحفظ الله له ماله ويباركه، ويجازيه عنه يوم القيامة، كما لو أنّه أنفق الكثير منه ( سبع مائة ضعف أو يزيد)،أمّا

[1]- البقرة 261.

[2]- البقرة (166،265،264 ).

الذي يمسك ماله، فيبخل ويشحّ، فالله يمحق ماله، ويذهب بركته، ويتركه في طريق الضلال بل ربّما سار إلى الكفر « وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ » .

إنها سنّة الله تعالى، والمسلمون في زمن الرسول عليه السلام أحسنوا التعامل معها، فبارك الله لهم وفيهم وفي ذريتهم، وجاءتهم أموال كسرى وقيصر، بعد أن جادوا وأنفقوا وضحوا بأموالهم. فهل فعلنا ذلك اليوم؟

## 12-رفع الحرج عن الناس والتيسير عليهم من سنن الله تعالى:

أ- قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1].

التشبيه وارد في قوله تعالى:﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾. ووجه الشبه هذا في أصل الحكم لا في الكيفية. ومن معاني وأبعاد التشبيه ها هنا أنّه لأهميّته فرض عل كل أمّة. وإذا كان الأمر كذلك فلا تساهل في التزامه، ولا رخصة في تركه، ولا مبرّر للتهاون فيه. هذا هو المستفاد، فهل هذا صحيح؟ وهل حقيقة لا مبرّر لتركه مهما كانت أوضاع الإنسان؟ كلاّ، إنّ الله ما جعل في دينه من حرج على الناس، وإذا كانت ثمّة مشقّة في أداء واجب فإنّ هذا يجلب التيسير، وهذا من سنن الله في تشريعه. يقول الله تعالى بعدما تحدّث عن فرضية الصيام﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾[2]. ثمّ قال:﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾[3].

ولا شكّ أنّ الآيات مترابطة خاصّة أنّها جاءت مرتّبة ، والمعاني متكاملة، فالتشبيه في قوله تعالى:﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾. والذي يستفاد أنّ الصوم مهمّ حتّ أنّه فرض

[1]- البقرة 183.
[2]- البقرة 184.
[3]- البقرة 185.

على جميع الأمم السابقة، وسيبقى كذلك مفروضا، وعليه فلا رخصة في تركه كما يفهم، غير أنّ الآيات التي جاءت من بعد ذلك والمرتبطة بموضوع الصيام، تكشف لنا عن مدى رحمة الله تعالى بالإنسان، وتكشف لنا عن سنّة التيسير في تعامل الله مع عباده، وتكشف لنا أنّ هذا الدين مبنيّ على أساس رفع الحرج.

ب –قال الله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

إنّها آخر آية، جاءت بعد أوامر و نواه وتوجيهات مختلفة، وفي أطول سورة قرآنية، وفي سورة نزلت بداية العهد المدني بعد الهجرة، حيث بداية تأسيس الدولة المسلمة، وتكوين المجتمع المسلم. ما معنى ذلك؟ خاصة إذا نظرنا إلى التشبيه الذي هو محلّ هذه الدراسة حيث ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾. والمعنى (لا تشدد علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود، فقد ذكر المفسرون أن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة، وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة، ومن أصاب ثوبه بنجاسة أمر بقطعها)[2].

وهذا الدعاء هو تعليم من الله لعباده المؤمنين، ومعنى ذلك، وهو قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه كما جاء في سورة البقرة نفسها[3]، أنّ الله خفّف عن هذه الأمّة المسلمة، ويسّر عليها، ورفع الحرج والمشقّة.

---

[1] – البقرة 286.

[2] – خصائص التشبيه في سورة البقرة: د، إبراهيم علي حسن داود،ص 487.

[3] – الآية المشار إليها رقم 186: " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ " .

## ثالثا: تصحيح التصور تجاه العبادات: صلاة – صوم– زكاة– حج– جهاد:

### 1- إيقام الصلاة لا الصلاة:

قال الله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

التشبيه ورد في قوله تعالى:﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ ﴾ وهو تشبيه ضمني،و المعنى أنّ في الآية : (رجوع إلى الإخبار عنهم بأن القرآن هدى لهم والإتيان بحرف الاستعلاء تمثيل لحالهم بأن شبهت هيئة تمكنهم من الهدى وثباتهم عليه ومحاولتهم الزيادة به والسير في طريق الخيرات بهيأة الراكب في الاعتلاء على المركوب والتمكن من تصريفه والقدرة على إراضته فشبهت حالهم المنتزعة من متعدد بتلك الحالة المنتزعة من متعدد تشبيها ضمنيا دل عليه حرف الاستعلاء لأن الاستعلاء أقوى أنواع تمكن شيء من شيء، ووجه جعلنا إياها مؤذنة بتقدير مركوب دون كرسي أو مصطبة مثلا لأن ذلك هو الذي تسبق إليه أذهانهم عند سماع ما يدل على الاستعلاء، إذ الركوب هو أكثر أنواع استعلائهم فهو الحاضر في أذهانهم يرمزون إليه ما يذكرون إلا المركوب وعلائقه فيقولون جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل، فتكون كلمة" على" هنا بعض المركب الدال على هيئة المشبه بها وعلى وجه الإيجاز[2].ومن معانيه التمكّن من الهداية، فقد اهتدوا الهداية الكاملة والتي بموجبها أفلحوا. ومن أهمّ ما أوصلهم إلى الهدى التام أنّهم« وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ »[3]. فالتمكّن من الهدى إذن جاء بعد إيقام الصلاة وليس الصلاة.

وإيقام الصلاة معناها أنّ تؤدّى وفق الكيفية المشروعة في القرآن والسنة من الخشوع فيها، والتزام أركانها، والمحافظة على أوقاتها... أمّا لو قيل« الذين يصلون» فالمعنى أن تؤدّى بأيّة كيفية.

ولقد ذكر الله لعباده الصلاة في سورة البقرة في مواضع شتّ للدّلالة على أهمّيتها في بلوغ الهداية الكاملة، وتحصيل الفوز، قال الله تعالى:﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[4]. وقوله:

---

[1]- البقرة 05

[2]- التحرر والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص 242.

[3]- البقرة 03

[4]- البقرة153

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1]. وقوله كذلك :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾[2]. وقوله:﴿يا يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3].وقوله:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ...وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ... ﴾[4].وقوله:﴿ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ ﴾[5]. وقوله:﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ... حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾[6].

والملاحظة هنا أنّ الصلاة ذكرت مفرّقة في ثنايا السورة، و لم تذكر في البداية فقط ولا في الوسط فقط، ولا في النهاية فقط، وذلك للدّلالة على أنّ جميع العبادات والمعاملات تحتاج إلى الصلاة، فلا عقيدة سليمة بلا صلاة، ولا عبادة صحيحة بلا صلاة، ولا أخلاق حسنة بلا صلاة، ولا تعامل قويم وخير مع الناس بلا صلاة، ولذلك فعندما تحدّث الله تعالى عن موضوع الطلاق أردف الحديث بعده الحديث عن المحافظة على الصلاة، وكأنّها إشارة إلى أنّ التهاون في إيقام الصلاة قد يكون سببا من الأسباب المؤدّية إلى الطلاق بعد غفلة القلوب عن ذكر الله.

والحديث عن إيقام الصلاة، كما ذكرنا مرتبط بالتشبيه الضمني « أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ». فمن رام بلوغ الهداية الكاملة فليصبّر نفسه على إيقام الصلاة لا مجرد الصلاة، وعندما يبلغ الهداية فهنيئا له بالفلاح.جاء في (الظلال):ومع التقوى والإيمان بالغيب عبادة الله في الصورة التي اختارها

---

[1]- البقرة 110

[2]- البقرة 143

[3]- البقرة 153 .

[4]- البقرة 177.

[5]- البقرة 187

[6]- البقرة( 239/238/237).

وجعلها صلة بين العبد وربه[1].أنظر إلى قوله في الصورة التي اختارها أي إيقام الصلاة لا الصلاة .

## 2- تجدّد الإنفاق بتجدّد الداعي:

قال الله تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2]. سبق وأن بيّنا أنّ في قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾ تشبيه ضمني وهذا التشبيه له علاقة بما قبله.فالله يشبّه المؤمنين الذين تمكّنوا من الهداية، بالراكب على ظهر حصان أو نحوه وقدتمكن من الركوب، وهذا الحكم من الله تعالى للمؤمنين بأنهم بلغوا الهداية التامّة والكاملة، إنّما جاء بعد ذكر مواصفات وشروط. ومن هذه الشروط قوله تعالى:﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[3].فكلّ ما يملكه الإنسان إنّما هو عطاء من الله تعالى، والله تعالى صاحب المال يدعو الإنسان إلى إنفاق جزء منه كزكاة أو كتطوّع أو إنفاق دعت الحاجة إليه والضرورة.

وفي الحقيقة ما أكثر الدواعي والضرورات في حياة الناس التي تستدعي الإنفاق،كالجهاد في سبيل الله لردّ العدوان، وإخراج المحتلّين، وإغاثة الملهوف، فقد لا تكفي الزكاة لحلّ مشكلات الأمّة، فعلى الأغنياء البذل والتضحية بالمال لتفريج الكرب.. ولعلّه من أجل هذا المعنى الأخير أي الإنفاق من بعد الزكاة، جاء التعبير بقوله تعالى: « يُنفِقُونَ » وهو فعل مضارع، يدلّ على معنى تجدّد الإنفاق بتجدّد الدواعي والأسباب فالذين يجدّدون الإنفاق مرّة بعد مرّة، قد اكتسبوا شرطا من شروط بلوغ الهداية الكاملة ومن ثمّ الفلاح التام. ولقد ذكر موضوع الإنفاق في سبيل الله في مواضع شتّى من سورة البقرة، مستعملا الأسلوب الحقيقي حينا، والمجازي حينا آخر، أمرا حينا ومرغبا أحيانا أخرى، وذلك لأهميّة الإنفاق في سبل الخير.﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ ﴾[4].﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[5].

---

[1]- في ظلال القرآن: سيد قطب، م1، ص 35.

[2]- البقرة 05

[3]- البقرة 03

[4]- البقرة 110.

[5]- البقرة 177.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[1]. ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[2]. ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[3]. ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[4]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾[5]. ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ ﴾[6]. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾[7]. ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾[8]. ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[9]. ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[10]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[11]. ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[12].

وممّا يلاحظ هنا أنّ الله تعالى ذكر إنفاق المال في أوّل السورة، ثمّ ذكره في أواخرها، وفي مواضع شتّى من السورة، فهو يتحدّث في موضوع ما يتعلّق بالحياة الاجتماعية ثمّ يذكر الإنفاق ثمّ

---

[1]- البقرة 188.
[2]- البقرة 195.
[3]- البقرة 215 .
[4]- البقرة 245 .
[5]- البقرة 254 .
[6]- البقرة 261 .
[7]- البقرة 267.
[8]- البقرة 270
[9]- البقرة 271
[10]- البقرة 274
[11]- البقرة 277
[12]- البقرة 280.

يسرد قصّة ويعود إلى الإنفاق، يتحدّث في موضوع الأسرة، ثم يذكّر بالإنفاق، وكلّ هذا يدلّ على أنّ المال مهمّ وأنّ له ارتباط بمجالات عديدة من حياة المسلمين.

كما يلاحظ أنّه أفصح في مواضع محدّدة بالأمر بالزكاة وهو إنفاق واجب معيّن، ثمّ ذكر في آيات أخرى الإنفاق دون ذكر الزكاة، ليلفت الانتباه أنّ بعد هذه الزكاة الواجبة نفقات أخرى قد تكون مستحبة أو واجبة. وهكذا تجد أنّ التشبيه الضمني في « **أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ**» يصحح التصور في علاقة المسلم بالمال. فلا هداية كاملة إلاّ بتجدّد الإنفاق ليس في الزكاة فحسب، وإنّما كلّما دعت الضرورة.

## 3-وظيفة الصيام:

قال الله تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ** ﴾[1].

ههنا تشبيه، فالصيام الذي فرضه الله على المسلمين يشبه الصيام الذي فرضه على الأمم الماضية من حيث أصل الحكم لا من حيث الكيفية والزمن، ومن معاني التشبيه بيان أهميّة الصوم في حياة الإنسان، حتى أنّ الله فرضه على كلّ الأمم وإن اختلفت الكيفية.

ومن أبعاد التشبيه فيما يتعلّق بعبادة الصيام، أن يصحّح التصور تجاه هذه الفريضة والتي قد يقبل عليها الإنسان مكرها، لما فيها من تعب ومشقة.. فجاء التشبيه ليوضّح للمسلم أنها ما فرضت على كلّ الأمم إلاّ لمنافع تعود على الصائمين « **لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ** »، والتقوى تجمع كل مواصفات الخير، فالتقي مهتد غير ضالّ، نافع غير ضار، وهل يصلح المجتمع إلاّ بالمهتدين النافعين، إنّ اتّباع الملذات بلا ضابط، والاستجابة للشهوات بلا قيد، يضرّ بالفرد والمجتمع، لحدوث تداخل المصالح، والاعتداء على حقوق الآخرين، واتّباع هوى النفس في فعل الشر. فماذا بعد هذا من خير أو أمن أو استقرار؟ فالصيام يضبط النفس، ويعين على الصبر،ويقوّي الإرادة، فيقدر الإنسان الصائم على فعل الخير وترك الشر في مجالات الحياة كلّها وهذا هو المطلوب.يقول سيد قطب: فالصوم هو مجال تقرير الإرادة العازمة الجازمة، ومجال اتصال

[1]- البقرة 183 .

الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد، كما أنه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها واحتمال ضغطها وثقلها، إيثار لما عند الله من الرضي والمتاع.. وهذه كلها عناصر لازمة في إعداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك، والذي تتناثر على جوانبه الرغائب والشهوات والتي تهتف شبابيكه آلاف المغريات[1].فيجب على المسلم أن يتعلّم أنّ الصيام فرض كوسيلة لتقوية الإرادة، حتى تتمكن النفس من الثبات على الطريق الذي رسمه الله له، وهو طريق مملوء بالأشواك،وليس الصوم جوعا وعطشا.

فائدة:

يقول عمار ساسي معلّقا على الطريقة التي استعملت في فرضية الصيام: إنّ الله يخاطب المؤمنين في هذه الآيات خطابا تكليفيا في فقه العبادات (الصيام) وهم في حالة خلو أذهانهم من الخبر لأن الأحكام قبل نزولها كانت في علم الله تعالى وحده، ولذلك لم يرد في الآيات التوكيد أو غيرها التي تفيد علم الخبر أو الحكم مع الشك فيه. ومن هنا اقتصي المقام تفصيل الأحكام( من المجمل إلى المفصل)، وأعني بذلك أن آية الصيام كان الشروع فيها بيان مجمل معجز عن الصيام وذلك في قوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ ثم انتقل بعدها إلى التفصيل فيها(فريضة الصيام)، فالمجمل غايته تصوير المسألة بإيجاز في الذهن حتى يهيئه لفهم وتقبل الذي يلي مفصلا من الأحكام في فريضة الصيام. وهذه المنهجية معمول بها في شتى العلوم التجريبية والإنسانية وهي المسمّاة بلغة العصر بالطريقة التحليلية)[2].

فممّا يتعلّمه المسلم من هذا التشبيه وبهذه الطريقة، كيفية تقديم العلوم.

## 4-الحجّ ذكر لله تعالى:

[1] – في ظلال القرآن: ج1، ص 161.

[2] - في إعجاز القرآن الكريم( دراسة الإعجاز البياني في بعض آيات الأحكام): رسالة ماجستير: الطالب، عمار سا سي، إشراف: د، جعفر دك الباب، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها،1993/19992، ص277.

قال الله تعالى:﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[1].

والمعنى فإذا انتهيتم من مناسك الحج.. الطواف والوقوف بعرفة والسعي بين الصفا والمروة وغير ذلك ممّا هو ركن أو مستحب، فاجتهدوا في ذكر الله تعالى كما تذكرون آباءكم قبل الإسلام، وأيّام الجاهلية في موسم الحج، حيث يقع التفاخر بالآباء، فالآن وقد عوّضكم الله بعبادة الحج،وأبدلكم بالإسلام دينا، وجعل لكم أهدافا غير الأهداف التي كنتم تريدون تحقيقها، فاذكروا الله تعالى..اذكروا نعمه عليكم ومن أهمّها نعمة الإيمان بالله تعالى، واذكروا حين جعل من صلب إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام العربي، الذي منه رسولكم محمّد العربي عليه السلام ، لماذا؟ لأنّ المناسك في الحج تذكر بذلك، حين ترك إسماعيل عليه السلام وهو صبيّ مع أمّه في مكّة، فأنعم الله تعالى عليهما بعد سعي هاجر لطلب الماء فكان الماء، وكان الزرع وكان اجتماع الناس، وكان البيت الحرام مركزا للمسلمين في العالم يقصدونه مرّة كلّ عام لأداء عبادة الحجّ. وفي اعتقادي أنّ هذا التشبيه يرمي إلى تصحيح تصوّر المسلم لعبادة الحج، فليس هي مجرد رحلة وسفر، أو دوران حول الكعبة، أو سعي بين الصفا والمروة، أو وقوف بعرفة كأمور شكلية لا،فكلّ منسك من مناسك الحجّ فيه ذكر لله تعالى، وانظر للتعبير﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ..﴾ فكأنّ المعنى: هذه المناسك فيها ذكر لله تعالى، بها تتذكّرون فضل الله عليكم، وبها تتذكّرون نعم الله تعالى، بها تذكرون قدرته وجوده وحكمته.. فإذا ذكرتم ذلك عند أداء المناسك فلا تنسوا أن تذكروا الله أيضا، وقد كنتم أيام الجاهلية تجتمعون في موسم الحجّ وعند مفترقكم تذكرون آباءكم وتفاخرون بهم، فالآن عند انتهائكم لا تنسوا أن تبقوا على صلة بربّكم تذكرونه وتفتخرون بدينه، ولا تنشغلون بالدنيا انشغالا ينسيكم ذكر الله.يقول إبراهيم علي حسن داود: يرى جمهور المفسرين أنّ القوم بعد الفراغ من الحجّ يبالغون في الثناء على آبائهم في ذكر مناقبهم وفضائلهم، فقال الله سبحانه وتعالى:﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾.توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الآباء، وابذلوا جهدكم في

[1]- البقرة 200.

الثناء على الله، وشرح ألائه ونعمائه، كما بذلتم جهدكم في الثناء على أبائكم، لأن هذا أولى وأقرب إلى العقل من الثناء على الآباء[1].

فالتشبيه من أبعاده تصحيح تصور المسلم حول عبادة الحج وأنّها لذكر الله وشكر آلائه. يقول د.عمار ساسي:﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾ فيه إشارة حقيقة إلى انتهاء مناسك الحج هنا والذكر عام في الحج وهو واجب وأشد ثم أنظر إلى ذلك الربط الحكيم بين بيان الأحكام والمناسك للحج، وبين ذكر الله الموجب للإيمان الصحيح به والعقيدة السليمة وهما الدافعان لأداء الفرائض، والفرائض هي المثبتة والمقوية لهما)[2].

وقد ذكرت عبادة الحجّ في سورة البقرة مرّات كثيرة. قال الله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾[3]. وقال تعالى:﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾[4]. وقال:﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[5].

والملاحظ هو أنّ آيات الحج جاءت تقريبا في موضع واحد متسلسل، من الآية 189﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾. إلى الآية 203﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾.

وممّا يستفاد- خاصّة وأنّ فريضة الحجّ هي من أواخر ما فرض من العبادات، و لم يحج النبي عليه السلام إلاّ مرّة واحدة، وهو أنّ فريضة الحجّ وإن كانت ذات أهمّيّة بالنسبة لمجموع المسلمين، فإنّه كفرد مسلم يكفيه أن يحجّ مرّة واحدة في عمره، والمال الذي ينفقه في الحج المسنون ليفرّج به كربا أو يحلّ به مشكلات للمسلمين، أو يدفع به ضررا عن أمّته.

---

[1]- خصائص التشبيه في سورة البقرة:د،إبراهيم علي حسن داود، 340.

[2] - الإعجاز البياني في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات): أ،د، عمار ساسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. ط1،2007م، ص416.

[3]- البقرة 189 .

[4]- البقرة( 200/199/198/197/196).

[5]- البقرة 203 .

## 5- القتال في سبيل الله ردّ للعدوان لا لفرض الإيمان:

قال الله تعالى:﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[1].

التشبيه في قوله تعالى:﴿ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾. والحقيقة أنّ ردّ العدوان ليس عدوانا، ولكنّه ردّ للحق المعتدى عليه، سواء تعلّق بقضايا الدين أم الدنيا من اعتداء على المال أو العرض أو البدن فتسمية ردّ الاعتداء بالاعتداء من باب المشاكلة كما يقول البلاغيون.

فالمعنى البعيد الذي يرمي إليه التشبيه أن لا إكراه في الدين، أي لا نبدأ الكافر بالقتال ليدخل في الدين، ولكن يكون القتال لردّ العدوان إن وقع على الدين، بحيث يفتن المسلم عن دينه من قبل الكفار، فهذا اعتداء، لذلك جاز للمسلم بل وجب أحيانا أن يردّ على هذا الاعتداء بالقتال. يقول د، إبراهيم علي حسن داود: إنّ نظرة الإسلام لحرية العقيدة هي التي تتفق مع طبيعة الإسلام ونظرته إلى غاية الوجود الإنساني، فمن يسلبه هذه الحرية ويفتنه عن دينه فإنه يجني عليه ما لا يجني عليه قاتل حياته ومن ثم يدفعه بالقتال[2].

ومن الملاحظ أنّ الآية التي تدعو المسلم إلى عدم إكراه الآخر ليدخل في الإسلام، جاءت متأخّرة عن الآيات الداعية إلى القتال والجهاد وردّ العدوان، وفي هذا دلالة على أنّ القتال في الإسلام هو ردّ فعل طبيعي في حال حصول عدوان على دين المسلم أو دنياه.

والآيات التي دعا الله فيها إلى القتال أو الجهاد أو ردّ العدوان كثيرة. قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾[3]. وقال الله تعالى:﴿ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[4]. وقال تعالى:﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5]. وقال تعالى:﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ

---

[1]- البقرة 194.

[2]- خصائص التشبيه في سورة البقرة:د،إبراهيم علي حسن داود، ص 324.

[3]- البقرة 190

[4]- البقرة 191.

[5]- البقرة 193

عَلَيۡكُمُ ﴾[1].وقال تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾[2]. وقال تعالى:﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾[3]. وقال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[4].

فمن أبعاد التشبيه فيما يتعلّق بالقتال في سبيل الله، تصحيح التصور لدى المسلم بأنّ القتال شرع لردّ العدوان، ولم يشرع بداءا لإدخال الناس في الإسلام.

## رابعا: تصحيح التصور تجاه الزواج:

### 1- تحقيق الستر والأمان:

قال الله تعالى:﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ ﴾[5].

ورد التشبيه في قوله تعالى:﴿ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ ﴾. أي: هن كاللباس لكم يستر، وأنتم كذلك كاللباس لهنّ. جاء في (تفسير الكشاف): فإن قلت: لم عدي الرفث بإلى؟ قلت: لتضمينه معنى الإفضاء، لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه تشبيها باللباس المشتمل عليه[6].

وإذا كان من أهداف اللباس أن يستر صاحبه ويقيه من البرد والحر، فإنّ من أهداف الزواج في الإسلام، أن يستر الزوجان بعضهما ويحميا بعضهما، فهي تحقّق له الراحة والاستقرار وهو كذلك. فمن أبعاد التشبيه هاهنا تصحيح تصوّر المسلم بالنسبة للزواج والأسرة

---

[1]- البقرة 194

[2]- البقرة 216

[3]- البقرة 217

[4]- البقرة 218

[5]- البقرة 187

[6]- تفسير الكشاف: ج1، ص112.

عموما،فالعلاقة الزوجية ليست مبنيّة في الإسلام على أساس مادّي بحث، وإنّما على أساس معنوي روحي أيضا، فكلّ منهما يبحث عمّا به يستريح الآخر نفسيّا.

## 2- مكانة المرأة في البيت:

قال الله تعالى:﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

التشبيه في قوله تعالى:﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ أي كالحرث لكم. فالله تعالى هنا (بشبه النساء بالحرث لما بين ما يلقي في أرحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث أن كلا منهما مادة لما يحصل له، ولفظ حرث تعطي بأن الإباحة لم تقع إلا في الفرج خاصة)[2].

فالعلاقة الزوجية إذن ليس مجرّد متعة حسية، فعلاقة الرجل بالمرأة بعد الزواج هي كعلاقة الفلاح بالأرض، فثمّة هدف نبيل، وثمة عمل فاضل، وثمّة رعاية من الفلاح للبذرة وللأرض حتّ تنبت الزرع، وكذلك الرعاية حتى الحصاد. والخطاب هنا موجه للزوج أكثر ممّا هو موجّه للزوجة، فالزوج في البيت يسعى حسب هدف الإسلام إلى بناء علاقة زوجية نبيلة وهادفة، فإتيان الزوجة إنّما في موضع النسل، لا فيما سواه، وإن قدر الولد فواجب الرعاية والتعهد، وهكذا يكون من أبعاد التشبيه تصحيح التصور تجاه العلاقة الزوجية.

## 3- حقوق وواجبات:

قال الله تعالى:﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

---

[1]- البقرة 223.

[2]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: :د،إبراهيم علي حسن داود، ص 367.

[3]- البقرة 228.

التشبيه في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾. وهو ( تشبيه مع احتباك إذ حذف شيء من الأول أثبت نظيره في الآخر وأثبت شيء في الأول حذف مثله في الآخر، وأصل التركيب: ولهن على أزواجهن مثل الذي لأزواجهن عليهن فحذف ((على أزواجهن)) لإثبات ((عليهن))وحذف ((لأزواجهن))لإثبات ((لهن)) فهو هنا يشبه ما للزوجات على أزواجهن بما للأزواج على زوجاتهن. ولكن بالمعروف وهذا قيد)[1].

فهناك حقوق وواجبات، على كل واجد منهما معرفة حقوقه وواجباته، وكل منهما يؤدي واجباته نحو الآخر، وهذه الواجبات المتبادلة فيها عدل، وهذه الحقوق فيها مماثلة، والمراد بالمماثلة ( مماثلة الواجب للواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل بالوجه الذي لا ينكر في الشرع)[2].

فمن أبعاد التشبيه الإشارة إلى وجود ضوابط تحكم العلاقة الزوجية، وهذه الضوابط من أهمّها تحديد الواجبات بين الزوجين، فالزوجة لها حقوق هي واجبات على الزوج، وللزوج حقوق هي واجبات الزوجة تجاهه، وعليه لا بدّ من معرفة هذه الواجبات المتبادلة.

## المبحث الثاني:الأبعاد النفسية للتشبيه في سورة البقرة:

إذا كانت للصورة البيانية –والتي منها التشبيه– أبعاد فكرية، بمعنى تعطي معان تبني العقيدة الصحيحة للمسلم، وتقدّم التصور الصحيح للمسلم حول قضايا كثيرة هامّة.. فإنّ لها أيضا معاني أخرى ذات الصلة بالتربية النفسية، وهل نزل القرآن إلاّ للتأثير في النفس فتزكو؟ وهل استخدم القرآن أسلوبا حقيقيّا أو مجازيّا إلاّ وهو يريد تصفية القلوب؟

إنّ الصورة البيانية في القرآن (عالم بأكمله.. زاخر بالمعاني والأخيلة والوجدان، والمشاعر النفسية، تتحرك الصورة البيانية في أداء تعبيري معجز، وترد منها الحركة واللون والصوت والصورة في تضافر تام)[3].

---

[1]– خصائص التشبيه:د،إبراهيم علي حسن داود ، ص 374.

[2]– المرجع نفسه:ص377.

[3]– من جماليات التصوير في القرآن: محمد قطب عبد العال، ص 41.

إنّ للتشبيه وهو أحد صور البيان تأثيرا في النفس، بحيث يهدف إلى تزكيتها وإيقاظ مشاعر الخير فيها، وسنحاول من خلال هذا المبحث بيان ذلك في سورة البقرة.

## 1-الاطمئنان:

قال الله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[1]. بيّنت في المبحث الأول أنّ في الآية على هدى من ربهم (تشبيه ضمني)حيث شبّهت حالهم المنتزعة من متعدّد بتلك الحالة المنتزعة من متعدّد تشبيها ضمنيا دلّ عليه حرف الاستعلاء لأنّ الاستعلاء أقوى أنواع تمكّن شيء من شيء، ووجه جعلنا إيّاها مؤذنة بتقدير مركوب دون كرسي أو مصطبة مثلا، أنّ ذلك هو الذي تسبق إليه أذهانهم عند سماع ما يدلّ على الاستعلاء، إذ الركوب هو أكثر أنواع استعلائهم فهو الحاضر في أذهانهم يرمزون إليه ما يذكرون إلا المركوب وعلائقه فيقولون جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل، فتكون كلمة"على" هنا بعض المركب الدال على هيئة المشبه بها وعلى وجه الإيجاز)[2].وذكرت أنّ من أبعاده تصحيح الاعتقاد تجاه الله تعالى، وأنّه هو الهادي وأن لا هداية كاملة إلاّ ما صدرت منه،وهنا سأوضّح أنّ من أبعاده بثّ الطمأنينة في النفس فيعيش المؤمن مرتاح البال، هادئ الضمير.

إنّ المؤمن وهو يسير على الطريق الذي رسمه الله تعالى، طريق صحيح الوجهة، واضح الملامح، بيّن في هدفه وهو الاهتداء إلى كل خير والفلاح بالجنّة في الآخرة.. وهو يشعره بالطمأنينة لأنّه الذي بيّن له الطريق هو ربه«مِّن رَّبِّهِمۡ»، وكلمة رب تشعر بمعنى العناية واللطف والرحمة، مثله كمثل الراكب على حصان أو نحوه وقد تمكن واستوي عند الركوب، فلا ميل ولا انحراف، وقد يكون في سفر وهو عارف بالمقصود، فلا شكّ أنّ هذا الراكب مرتاح النفس مطمئنّ القلب، كذلك المؤمن.« أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ». كيف لا؟ وقد تبيّن له كيف يسير إلى الهداية وكيف يصل إلى الفلاح؟ كيف لا وقد تبيّن له أنّه بمعيّة الله تعالى طول الطريق يعينه

[1]- البقرة 05.

[2]- التحرر والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص 242.

ويساعده؟ فالطريق يبدأ بـــ" ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ " ومن الغيب وجود الله ووحدانيته وعلمه وقدرته.. ومن الغيب لقاؤه بعد الموت حين يلقى الجزاء الأحسن.. وهذا يثبت في نفسه الطمأنينة.وفي مسيرته يستعين بالصلاة " وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ". والصلاة صلة بين العبد الضعيف وبين الإله القوي.. يستعين به وبه يهتدي.. وهذا يبثّ في نفسه الطمأنينة.. وفي مسيرته يلتفت إلى الضعفاء والفقراء فيساعدهم ويعينهم شكرا لله على نعمه، وهذا يبثّ في قلبه الطمأنينة وراحة الضمير.« وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ».

إنّ من أبعاد التشبيه هنا أن يتبيّن للمؤمن أنّه على الهداية الكاملة، ذلك أنّ الذي رسم طريقها هو ربّ العباد الودود الرحيم.وأنّ الذي وعد بالوصول إلى المقصود بعد هذا السير، وبهذه الكيفيّة وتلك المواصفات هو الربّ الكريم العليم. « وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ». يقول سيد قطب: « أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ». ومع التقوى والإيمان بالغيب عبادة الله في الصورة التي اختارها وجعلها صلة بين العبد وربّه، ثمّ السخاء بجزء من الرزق اعترافا بجميل العطاء، وشعور بالإخاء، ثمّ سعة الضمير لموكب الإيمان العريق، بلا تردّد ولا تأرجح في هذا اليقين[1].

وممّا يستخلص هو أنّ أسعد الناس من سار على طريق الهداية (الإسلام).

## 2- التحذير من النفاق لأنّه يورث القلق والحيرة:

قال الله تعالى:﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾[2].

هنا تشبيه تمثيلي، وهو يتحدّث عن المنافقين، والنفاق مرض نفسي، والتشبيه هنا يبرز النتائج المترتّبة على النفاق ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾. إنّها الحيرة والقلق والاضطراب.

[1] – في ظلال القرآن: سيد قطب، ج1، ص 35.

[2] – البقرة 16.

إنّ من أبعاد التشبيه بيان خطر النفاق، الذي يوقع النفس في خطر القلق، ولذلك فالمؤمن يعالج نفسه ولا يترك للنفاق مجالا في نفسه بل يتربّى على الصدق مع الله تعالى فيستقرّ ويطمئن.جاء في ( التحرير والتنوير): ويتعين في هذه الآية أن جمع ظلمات أشير به إلى أحوال من أحوال المنافقين كل حالة منها تصلح لأن تشبه بالظلمة وتلك هي: حالة الكفر وحالة الكذب، وحالة الاستهزاء بالمؤمنين، وما يتبع تلك الأحوال من آثار النفاق، وهذا التمثيل تمثيل لحال المنافقين في ترددهم بين مظاهر الإيمان وبواطن الكفر [1].

ويستفاد من ذلك أنّه من أراد لنفسه الاستقرار فلا موضع للنفاق في القلب.

## 3-محبة الله تعالى والطمع فيه والاعتماد عليه:

قال الله تعالى:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ... ﴾[2].

ورد التشبيه في قوله تعالى: « ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا» و«وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً»،ففي كلّ منهما تشبيه بليغ.. فالأرض كالفراش حيث يستريح الإنسان.. والسماء كالبناء حيث يحتمي الإنسان .. والله هو الذي خلق الإنسان، وهيّأ له أسباب الراحة.. أفلا يستحقّ المحبّة؟ وهل غيره يقدر على أن يهيّء مثل هذا الفراش " الأرض" ومثل هذا البناء " السماء"؟ إنّه لا أحد غيره. أفلا يستحقّ أن يعتمد عليه ويطمئنّ إليه؟

وهكذا فإنّ الله حين يشبّه للإنسان الأرض التي يعيش عليها بالفراش ويشبّه السماء التي تظلّه بالبناء، إنّما يوقظ في نفسه معاني محبّة من رعاه والاعتماد عليه والطمع فيه..وهذه قضايا نفسية.

## 4- الخوف من غضب الله وعقوبته بسبب العصيان:

قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ »[1].

[1]- التحرير والتنوير: ج1، ص 312.

[2]- البقرة 22.

التشبيه في قوله تعالى:﴿ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِئِينَ ﴾ أي: كونوا كالقردة خاسئين، في العقلية البليدة والطبيعة الحيوانية.. ولقد جيء بالتشبيه هنا ليحذر اليهود في كل عصر أن يحدث لهم ما حدث لأجدادهم، وليحذر المؤمنون من نتائج المكر مع الله تعالى.﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾. وهذه القصّة هي واحدة من مجموع القصص لبني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وقد ذكرت ليعتبر بها المسلمون، فقد يحدث لهم ما حدث لبني إسرائيل .. ومن ذلك مكرهم وخداعهم في تعاملهم مع الله تعالى فجعلهم كالقردة.

هكذا إن وجد في أمّة الإسلام المكر والخداع والظلم في التعامل مع الله تعالى، فلابدّ من استبدالهم بآخرين ومعاقبتهم. جاء في كتاب( نفسية بني إسرائيل في القرآن الكريم): فمن الواضح أنه في كل أمة، توجد مجموعة منصفة، وأخرى ظالمة، ولكن إن طغى الظلم على العدل تختل الموازين ومعها يتحدى الله تعالى الظالمين لاستبدال دورة تاريخية أخرى[2].

فمن أبعاد التشبيه هنا بثّ الخوف في نفوس المسلمين خاصّة، حتّ لا يسلكوا طريق اليهود، والخوف من الله تعالى أحد أركان تزكية النفس، فبدون الخوف من عقاب الله تعالى وسخطه وغضبه تفعل النفس ما تشاء.. أمّا بالخوف فإنّها تمسك عن الظلم والمكر والخداع ونحو ذلك.يقول عبد الوهاب حمودة: كما أنّ الخوف أقوى عامل يكفّ الإنسان عن كثير من الأفعال العاجلة والآجلة القبيحة. لهذا كان له أثر كبير في التربية والتأديب وهو الأساس لغريزة التدين التي ترمي إلى قيادة السلوك الإنساني وتنظيمه[3] . والدارس لحياة الصحابة رضي الله عنهم يتبيّن بوضوح مدى خوفهم من الله تعالى لذلك تجدهم يدورون حيث دار الإسلام بصدق وعزم. ولقد كافأهم الله تعالى في الدنيا فأخاف منهم عدوّهم، ونصرهم على اليهود الماكرين، ومكنّ لهم في الأرض، ويوم القيامة جنات النعيم.

## 5-بين الروح والجسد ( متعة الروح ومتعة الجسد):

---

[1] - البقرة( 65-66).

[2] - نفسية بني إسرائيل في القرآن الكريم: د، زاهية راغب التجاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2001، ص 169.

[3] - القرآن وعلم النفس: عبد الوهاب حمودة، دار العلم، القاهرة، مصر، 1962،ص7.

قال الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

التشبيه في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، أي جعلناكم أمّة وسطا جعلا يشبه القبلة إلى البيت الحرام خاصّة بكم، بمعنى ميّزناكم عن غيركم من الأمم بميزة الوسطية كما ميّزناكم عن باقي الأمم بميزة القبلة إلى البيت الحرام.

والوسط( في اللغة: الخيار، وهو العدل، وقال بعضهم: هو وسط الشيء، وليس للوسط الذي هو معنى ملتقى الطرفين ، لأن هذه الأمة آخر الأمم، وإنما أراد به الخيار العدل، يدل عليه قوله تعالى بعده ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾. فأنبأنا ربنا تعالى بما أنعم به علينا من فضيلة لنا باسم العدالة، وتوليته خطة الشهادة على جميع الخليفة، فجعلنا أولا مكانا وإن كنا آخرا زمانا، وهذا دليل أنه لا يشهد إلا العدول، ولا ينفذ على الغير قول الغير إلا أن يكون عدلا)[2]. وجاء في( محاسن التأويل):﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾: أي عدولا خيارا. وقوله تعالى:﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ تعليل للجعل المنوه به الذي تمت المنة به عليهم[3].

وإذا كان أهل العلم ذكروا أنّ " وَسَطًا " تعني العدل والخيار، فإنّ هذا العدل وهذا الخيار، لا يتأتّى لكلّ واحد منهم، ما لم تكن ثمّة تربية روحية عالية، وتزكية نفسية راقية، هذه التزكية للنفس تأخذ موضع الوسط، فلا روحية بالكلية ولا جسدية حسية بالكلية، فللنفس حاجاتها، وللجسد حاجاته، وقد نزل القرآن ليعطي كل شيء حقّه.

أنظر إلى المشبّه به ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.وكذلك يعود إلى القبلة المميّزة والتي جعلت خاصّة بأمّة الإسلام إلى البيت الحرام، والقبلة ترمز إلى الصلاة، والصلاة وظيفتها

[1]- البقرة 142.

[2]- أحكام القرآن: الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط1. 1421ه / 2000م، ص 66.

[3]- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي،دار الفكر، بيروت، ط1، 1398 ه/ 1978 م،م1 ، ج1، ص 281.

روحية نفسية على الخصوص، وأوّل ما بدأت به سورة البقرة، الحديث عن إيقام الصلاة، التي هي أحد أسباب الهداية، وأهمّ شرط من شروط الفلاح.

والبشرية بدون هدى الله غالبا ما تجنح إلى الروحية وتترك جانب المادة وحاجات الجسد كالنصرانية عند بعض أهلها، وأخرى تجنح إلى المادية وتغالي فيها حتّى لا تترك شيئا للروح، وأكثر البشرية اليوم من هذا الصنف. ولا شكّ بضياع الجانب الروحي للإنسان تضيع الأخلاق، وتفسد العلاقات، وتضطرب الحياة، وتكثر الفتن..وفي يومنا هذا هو الحاصل في الغالب.

إنّ أمّة الإسلام، أمّة الوسطية، تعطي الجانب الروحي ما يستحقّ من صلاة وصوم وحج وذكر ودعاء، فتشفى من الأمراض النفسية والأخلاقية والاجتماعية، ولا تنسى الجانب المادي ولكن ضمن ضوابط القرآن، فشفى من الأمراض الجسدية. وأمّة تجمع بين الشفاء الروحي والشفاء الجسدي حريّ بها أن توجّه الآخرين وتنصحهم، وتقدّم لهم المبادئ وترسم لهم طريق الخير.

## 6- ذلّ النفس والطمع الزائل:

قال الله تعالى:﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾[1].

ورد التشبيه في قوله تعالى﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ﴾. هكذا يوم القيامة، يتبرّأ المتبوعون من الأتباع، يتبرّأ دعاة الباطل ممّن اتّبعوهم، فلم يدفعوا نارا عن متّبعيهم، فنظر إليهم الأتباع، وقد ذكروا دار الدنيا، ذكروا حين اتّبعوهم وخضعوا لهم وقد تركوا داعي الله وتركوا داعي الإسلام، واليوم في الآخرة، يوم الحساب يتبرّأ هؤلاء القادة قادة الشر والباطل منهم، فيقول هؤلاء التابعون في أنفسهم أو على الملأ قولا فيه حسرة وألم، يا ليتنا نردّ إلى الدنيا فنتبرأ من القادة ودعاة الباطل وقد أضلونا وخدعونا، فلا نتبعهم ولا نخضع لهم.. ولكن هيهات.

والسؤال هو: لماذا في الدنيا هؤلاء اتّبعوا قادة الشر ودعاة الباطل، وتركوا داعي الله تعالى؟ إنه الطمع في متاع من الدنيا زائل، ظنّوه يتحقّق باتباعهم لهؤلاء، إنّه ذلّ النفس يوم

[1]- البقرة( 167/166).

يكشف لهم عن حقيقة هؤلاء دعاة الباطل حيث خدعوهم وأذلوهم في الدنيا، وفي الآخرة يتبرءون منهم و لم يدفعوا عنهم ضرا.

ومن الأبعاد التي يمكن استخراجها من هذا التشبيه، أن يترك الإنسان وخاصّة المسلم الذل لغير الله، وأن يترك الطمع في الدنيا، لأنّه يؤدّي إلى الخضوع لغير الله، وهذا يؤدّي إلى الحسرة يوم القيامة.فالنفس المؤمنة لا تقبل الذلّ إلا لله تعالى ولا تطمع إلاّ فيما عند الله تعالى.

## 7-الصبر والتحمل لبلوغ غايات كبرى:

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1].

التشبيه في قوله تعالى:﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾. صوم المسلمين اليوم يشبه صوم الأمم السابقة ممّن أنزل عليهم كتاب وأرسل لهم رسول، وقد فرض الصوم على جميع الأمم لأهمّيته، فلا يمكن لأمّة الاستغناء عنه والتشبيه حاصل في أصل الفريضة لا في الكيفية والوقت.

وما الصوم؟ الصوم صبر على الألم.. ألم الجوع والعطش..وألم مفارقة الكثير من شهوات ولذات الجسد، التي كانت حلالا طوال اثني عشر شهرا، فصار الأمر عادة وعرفا للإنسان، ثمّ يأتي الصوم، أي الكف والامتناع كل يوم من الفجر حتى الغروب، ولكن بعد مرور أيام يتعلّم المؤمن الصبر،وتألف النفس الامتناع، وتتجاوز موضوع الألم، فتصير تتمتّع بألم الجوع، وإرضاء لله تعالى وهذا الصبر على ألم الحرمان من الملذات والشهوات طوال شهر كامل مقصود، ذلك أنّ كثيرا من مشكلات الحياة لا حلّ لها إلا بالصبر، وكثير من العقبات لا تتجاوزها إلا بالصبر، وكثير من المحن والمصائب لا تتحمّلها إلا بالصبر.. والنفس الصابرة تبلغ المعالي وتحقّق النجاحات وجيل الصحابة ضرب أروع الأمثلة في الصبر، وكان له النجاح الأعظم. يقول سيد قطب: فالصوم هو مجال

[1]- البقرة 183.

الإرادة العازمة الجازمة، ومجال اتصال الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد، كما أنه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها واحتمال ضغطها وثقلها، إيثارا لما عند الله من الرضى والمتاع[1].

و ممّا يلاحظ في الآيات المتعلّقة بالصوم (التنويع في أسلوب الأمر،ومن ذلك قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ وقوله:« فليصمه» وقوله« الذين يطيقونه فدية طعام » وقوله«وكلوا واشربوا » وقوله« ثم أقيموا » وهو من الصيغ المناسبة في الأحكام، وما الحكم في الحقيقة إلا أمر ونهي وأسلوب التنويع في صيغة الأمر تطيب له النفس ولا تسأم، وعادتها أن تسأم من الأمر المبذول ( وكل مبذول مطول). وهذا بعد نفساني في الآية الكريمة، له دوره في تشكيل الصيغة الخطابية فضلا على حال السامع عنده الخير أم لا؟ فاده أمر جديد أم لا.ومن هنا نقول أن حال السامع ونفسيته لأمران ضروريان في تشكيل الصيغة النظمية وفق مقتضى الحال، فقد تكون العبارة حاملة الجديد للسامع غير أنها لا تجد استجابة في نفسيته فيكون الخبر جديدا غير مجد، والإعجاز البياني أن يكون الخبر جديدا ومجديا أي واجدا الفائدة والاستجابة في المخاطب وهذا الذي حرص عليه القرآن في كل آياته) [2].

فمن أبعاد التشبيه هنا أن يبرز قيمة الصوم النفسية ، هذه القيمة التي تتمثّل في تربية النفس على الصبر والتحمل، وكل أمّة بل كلّ إنسان محتاج إلى الصبر، ما دام يريد نجاحا وفلاحا.

## 8-النفور من التقليد الأعمى للكفار:

قال الله تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾[3].

التشبيه وارد في قوله تعالى:﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ ﴾.يشبّه الله الذين كفروا في أنّهم لم ينتفعوا بدعوة النبي عليه السلام إياهم، بالماشية التي يناديها راعيها ويحاول توجيهها ،فلا تعقل عنه شيئا فهي تسمع صوتا ولا تعقل معنى.

[1] – في ظلال القرآن: سيد قطب، م1، ص 161.

[2] - - في إعجاز القرآن الكريم( دراسة الإعجاز البياني في بعض آيات الأحكام): رسالة ماجستر، الطالب: عمار سا سي، ص282.

[3] – البقرة 171.

وإذا كان الحيوان لا يعقل من النداء الموجه إليه، فلأنّه لا عقل له، فالذين كفروا عطّلوا عقولهم عن التدبر، وأعينهم عن النظر في آيات الله تعالى، وأسماعهم عن قول الحق والخير ولذلك فهم شر من الحيوان. جاء في (الكشاف): ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنّهم لا يسمعون من الدعاء إلاّ جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار، كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلاّ دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت وزجرها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون، والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن: قال الأخطل: فانعق بضأنك يا جرير فإنما منتك نفسك في الحلال ضلالا[1].

وإذا كان الله يشبّه الكفار بالبهائم، ويحكم عليهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون نصحا ولا يبصرون خيرا، فقد عطّلوا وسائل الهداية الصحيحة فهم ضالّون، فإنّه سبحانه يذمهم ويحتقرهم وهو يدعو المسلم أن لا يتشبّه بالكافر، بل يدعوه إلى الاستفادة من العقل والسمع والبصر واللسان في الردّ على من دعا إلى الخير بقبول الخير.

إنّ من أبعاد التشبيه تنفير المسلم من تبعيّة الكافر، وبثّ الكراهية في نفسه اتّجاه الكافر فلا يقلّده، هل يقلّد من هو كالبهائم لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر، ولا يتعامل مع النصح بإيجاب؟!

فما بال المسلمين اليوم فيهم من يحبّ تقليد الكفار، ويدافع عن التبعية للكفار، هؤلاء الذين أدخلوا البشرية في متاهات الفتن والحروب والأزمات النفسية والأخلاقية والاقتصادية؟!

## 9-شعور المحبّة ودفء المودّة:

قال الله تعالى:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[2].

التشبيه في قوله تعالى:﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ أي الزوجة كاللباس لزوجها والزوج كاللباس لزوجته،كل منهما يستر ويحمي.

[1]- الكشاف: ج1، ص 106.
[2]- البقرة 187.

أذكر أوّلا سبب نزول الآية لمزيد فائدة ثمّ أعود إلى استخراج البعد.قال ابن عباس: وذلك أنّ المسلمين كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام، ثم إنّ أناسا من المسلمين أصابوا من الطعام والنساء في شهر رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية[1].

إنّ العلاقة بين الزوجين علاقة فكرية نفسية وروحية، وليست علاقة جسدية حسية. فحسب﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾.يفهم أنّ من شأن اللباس أن يقي من البرد شتاء ومن الحر صيفا، فهو وسيلة راحة جسدية ونفسية، فاللباس يقدّم الدفء.. والزوجة أو الزوج كل منهما كاللباس، فكل منهما يقدّم دفئا للآخر، والمقصود بالدفء هنا الشعور بالمحبّة تجاه الآخر.

إنّ الإنسان حين يشتري لباسا نعم يعجب به المرء حين يزيّن في العين، ولكن قبل العين، تعجب به النفس أوّلا، فيحلو اللباس في القلب، وتستروح به النفس، وتنجذب إليه العين أخيرا، فيأخذه هذا الإنسان، وكذلك الزوجان كل منهما لباس للآخر، فكل منهما يرى في الآخر ما يبعث على الإعجاب والانجذاب، ثمّ ما يدفع إلى المحبّة والمودّة. فالعلاقة بين الزوجين المبنية على أساس حسّي جسدي، إن لم تكن مبنيّة أيضا على الشعور بالمحبّة والشعور بدفء المودّة غالبا ما تتوتّر هذه العلاقة، وربّما أدّى ذلك إلى الطلاق، كما أنّ اللباس الخشن المؤذي يرمى.

فمن أبعاد التشبيه هنا، إبراز الجانب النفسي والروحي بين الزوجين، إنّ اللباس حين يلبسه المرء يدخل جسده فيه، والزوجان كلّ منهما يدخل الآخر في قلبه بالمحبّة قبل العلاقة الجسدية المادية.

## 10-ألم وأمل:

قال الله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[2].

[1]- أسباب النزول: أبو الحسن علي أحمد النيسابوري، ص 12.

[2]- البقرة 216.

التشبيه في قوله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ ﴾. فالقتال شاقّ على النفس يشبه ما تكره عليه النفس لأنّها لا تريده لألم ومشقّة أو لغير ذلك.والله تعالى وهو الخبير العليم ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[1].يتعامل مع النفس البشرية برفق وحكمة، فهو لم يأمر أمرا وانتهى، وإنما ذكّر المؤمن وأخبره بأنّ القتال فيه مشقة وألم ومعاناة، وهو يشبه ما تكره عليه النفس، ثمّ يكمل بيان التشبيه فيقول:﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾. نعم إنّ الأمر فيه مشقة وفيه ألم ومعاناة، لكن هل يترك ذلك الأمر لوجود المعاناة والمشقة، فهناك في حياة الإنسان أشياء قد يكره على فعلها ومع ذلك يفعلها وتعود عليه بالخير.قد يكره الإنسان عند مرضه على استعمال الحقنة، أو حتّى بتر جزء من جسده للحفاظ على باقي جسده، ومع ذلك بفعل ما ينصح به الأطباء لأنّ المنفعة في فعل ذلك.

إنّ القتال في سبيل الله فيه ألم ومشقة ومعاناة، ولكن فيه خير كثير، ومنافع جمة، عزّ في الدنيا، ونصر على الأعداء، وجنّات النعيم في الآخرة، وبهذا تتأثّر النفس فيكون لدى المقاتل المؤمن الأمل الكبير في تحقيق النجاحات بهذا القتال في الدنيا والآخرة.. ويتكوّن لدى نفسية المقاتل المؤمن الإقبال على الموت لا الإدبار منه، لأنّ وراء ذلك خيرا كبيرا.

## 11- ردّ للعدوان لا للانتقام:

قال الله تعالى:﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[2].

التشبيه في قوله تعالى:﴿ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾. والمعنى: ردّوا على العدوان ردّا يشبه عدوانه عليكم بلا زيادة ولا مغالاة، وهذا من آداب المسلم في القتال وعند ردّ عدوان الكفرة الظالمين، ومن تمام التشبيه قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾. والتقوى هي مخالفة الهوى بحيث يؤدّي الواجب كما أمر الله بلا زيادة، فالمسلم وهو يردّ العدوان يستحضر رقابة الله عليه، ويستحضر نظر الله إلى قلبه ويستحضر علم الله بنيته، فإن أراد بردّ

[1]- الملك 14.

[2]- البقرة 194.

العدوان الانتقام فلا ثواب بل خذلان من الله، أمّا إن كان في الردّ إخلاص لله تعالى وخوف من خذلانه، وكان في نيته نصرة دين الله والدفاع عن المسلمين المظلومين المستضعفين، ولا يوجد أبدا حبّ الانتقام لأجل حظ النفس، فإنّ الله مع المتقين.

لذلك فمن أبعاد التشبيه هنا تربية نفس المؤمن على ترك محبة الانتقام من الظالم، فإن كان ولا بدّ من الردّ فبأدب وفي حدود، ومع ضابط الخوف من عقاب الله إن وجد انتقام ومغالاة.

ولعلّ الكافر الظالم إذا وجد المسلم وقد غلب وانتصر ومع ذلك لم ينتقم منه ولم يغال في ردّ العدوان، ربّما زيّن في قلبه حبّ الإسلام الذي ربّاه على كره الانتقام والمغالاة فيه فيسلم، لأنّ من عادة الإنسان العادي أنّه إن ظلم فيردّ على الظلم بأشدّ منه خاصّة إذا تمكّن وقدر فهو ينتقم شرّ انتقام.

## 12- سخاء ونقاء:

-قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ ﴾[1].

-وقال تعالى:﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ ﴾[2].

التشبيهان في الآيتين الأولى والثانية تمثيليان، وإذا كان من أبعادهما الفكرية بيان أنّ الصدقة أو النفقة ما لم يبتغ بها وجه الله تعالى، مع عدم إذاية المتصدّق عليه بأيّ شكل من الأشكال، فإنّ الله لن يقبل منه بل يعاقبه. فمن من أبعادهما أيضا ما تعلّق بتزكية النفس وتصفية الروح﴿ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ

[1]- البقرة 264.

[2]- البقرة 265.

فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾. و﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ .. ﴾.

فهنا دعوة إلى السخاء مع النقاء، إخلاص كامل لله تعالى، وصدقة فيها خير ويتبعها خير تخرج عن محبة ورضا وجود، بلا من كأن يذكر للفقير يوما ما أنه هو الذي أخرجه من ضيقه.

وعندما يعلم المؤمن، أنّه بالإخلاص والنقاء والسخاء والمحبّة، يكون له الأجر العظيم والثواب الجزيل، فإنّه يسعى لتحليّة النفس بهذه الصفات النفسية، وعندها يكون قد وفّر شيئا مهّما نحو الفلاح.

## 13- للنفس المؤمنة غاية كبرى " مرضاة الله":

قال الله تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾[1].

التشبيه بيّن في الآية« كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ .. » إنّها بساتين بمكان مرتفع تتهاطل عليه الأمطار، فتسقى الأشجار، وتعطي كثير الثمار، وكذلك المؤمن الذي ينفق ماله وغايته مرضاة الله عنه وتثبيت لنفسه على الإيمان.و" الذين" اسم موصول،صلته« يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ ..».

والمعنى أنّهم موصولون بالإنفاق الدائم " يُنفِقُونَ " مضارع للدلالة على تجدّد الإنفاق متى دعت الحاجة إليه بالكثير والقليل، وهم بحاجة إليه أم بغير حاجة، فهم ليس غايتهم جمع المال ليكثر، ولكن غايتهم كسب رضا الله عنهم بأيّة وسيلة من الوسائل التي جعلها الله طريقا إلى ذلك، ومنها تجديد الإنفاق في وجه الخير مع طلب رضى الله. إذن فمن الناحية النفسية كأنّ الله تعالى يغرس في النفس المؤمنة حبّ التطلع إلى الغايات الكبرى، وأعظمها مرضاة الله تعالى، أمّا جمع المال فهو غاية الكفار والمنافقين والضعفاء والمرضى بحبّ المال وحبّ الدنيا.. والمؤمن حين ينفق ماله يطلب مرضاة الله وليبرهن على صدق إيمانه، يكون قد ربح الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بركة وفي الآخرة جنّة.﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾.

[1]- البقرة 265.

فمن أبعاد التشبيه تربية النفس المؤمنة على التطلع إلى الغايات الكبرى، وأعظمها طلب مرضاة الله تعالى.

## 14- قلق النفس واضطرابها بارتكاب الحرام " التعامل الربوي":

قال الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[1].

ورد التشبيه «إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ ». وهو تشبيه مقلوب، فالأصل أن يقولوا " إنما الربا مثل البيع" لأنّ الكلام حول الربا لا البيع، ولكنّهم قصدوا أنّ الربا أصبح أصلا من أصول المعاملات التجارية فلا يتركونه أبدا، ولما قلبوا التشبيه في إجابتهم، وبنو حياتهم في المعاملة التجارية على المقلوب، بأن أحلّوا ما حرّم الله، قلب الله حياتهم النفسية من الراحة والطمأنينة والهناء بهذا المال، إلى القلق والاضطراب والتعاسة.« لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ».جاء في (ظلال القرآن): ولقد مضت معظم التفاسير على أن المقصود بالقيام في هذه الصورة المفزعة هو القيام يوم البعث، ولكن هذه الصورة- فيما نرى- واقفة بذاتها في حياة البشرية في هذه الأرض أيضا، ثم إنها تتفق مع ما سيأتي بعدها من الإنذار بحرب من الله ورسوله[2].

وهذه الحرب تتّخذ أشكالا متعدّدة ظاهرة و باطنة، ومن الباطن القلق والإضراب النفسي الذي يصيب نفوس الذين يتعاملون بالربا. وهذا يتّفق مع الحديث الذي رواه مسلم، فعن جابر بن عبد الله أنه قال:﴿ لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهديه

[1]- البقرة 275.

[2]- في ظلال القرآن: سيد قطب، م1، ص 317.

وكاتبه وقال هم سواء﴾[1]. واللعنة إنّما هي إبعاد وطرد من رحمة الله تعالى، فيترك الملعون للشقاء والتعاسة.

وبنظرة سريعة يمكن ملاحظة ما أصاب الكثير من الناس من أحزان و قلق، ولقد أصبحت أكثر المعاملات التجارية ربوية. فالربا يؤدّي إلى الفساد الاجتماعي والأخلاقي وإلى قلق النفوس واضطرابها.يقول د.بوعشة مبارك:يؤدي الفساد إلى زيادة سلطة الأثرياء ويوسع الفجوة بين الطبقات، ويؤثر سلبا على الشريحة الفقيرة من المجتمع ويزيد من نسبة المهمّشين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، كما يؤدي إلى خلخلة القيم الأخلاقية وإلى الإحباط وانتشار اللامبالاة والسلبية بين أفراد المجتمع.[2]

فمن أبعاد التشبيه هنا تربية النفس على ترك ما حرّم الله، والتحذير من القلق والاضطراب الذي يحصل بسبب ارتكاب الحرام.

## المبحث الثالث: الأبعاد السلوكية للتشبيه:

إنّ ممّا يتميّز به التشبيه الإيجاز ومع ذلك فهو يحتوي على معان غزيرة، وفوائد كثيرة وأبعاد مختلفة، ولذلك فالبليغ (يؤثر أسلوب التشبيه لما يحتويه من فوائد كثيرة، تعود على الأسلوب من وضوح الفكرة والمبالغة فيها والإيجاز للوصول إلى الغرض)[3].

ولقد بيّنت في المبحثين الأول والثاني، أبعادا اعتقادية وأخرى نفسية، من خلال دراسة التشبيهات الواردة في سورة البقرة، وفي هذا المبحث أحاول إبراز الأبعاد السلوكية، فإذا كان هدف القرآن الكريم هو تصحيح الفكر وتزكيّة النفس، فمن أهدافه أيضا ضبط سلوك المسلم، وحين يستعمل التشبيه كأسلوب من الأساليب البلاغية، فإنّ له أبعادا تتماشى مع أهداف القرآن الكريم ومن هذه الأبعاد السلوكية:

### 1-ملامح على طريق الهداية وأعمال للنجاح في النهاية:

[1]- صحيح مسلم بشرح النووي: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشري، دار الكتاب العربي،بيروت ،لبنان،1407-1987م م6 ،ج11، ص26 .

[2] - الفساد( أشكاله ،آثاره، وطرق معالجته): أ،د، بوعيشة مبارك، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، عدد01، 2007م، ص32.

[3]- البيان في ضوء أساليب القرآن: د، عبد الفتاح لاشين، ص 167.

قال الله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

أن تعتقد أنّ الله حقّ، وأنّ الآخرة حقّ، وأنّ الإسلام حقّ، وأنّه لا طريق للهداية الصحيحة والكاملة إلاّ وفق الطريق الذي رسمه الله تعالى في كتابه، وبيّنه رسوله في سنّته، أن تعتقد بذلك فهذا اعتقاد سليم وتصوّر صحيح، ولكنّ الله تعالى لا يريد اعتقادا سليما فحسب، ولكن مع ذلك فهو يريد سلوكا عمليّا بعد التصور الصحيح.

قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، هنا تشبيه ضمني،﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾. فالهداية الصحيحة الكاملة المؤدّية إلى الفلاح، لا تكون إلا لـــ" أُوْلَٰٓئِكَ "من هم؟ ماذا فعلوا؟إنّهم﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.وهذه الأعمال السلوكية من إيقام الصلاة وإنفاق المال هي بعض أعمال المتقين، وثمة أعمال أخرى تذكر في مواضع عدّة من سورة البقرة، وفي مواقع أخرى من سور القرآن.

إنّ التشبيه الضمني هنا من أبعاده الإشارة إلى أنّ الهداية الصحيحة للمسلم، لا تتمثّل في كون المؤمن يعتزّ بدينه الإسلام، ويعتزّ بانتمائه إليه، ويردّد بلسانه أنّه على الحق وأنّه على الهدى نعم هذا جزء مهمّ وتصوّر سليم ولكنّه غير كاف، بل يجب العمل، ولابدّ من سلوك عملي يتماشى مع هذا الاعتقاد السليم والتصوّر الصحيح والاعتزاز بالحق الذي ينتمي إليه،كإيقام الصلاة والإنفاق في سبيل الله.جاء في (محاسن التأويل): ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾. أي: على نور من ربّهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديده إياهم وتوفيقه لهم[2].

هكذا " استقامة". والاستقامة تتحقّق بالتزام أعمال محدّدة، والتي منها كما يتضمّن التشبيه « أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى » إيقام الصلاة والإنفاق في سبيل الله.

والحقيقة أنّ الهدف المقصود من التشبيه هو بيان أنّ الاعتقاد وحده لا يكفي وإن سلم وأنّ حبّ الشيء لا يكفي وإن كان مهمّا، فلا بدّ من العمل وترجمة ما يدلّ على سلامة الاعتقاد على أرض الواقع، بالكيفية التي أرادها الله تعالى تماما.

---

[1]- البقرة 05.

[2]- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، ص 39.

إنّ ممّا تعاني منه شخصية المسلم اليوم الانفصام بين عقيدته وسلوكه، ولا يوجد مسلم لا يحلم بالجنّة ورضوان الله تعالى، ويحلم بالانتصار على الأعداء، وتحقيق العزّة للإسلام والرفعة للمسلمين، ولكن من أهمّ العقبات التي تحول دون تحقيق هذه الأحلام، نقص التطبيق لفرائض الإسلام بالكيفية المشروعة، فربّما امتلأ المسجد في أيام الأعياد و الجمعات، ولكن خارج المسجد انظر مدى جود وكرم أهل الإسلام لأجل نشر دينهم؟.

## 2-الحذر والحيطة من المنافقين، ودراسة خططهم والتصدي لهم:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ﴾[1].

وقال تعالى:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾[2].

التشبيه في الآية الأولى« قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ».وهم يقصدون- أي المنافقون- احتقار المسلمين- وعليه الاستعلاء عليهم.والتشبيه في الآية الثانية«كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ..».

ومن معاني التشبيه، أنّ المنافقين يعملون على إشعال نار الفتن بين المسلمين، وأنّهم يتعاونون مع اليهود والكفار ضدّ المسلمين لأنّ" ٱسْتَوْقَدَ " السين فيها تفيد الطلب، لذلك فهم يخطّطون حتّ لا ينتصر الإسلام، ويتعاونون مع الكفار حتّ لا تقوم قائمة للمسلمين.

إذن فواجب المسلم أن يتعرّف على المنافقين، وعمليّا بدراسة خططهم، ويضع خططا لإخماد نار الفتنة التي يسعون إلى إشعالها، ومن نيران الفتن، نار الصراع والشقاق بين المسلمين، فيهتمّ المسلم بصراع المسلم لا بصراع الشيطان وصراع الأعداء من اليهود وغيرهم، ومن الفتن نشر الشهوات بين المسلمين حتّ يضعف إيمانهم وتزول أقدامهم.﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

[1]- البقرة: 13.
[2]- البقرة: 17.

﴿يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]. والآية هنا تعني فئة المنافقين. ونفسية المنافق(إذا أردت أن تحددها، فهو إنسان بلا كرامة، بلا رجولة لا يستطيع المواجهة، بلا قوة، يحاول أن يمكر في الخفاء)[2]. هكذا كما يقول الإمام الشعراوي: يحاول أن يمكر في الخفاء يخطّط لنشر الفتن بين المسلمين بمكر وخديعة.

إنّ للمنافقين خطرا عظيما، حتّ أنّ الله فصّل عندما تناولهم، أكثر مما فصّل عندما تناول فئة الكفار، وهناك سورة تسمى باسمهم "المنافقون". فمن أبعاد التشبيه إذن هنا بيان خطر المنافقين. وعليه دعوة المسلم إلى التحرك عمليّا لدراسة خططهم ووضع خطط للردّ على كيدهم ومكرهم.

## 3-الشكر العملي:

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾[3].

تشبيهان بليغان في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾. فالأرض كالفراش والسماء كالبناء، وفي كلّ وجود معنى عناية الله بالإنسان، إذ هيّأ أسباب الراحة. فما المطلوب من الإنسان تجاه خالقه وربّه؟ المطلوب هو«**ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ** ». والآيات ذات معان مترابطة، إذ أنّ أجزاء القرآن الكريم كلّه متناسقة مترابطة. وهذا العنصر هو واحد من عناصر النظم عند عبد القاهر الجرجاني، فمن النظم ( أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول)[4].

إذن فالمعنى: أنّ الله جعل لكم الأرض كالفراش والسماء كالبناء فهيّأ لكم أسباب الراحة، والمطلوب منكم أن تعبدوه وتشكروه، والشكر المقصود بكونه لا يكون فقط شكر اللّسان، ولا يكون فقط مجرد اعتراف بكون هذا من عند الله تعالى، بل«**ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ** ». والعبادة هي طاعة لله وخضوع لأوامره.

---

[1]- النور: 19

[2]- خواطر حول القرآن الكريم: الشيخ محمد متولي الشعراوي، مجمع البحوث الإسلامية الأزهر، 1411هـ/ 1991م، ص 162.

[3]- البقرة( 22/21).

[4]- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 103.

فمن أبعاد التشبيه هنا الدعوة إلى شكر الله عمليّا بطاعته تعالى.

## 4-ترك السلوك الذي يتنافى مع ما شرع الله تعالى مخافة العقوبة:

قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[1].

التشبيه في "كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ " أي كالقردة منبوذين مطرودين، وهذه العقوبة نتيجة مخالفة اليهود لما أمرهم، فقد أمرهم بترك صيد الحوت يوم السبت، فخالفوا الأمر واحتالوا عمليا، حينئذ عاقبهم الله، والمسألة لا تتعلّق بهم فحسب بل﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

ولذلك فمن أبعاد التشبيه هنا التنبيه إلى ترك أيّ سلوك يتنافى مع شرع الله تعالى.روى أبو عبد الله بن بطة، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿ لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل ﴾[3].

## 5-حسن الأدب مع الله قولا وفعلا:

قال الله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[4]

---

[1]- البقرة 65.

[2]- البقرة 66.

[3]- قرآن تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيرطي: أ، محمد حسن الجمعي، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ص 10.

[4]- البقرة 118.

التشبيه في قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾. فالله هنا( يشبه ما قاله الكفار الذين أرسل إليهم الرسل قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من إنكارهم على الرسل الاختصاص بالوحي من دونهم واقتراحهم عليهم الآيات تعنتا وعنادا بما قاله الذين لا يعلمون وهم مشركو العرب)[1].

إنّ الذين يطلبون من أنبيائهم طلبات خاصّة تعنّتا وعنادا لا يعلمون، فهم جهلة، فالله تعالى الخالق هو الذي يطلب من العباد أن يفعلوا كذا أو يتركوا كذا، مثل اليهود الذين طلبوا من نبيّهم موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة حتى يؤمنوا، إنّه سوء الأدب مع الله تعالى، والعرب الجهلة تشبّهوا باليهود، حين طلبوا من محمّد عليه السلام أن يرقى في السماء ثمّ يرسل كتابا يدلّ على صدقه، وطلبهم أن يكون معه ملك يرونه، وغيرها من الطلبات.

إنّ الذي له علم بالله تعالى، يعلم حكمة الله وقدرته، والله يترل من الآيات ما يكفي لمن أراد التصديق، أما المتكبّر فلن يؤمن مهما أتيته من آيات، فمن أبعاد التشبيه هنا أن يتعلّم المسلم حسن الأدب مع الله تعالى، فيفعل ما أمر به، ويترك ما نهى عنه، ويؤمن بما أخبر به.

## 6-العمل الجماعي كأمة لتحقيق الأهداف الكبرى:

قال الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[2].

التشبيه في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾. أي كما ميّزناكم بالقبلة اتّجاه البيت الحرام، كذلك جعلناكم أمّة مميّزة عن باقي الأمم بعدالتها و خيريتها، وبتوازنها بين الماديّة والروحية، واعتدالها بأن تعمل لدنياها، وكذلك تعمل لأخراها، توازن بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة، فهي وسط في كل شيء، فهي تأخذ الخير من كل شيء، وتقدّم الخير في كلّ شيء.

والتعبير في الآية" **جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ** " ولم يقل مسلمين تتميّزون بالوسطية، في التعبير إشارة إلى أنّ المسلمين يعملون كأمّة، مترابطة متّحدة، مجتمعة، وليس كأفراد.. فالأهداف البسيطة

[1]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: د، إبراهيم علي حسن داود، ص 229 .

[2]- البقرة 142.

العاجلة يحقّقها الفرد، ولكنّ الأهداف الكبرى، كنشر الإسلام دين الله تعالى، والشهادة على الأمم الأخرى، نظريا وعمليا،﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، هي أهداف فوق طاقة الأفراد،بل فوق طاقة الأحزاب والجماعات، فلابدّ من تعاون الأمّة كلّها،حاكما ومحكوما، رجلا وامرأة، غنيّا وفقيرا، عالما وأميّا، كلّ حسب موقعه وطاقته.

فمن أبعاد التشبيه هنا وحسب التعبير القرآني أن يعمل المسلمون على التعاون، وتوحيد الجهود لتحقيق هدف« لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ». والمسألة لا تقبل جدالا ولا محبّة نفسية فحسب، بل السعي عمليّا لتحقيق ذلك.

إنّ جيل الصحابة رضي الله عنهم كانت لهم راية واحدة، وعنوان واحد، وجهد متكامل وتعاون مستمرّ. ويوم أن تفرّقوا واختلفوا إلى شيعة وسنّة، وللشيعة أحزاب وللسنّة أحزاب عندها ضاعوا.

## 7-لا لاتّباع الكفار فيما فيه مخالفة لشرع الله تعالى:

قال الله تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾.( 171).

التشبيه في قوله تعالى:﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ ﴾ وفي قوله تعالى:﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾. فالكفار يشبهون الأنعام التي لا تعقل من نداء ودعاء صاحبها عليها إلاّ الصوت، فكذلك هم لم يستجيبوا لنداء ربّهم ولنصح نبيّه محمد عليه السلام إيّاهم، فقد عطّلوا وسائل الانتفاع بما جاءهم من عند ربهم، وبما بثّ من دلائل وحدانية وحكمته في الكون، فلم يستفيدوا من آيات الله المنظورة، ولا من الآيات المسطورة﴿ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾.

وإذا كان حال الكفار هكذا﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾، وهم كالأنعام في تصرّفهم مع ما جاءهم من عند ربهم، فهم ضالّون تائهون، وهم نحو ما يضرّهم سائرون، وقوم هذا حالهم هل يعقل أن نقلّدهم ونتّبعهم ونأخذ قوانينهم؟!

إنّ الأبكم والأصم والأعمى، يحتاج إلى غيره ليدلّه على ما ينفعه ويبعده عما يضرّه، وهكذا الكفّار كما يصوّرهم ربّهم، وخالقهم تعالى، وهذا من باب النصيحة والتحذير للمؤمنين من تقليدهم و اتّباعهم فيما هو مخالف لمبادئ الإسلام.

إنّ الذين كفروا اليوم- وقد رفضوا تطبيق قوانين الإسلام، بل وحاربوا من يدعون إلى الالتزام بتعاليم القرآن- قد أدخلوا البشرية في متاهات،وجلبوا للعالم أزمات نفسية، واجتماعية، وأخلاقية، واقتصادية... هناك جامعات ومعاهد وأموال طائلة تبذل، ومع ذلك هناك فتن متتابعة.. ما السر؟ السر في ذلك رفض الكفار سماع نداء الخالق الحكيم، فحدث ما حدث ويحدث. وهذا مشاهد ملاحظ.

فمن أبعاد التشبيه هنا دعوة المسلمين إلى عدم اتّباع الكفار عمليّا، بحيث لا تستورد قوانينهم ولا أنظمتهم التي فيها مخالفة صريحة لمبادئ الإسلام، ولا بأس من الاستفادة من بعض جوانب المدنية في العلوم الكونية.

## 8-سلوك المسلم فيه حماية وأمان للآخرين:

قال الله تعالى:﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[1].

فالزوجة كاللباس لزوجها، والزوج كاللباس لزوجته، فكلّ منهما يستر ويحمي الآخر، وإذا كان اللباس الذي يستر ويحمي صاحبه يشترط فيه أن يكون ليّنا وكافيا حتّى لا يؤذي ويستر، فإنّ الزوج والزوجة كاللباس لبعضهما، فالعلاقة بينهما عمليّا يجب أن تكون فيها ما يستر الآخر من ارتكاب ما حرّم الله خارج هذه العلاقة الزوجية، وفي هذه العلاقة ما يحبّب كلاّ منهما في الآخر.

وبناء على ذلك فلا بدّ من سلوك عمليّ قولا وفعلا، لتؤدّي العلاقة الزوجية دورها في الستر والحماية.. ومن ذلك السلوك اللين في التعامل لا العنف والغلظة ، وتزيّن كلاّ منهما للآخر بما يدعو إلى الإعجاب، وهذا يؤدّي إلى قصر العلاقة على بعضهما فحسب.

[1]- البقرة 187.

فمن أبعاد التشبيه هنا الدعوة إلى القيام بالسلوك الذي من شأنه أن يجلب الآمان ويحقّق الستر.

## 9-سلوك المسلم منضبط بخاصية الوسطية:

قال الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

فكما ميّزناكم بالقبلة (البيت الحرام) حين تصلّون، فكذلك ميّزناكم عن باقي الأمم بميزة الوسطية« **أُمَّةً وَسَطًا** ». جاء (في محاسن التأويل): كما هديناكم إلى قبلة هي أوسط القبل وأفضلها« **جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** » أي عدولا خيارا. وقوله تعالى:﴿ **لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ تعليل للجعل المنوه به الذي تمّت المنّة به عليهم[2].

إذن فالوسطية تعني العدالة والخيرية، والخيرية إنّما جاءت لأنّ أمّة الإسلام ما فرّطت في أمر دينها وآخرتها، ولا هي أفرطت وأسرفت فيما يتعلّق بدنياها، وإنّما هي وسط، تعمل لدنياها وتؤثر أخراها، تعني بالجانب الروحي بالصلاة والصوم والذكر ونحو ذلك، ولا تترك متطلّبات الجسد، ممّا حلّ وطاب من الملذات فهي روحية ومادّية، فلا روحية بالكلية ولا مادية بالكلية.

إنّ أمّة تتميّز بمثل هذه المواصفات، جديرة بأن تتقدّم على غيرها، وجديرة بأن تحتلّ مرتبة التوجيه لغيرها من الأمم، ولكن بالعمل والسلوك، حيث يرى الناس تطبيقات الوسطية ( ماديا وروحيا)، فإن شاهدت الأمم الأخرى ذلك، وهي التي تعيش الأزمات المختلفة، ربّما أغراها ما تشاهد عمليّا فتسلم وتؤمن. فمن أبعاد التشبيه هنا الدعوة إلى سلوك المسلم عمليّا طريق الوسطية

[1]- البقرة 143.

[2]- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، م 1، ج1، ص 281.

في الحياة كلّها، كأفراد وكأمة، في القول والفعل، في التخطيط والتنفيذ، فتهتم بالروح والجسد بالدنيا والآخرة.

## 10- سلوك المؤمن ضابطه رضا الله تعالى لا هوى النفس:

قال الله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾[1].

التشبيه في قوله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾، إذا كان الكره بمعنى الإكراه فيكون ( تشبيها بليغا لأنه حمل للإكراه على المكره عليه فكأنه شبه القتال بالشيء المكره)[2].

والحقيقة أنّ ثمّة عبادات كثيرة، وتكاليف شرعيّة مختلفة، فيها مشقّة على النفس، بما يؤدّي إلى الإقبال عليها مع الكراهة، ربّما أدّت المشقّة عند بعض الناس إلى ترك بعض الواجبات، فالله ينبّه المؤمن أنّ هذه المشقّة يعقبها خير كبير للمسلم الملتزم، فالصوم وما فيه من جوع وعطش، فيه أيضا ثواب ورفع الدرجات وتصفية الروح وصحّة للجسد.

فالتشبيه هنا يوجّه المسلم إلى القيام بالواجبات، طلبا لرضا الله مهما كانت المشقّة. ومعنى ذلك أن يكون المسلم منضبطا في سلوكه وأعماله بطلب رضا الله لا إرضاء لهوى النفس فالعبادة التي لا مشقّة فيها يقوم بها، والّتي فيها ألم ومشقّة يتركها.

## 11- سلوك المسلم منضبط باستحضار الحساب الإلهي:

[1]- البقرة 216.

[2]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: د، إبراهيم علي حسن داود، ص 358.

قال الله تعالى:﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

التشبيه في قوله تعالى:﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾. أي يتعامل الرجل مع امرأته كما يتعامل الزارع مع البذور، حيث يضع البذور في موضعها المحدّد لها بشروط معيّنة، ثم يتعهّدها حتّ تنضج وتحصد. فكذلك الرجل مع امرأته تكون العلاقة في موضع الولد لا في غيره بشروط محدّدة وآداب معيّنة، بحيث تكون البركة في العلاقة، ويكون الرضوان من الله، فإن قدر ولد يهتمّ به. وما دام الإتيان للمرأة في موضع الولد فلا تهمّ الطريقة.

عن جابر بن عبد الله أنّه قال: كانت اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها،إنّ الولد يكون أحول فنزل قوله تعالى:﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[2]. فالطريقة غير محدّدة ما دامت مرتبطة بموضع الولد، وإنّما المنكر أن تكون في زمن الحيض، أو الإتيان للمرأة في الدبر لا في القبل، فعن ابن عباس« نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ »: الحرث موضع الولد[3].روى البخاري ومسلم عن ميمونة بنت الحارث الهلالية قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتّزرت وهي حائض[4].

إذن فلا يجوز إتيان المرأة من دبرها، وفي حال الحيض لا يجوز في موضع الولد أيضا. فمن خالف أوامر الله تعالى، فمثله كمثل من يزرع في غير موضع الزرع، فيضع البذرة على الأرض بدون حراثة، أو كمن يزرع في غير موسم الزرع، وفي كل لا نبات ولا حصاد، بل هو جهد ضائع ومال قد صرفه صاحبه من غير فائدة. ولذلك فالمسلم يجب عليه أن يضبط سلوكه في العلاقات كلّها بالخوف من الله تعالى، بأن يستحضر موقف الحساب من الله تعالى: « وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ». طبعا استحضار الحساب الإلهي، والخوف من العقاب يكون مع كل فريضة، حتّ تؤدّى بإحسان.

---

[1]- البقرة 223.

[2]- أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، ص28.

[3]- تفسير لبن كثير: ج1، ص 459.

[4]- المصدر نفسه: ج1، ص 417.

## 12- سلوك المؤمن بين الحق والواجب:

قال الله تعالى:﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[1].

التشبيه في هذه الآية في قوله:﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾. وهو ( تشبيه مع احتباك إذ حذف شيء من الأول أثبت نظيره في الآخر. وأصل التركيب: ولهن على أزواجهن مثل الذي لأزواجهن عليهن)[2].والمماثلة في الواجبات، تعني أنّ لكل واجباته تجاه الآخر، وأنّ لكلّ حقوقه، كما فرض الله تعالى وكما شرّع.

التشبيه هنا ينبّه الزوجين إلى ضرورة معرفة كلّ واحد منهما حقوقه وواجباته ، ثمّ يكون السلوك بين الزوجين على أساس هذه الحقوق والواجبات.

فالمرأة ليست خادمة في البيت، والرجل ليس مجرد مموّل بالمال، بل ثمّة واجبات على الطرفين تضبط العلاقة، وتزرع المحبّة، وتحفظ الأسرة، فالمرأة إنسان كامل الكرامة، والرجل كذلك.﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾[3].﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[4].

إنّ الإنسان غالبا ما يكون أنانيا، ينظر إلى حقوقه ويغمض عينيه عن حقوق الطرف الآخر، وينظر إلى واجبات الآخر، بينما يغفل عن واجباته، فأنزل الله تعالى القرآن تبيانا لكل شيء، ومن ذلك تحديد الواجبات بين الزوج والزوجة، وعلى المسلم أن يضبط سلوكه في هذه العلاقة الزوجية وفق هذه الواجبات والتي ذكرت في القرآن، ثمّ فصّلت وبيّنت في السنة.

فمن أبعاد التشبيه تنبيه المسلم إلى ضبط سلوكه في العلاقة الزوجية، وفق حقوق وواجبات الزوجين، كما توجد حقوق فهناك واجبات.

## 13- تخطيط المسلم بين المبادئ والوسائل ( الثوابت والمتغيرات):

[1]- البقرة 228.

[2]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: د، إبراهيم علي داود حسن، ص 374.

[3]-الإسراء 70.

[4]- النساء 19.

قال الله تعالى:﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

التشبيه ورد في قوله تعالى:﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ....﴾ أي ( ألم تنظر، أو ألم ينته إلى علمك مثل الذي مر... وحدثت له تلك القصة، والغرض من التشبيه أن يعلم كل واحد أن الله قادر على كل شيء)[2].

اختلف في ذكر اسم الرجل، قيل عزير وقيل الخضر عليه السلام، وقال مجاهد بن جبر: هو رجل من بني إسرائيل[3]، ولا يهمّ الاسم بقدر ما تهمّ قصته وما تضمّنته.أما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس مرّ عليها، بعد تخريب (بختنصر) لها وقتل أهلها«وَهِيَ خَاوِيَةٌ» أي ليس فيها أحد، من قولهم خوت الدار تخوي خويا[4].

وإذا كان من مقاصد وأغراض القصّة بيان قدرة الله تعالى على كلّ شيء، لهذا الرجل أوّلا آنذاك ولقومه، وثانيا لكلّ جيل يقرأ هذه القصّة ويصدّق بهذا القرآن بأنّه وحي يوحى، فإنّ ثمّة مقاصد وأبعاد أخرى تضمّنها التشبيه « أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ .. ».

من هذه الأبعاد أنّ المسلم وهو يخطّط ويبرمج ثمّ ينفّذ ذلك على أرض الواقع بما يحقّق حلّ المشكلات الواقعة، وبلوغ الأهداف المسطرة، دنيوية وأخروية، لا بدّ أن يفرّق بين المبادئ التي جاء بها الإسلام ولا تقبل التغيير بتغيّر الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، وبين الوسائل التي يمكن أن تبلى وتحلّ محلّها وسائل أخرى، تضمن تحقيق الأهداف، ولا تخرج عن دائرة المبادئ.

---

[1]- البقرة 259.

[2]- خصائص التشبيه في سورة البقرة: د، إبراهيم علي حسن داود، ص 401.

[3]- تفسير ابن كثير: ج1، ص 558.

[4]- المصدر نفسه: ج1، ص 558.

فالصلاة لا نقاش فيها والصوم والتوحيد والأخلاق وما كان من الواجبات والمبادئ كالشورى ثابت لا يتغيّر، أمّا الوسيلة مثلا لتطبيق الشورى فيمكن أن تتغيّر ولا ضير، فبدل البيعة يمكن الانتخاب.. ومن أين جيء بهذا البعد؟ توصّلت إليه من قوله تعالى:﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ ﴾. فالطعام والشراب مرّ عليه مائة عام و لم يتغيّر طعمه ولا لونه، بل بقي صالحا ليكون غداء للجسد، بينما الحمار وهو وسيلة تتغيّر وتتبدّل، ذهب لحمه وبقي كهيكل عظمي لا حياة فيه، والله بقدرته حفظ الغداء وترك الوسيلة تتغيّر وتزول ثمّ بقدرته كذلك أعاد الحياة لها، بمعنى قادر على تقديم وسيلة أخرى، والطعام والشراب في تقديري يمثّل المبادئ والثوابت من الدّين، التي هي غذاء الروح، أمّا الحمار فهو يشمل الوسائل والمتغيّرات، فيمكن استغلال وسائل -تتماشى ومبادئ الإسلام وتحقق الأهداف- وترك أخرى. كان العربي يركب الجمل واليوم الطائرة،ويستعمل البيعة واليوم الانتخاب.

فمن أبعاد التشبيه هنا مع ربطه بالقصّة وبالسياق، تنبيه المسلم أنّه في تخطيطه وسلوكه لتحقيق الأهداف الدنيوية والغايات الأخروية أن يميّز بين المبادئ والوسائل أو الثوابت والمتغيّرات، فيلتزم بالأولى دون تغيير ، وله أن يغيّر الثانية.

## 14- سلوك المؤمن كلّه لوجه الله تعالى ( العمل والإخلاص):

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ ﴾[1].

فالذي يتعب فيجمع المال، ثمّ يسعى في إنفاقه والتصدق به على المحتاجين، ولكن ليس لوجه الله، وليس لنيل الثواب يوم القيامة، وليس لنيل رضوان الله تعالى، بل يفعل ذلك رئاء الناس وطلبا لثنائهم لا حسنة له، بل عمله محبط، مثله كمثل حجر أملس" صَفۡوَانٍ" فوقه تراب، نزل عليه مطر غزير فلم يترك شيئا من التراب، و لم يجمع الماء، فهل يصلح لأن تزرع فوقه؟ كلاّ. فكذلك من تصدّق و لم يخلص لله تعالى، لا ينفعه فعله هذا ولو أنفق ما يساوي الدنيا.

[1]- البقرة 264.

فمن أبعاد التشبيه هنا تنبيه المسلم أنّه في كلّ سلوكه، لا بدّ من تفحّص النية، فيجعل ذلك لله تعالى وحده.

## خلاصة:

بعد الانتهاء من الفصل الثاني استخلص مايلي:

**أوّلا:** هذه المعاني تصلح أن تكون سننا وقوانين، يسير وفقها المسلم ليهتدي ويرشد..وهي قواعد لتصحيح تصوّر المسلم،وتزكية نفسه،وضبط سلوكه..وهي من أهمّ المعاني التي تؤهّل الإنسان لحسن خلافة الله تعالى.

**ثانيا:من أهم المعاني:**

### 1-بالنسبة لبناء العقيدة وتصحيح التصور:

أ-كفر الكافر اختيار لا إجبار، والعقاب عدل لا ظلم فيه:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾(6).

ب-الله يرغّب عباده في الطاعة ويخوّفهم من عاقبة معصيته:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(261).

ج-مواصفات واحدة للهداية وطريق واحد للفلاح:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(3-5).

د-لا يقبل الله شرك المحبة:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴾(165).

ه-الابتلاء سنّة ماضية:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾(214).

و-الخير فيما اختاره الله:﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾( 216).

ز-السبيل للمحافظة على المال ومضاعفته:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(261).

ح-تجدّد الإنفاق بتجدّد الداعي:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (03- 04- 05).

ط-القتال في سبيل الله رد للعدوان لا لفرض الإيمان:﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾(194).

ي-مكانة المرأة في الأسرة:﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(223).

## 2- بالنسبة لتزكية النفس:

أ-اتّباع هدى الله يحقّق الطمأنينة للنفس:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(05).

ب- التحذير من النفاق لأنّه يورث القلق والحيرة:﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾(17).

ج-الخوف من غضب الله وعقوبته بسبب العصيان:﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ. فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾(65-66).

د-الصبر والتحمّل لبلوغ غايات كبرى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(183).

ه-ألم وأمل:﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(216).

و-القتال ردّ للعدوان لا للانتقام:﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾(194).

ز-سخاء ونقاء:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(264).

## 3: بالنسبة لضبط السلوك:

أ-لا فلاح بلا سلوك وعمل بعد تصحيح الاعتقاد:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ . وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(3-4-5).

ب-التصدي لخطر المنافقين عمليّا بوضع برامج تربوية لحماية المجتمع من الفتن والعمل على كشف خططهم:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ (17).

ج-ترك سلوك الاحتيال على الله تعالى تفاديا للعقوبة:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾(65).

د-العمل الجماعي كأمّة لتحقيق الأهداف الكبرى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(143).

ه- سلوك المسلم فيه حماية للآخرين وأمان لهم:﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾(187) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الثالث:

## الأبعاد التربوية للمجاز اللغوي في سورة البقرة

## الفصل الثالث: الأبعاد التربوية للمجاز اللغوي(المجاز المرسل–الاستعارة).

لست في هذا الفصل بصدد التعريف وذكر تفاصيل المجاز، فإنّ كتب البلاغة قد فصّلت ذلك، ولكنّي أكتفي بذكر أهمّ النقاط المتعلّقة بموضوع المجاز في القرآن الكريم، ثمّ أبحث في أبعاده التربوية.

المجاز عند أهل البلاغة ( كلمة استعملت في غير معناها الحقيقي لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي)[1]، وهو قسمان:

1- مجاز عقلي: ويكون في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له.

2- مجاز لغوي: ويكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة ومشابهة[2]، والمجاز اللغوي نوعان: مجاز مرسل واستعارة.

1/ المجاز المرسل: ما كانت العلاقة فيه بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي غير المشابهة، وسمّي مرسلا (لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة، أو لأن له علاقات شتى)[1]، وعلاقاته تستخلص من خلال السياق.

[1] – البلاغة العربية (علم البيان) في ثوبها الجديد: د، بكري شيخ أمين، ج2، ص67.

[2] – المرجع نفسه: ج2، ص67.

2/ الاستعارة: وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له[2].

وسأقتصر في الدراسة على المجاز اللغوي (المرسل والاستعارة)،لتكون الدراسة مرتبطة أساسا باللغة،وحتّى لا يتشعّب موضوع البحث،فيكون التركيز على المجاز اللغوي فتسهل دراسة الأبعاد المختلفة لتكون الإفادة أحسن.

ولقد ( اتفق أهل علم اللسان، وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن لأنّ القرآن نزل بلسان العرب، وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز ولا وجه لمن منعه لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى)[3].

وجاء في ( جواهر البلاغة): والمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفا بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع[4].

وهذا الفصل مقسّم إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأبعاد التربوية للمجاز المرسل ( الاعتقادية –النفسية –السلوكية).

المبحث الثاني: الأبعاد الاعتقادية للاستعارة.

المبحث الثالث: الأبعاد النفسية للاستعارة.

المبحث الرابع: الأبعاد السلوكية للاستعارة.

## المبحث الأول: الأبعاد التربوية للمجاز المرسل:( الاعتقادية، النفسية، والسلوكية):

[1] – الواضح في البلاغة العربية: محمد رزقان الفرخ، ص113.

[2] – الإيضاح في علوم البلاغة: الإمام الخطيب القزويني ، ج1، ص407.

[3] – ابن جزي ومنهجه في التفسير: علي محمد الزبيري، ج2، ص676.

[4] – جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي، ص249.

ورد في سورة البقرة عدد قليل من صور المجاز المرسل، ومع ذلك فإنّ ثمّة أسرارا وأبعادا يمكن استخلاصها:

1-قال الله تعالى:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾[1].

المجاز المرسل في قوله تعالى:﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾، فقد أطلق الأصابع وأراد الأنامل، بمعنى ذكر الكلّ وأراد الجزء، فهو مجاز مرسل علاقته الكليّة. جاء في (تفسير البحر المحيط): أراد بالأصابع بعضها لأن الأصبع كلها لا تجعل في الأذن إنما تجعل فيها الأنملة[2].وقال الإمام الشوكاني: «يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم» إطلاق الأصبع على بعضها مجاز والعلاقة الجزئية والكلية، لأن الذي يجعل في الأذن إنما هو رأس الأصبع لا كلها[3].

قبل الحديث عن أسرار وأبعاد المجاز المرسل، نذكر سبب نزول الآيات التي ورد فيها المجاز، ذلك أنّ معرفة سبب النزول يعين على الفهم الدقيق للمعنى المراد. قال ابن تيمية: معرفة سبب النزول بعين على فهم الآية[4].

أخرج ابن جرير عن ابن عباس: كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين،فأصابها هذا المطر الذي ذكر الله، فيه رعد شديد وصواعق

---

[1] البقرة( 19-20).

[2] – تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1298هـ/ 1978م، م1، ج1، ص 86.

[3] – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان،ط2. 1422هـ/ 2001م، م1، ص 47.

[4] – أسباب النزول عن الصحابة والمضرين: عبد الفتاح القاضي، دار المصحف مكتبة عبد الرحمان محمد، القاهرة، ط1، ص 06.

وبرق، فجعلا كلما أصابتهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفرق، مخافة أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فأتيا مكانهما يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا، فنأتي محمدا، فنضع أيدينا في يده، فأتياه فأسلما، ووضعا أيديهما في يده، وحسن إسلامهما، فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلا للمنافقين الذين بالمدينة[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنهما: إن المنافقين في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن، فضرب الله المثل لهم[2].

قال القاضي أبو محمد: وهذا وفاقا لقول الجمهور الذي ذكرناه مثل لكراهية الأوامر والنواهي[3].

بعد ذكر سبب النزول، وكما ذكر العلماء العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،أعود إلى استخلاص أهم الأبعاد المتعلقة بالتربية الاعتقادية، النفسية،والسلوكية:

-حسب سبب النزول وهو خروج الرجلين المنافقين إلى الكفار وإرادة الشر بالمسلمين، فأرسل الله تعالى الرعد والبرق فكان المطر الغزير في الظلمات الشديدة، وذلك لتخويف المنافقين، وقد فهما واستوعبا الدرس، فرجعا إلى النبي عليه السلام وحسن إسلامهما.

يؤخذ من هذا أنّ الله تعالى يرسل بالآيات، كالرياح والفياضانات، كما يعاقب بالشدائد والمحن كعقوبة على الذنب وتنبيه لمن يعتبر. فعلى المسلم أن ينتبه إذا أصابته مصيبة ما،أن ينظر هل المسألة تتعلّق بالابتلاء فحسب وعليه الصبر والاحتساب؟أم هذا من قبيل العقوبة فلا بدّ من التوبة؟.

[1] – أسباب النزول القرآني: د، غازي عناية،ص 91.

[2] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: القاضي أبو محمد ابن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافعي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ/ 1993م، ج1، ص103.

[3] – المصدر نفسه: ج1، ص 103.

– وحسب قول ابن مسعود رضي الله عنهما بأنّ في الآيات مثلا للمنافقين حيث كرهوا سماع القرآن الكريم، وما فيه من الأوامر والنواهي، حتّ أنّهم من شدّة كراهيتهم لذلك ﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾، كالذي يصيبه صيّب في ظلمات ورعد وبرق من شدّة الخوف يسدّ أذنيه حتى لا يسمع. يستخلص من هذا أنّ كراهية سماع القرآن الكريم، وكذلك كراهية واستثقال تطبيق الأوامر والنواهي من الإشارات والدلالات على وجود النفاق، فالمؤمن الصادق يسلم لله تعالى، ويستجيب لأمر الله تعالى، بل و يحبّ ذلك.

–المنافق ببحث عن المنفعة العاجلة والمصلحة الذاتية، ففي قوله تعالى:﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾،مثل(ضربه الله للإسلام: فالمطر: الإسلام. والظلمات: ما فيه من البلاء والمحن.والرعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق ما فيه من الوعد، يجعلون أصابعهم في آذانهم يعني أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذر الهلاك) [1]. وجاء في(تفسير البحر المحيط):﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾، مثل الدنيا وما فيها من الرخاء والشدة والنعمة والبلاء بالصيب الذي يجمع نفعا بإحيائه الأرض وإنباته النبات، وإحياء كل دابة والانتفاع به للتطهير وغيره من المنافع، وضرا بما يحصل من الإغراق، وما تقدمه من الظلمات والصواعق والإرعاد والإبراق وأن المنافق يدفع آجلا بطلب عاجل فيبيع آخرته وما أعده الله له فيها من النعيم، بالدنيا التي صفوها كدر ومآله بعد إلى سفر)[2].

فالمنافق يأخذ من الإسلام ما يوافق هواه ومصلحته فحسب، أمّا ما في الإسلام من طلب الإنفاق والجهاد في سبيل الله فهم يصمّون آذانهم.

[1] – تفسير البغوي" معالم التنزيل": الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ج1، ص 19.

[2] – تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، ص 87.

ويستفاد من هذا أن يراقب المسلم سلوكه، هل هو ملتزم بتعاليم دينه كلها أم ببعضها، فإن كان ما يطبّقه هو ما يوافق هواه، وما تركه لا يوافق، فإنّ ذلك علامة النفاق ومعنى ذلك أنّه يجب على المسلم أن يراقب أعماله وتصرّفاته، ويراجع علاقته بالإسلام، هل التزامه لله أم لا؟ وما التزم منه هل هو لتحقيق مصالح نفعية دنيوية شخصية أم حقا طاعة الله تعالى؟ ومن يدري فلعلّه أن يكون من أهل النفاق، وهذا النفاق بجلب الهلكة له في الدنيا والآخرة، فالله تعالى (ضرب الصيب كمثل لما أظهر المنافقون من الإيمان والظلمات وكفرهم الذي أبطنوه، وما فيه من البرق بما علاهم من خير الإسلام، وعلتهم من بركته، واهتدائهم به إلى منافعهم الدنيوية، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وما فيه من الصواعق بما اقتضاه نفاقهم صائرون إليه من الهلاك الدنيوي والأخروي)[1].

جاء في (التفسير الواضح):« يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم »:أنزل الله القرآن الكريم، وقد اعترى المنافقين شبه واهية، وفي هذا القرآن وعد لمن آمن ووعيد لمن كفر، وفيه حجج بيّنات واضحات،وفيه آيات فاضحة لهم وكاشفة أستارهم كانت تنزل عليهم نزول الصاعقة أو أشد وهم مع القرآن الكريم إذا نزلت آية فيها مغنم خرجوا وساروا مع المسلمين، وإذا نزلت آية تطالبهم بالجهاد أو تكشف حالهم وقفوا و بهتوا، فحالهم هذه تشبه حال قوم نزل عليهم مطر غزير من كل جانب، وكان يصاحبه صواعق فصمّوا الآذان حتى أنهم يجعلون أنامل أصابعهم في آذانهم خوفا من الموت[2].

وإذا كان القرآن الكريم بهذه البلاغة العجيبة،وباستخدام المفردات الدقيقة المعبرة، وباستعمال المجاز المرسل، قد كشف مستور المنافقين، فأخبرهم بما في أنفسهم، وبيّن الله تعالى لهم بأنّه عالم بأسرارهم، فإمّا أن يتوبوا وإمّا فليعلموا أنّ الله« مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ». فإنّ القرآن الكريم هو الضابط وهو المقياس لكل إنسان كي يعرف حقيقة أمره، إن كان مسلما بحق

[1]-المصدر نفسه :م1، ج1،ص 87.

[2] – التفسير الواضح: د، محمد محمود حجازي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ/ 1982م، ج1، ص 15.

أم هو من المنافقين المتظاهرين بالإسلام... فمن وجد نفسه تسرع لتطبيق الإسلام فيما فيه مصلحة، وتبطئ فيما يظهر أنّ فيه مضرّة، فهذه علامة النفاق.

يؤكّد هذا المعنى عبد الرحمن الثعالبي فيقول:" يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم ..." مثّل الله تعالى القرآن بالصيب فما فيه من الإشكال عليهم والعمى هو الظلمات وما فيه من الوعيد والزجر هو الرعد وما فيه من النور والحجج الباهرة هو البرق وتخوّفهم وروعهم وحذرهم هو جعل أصابعهم في آذانهم وفضح نفاقهم واشتهار كفرهم وتكاليف الشرع التي يكرهونها من الجهاد والزكاة ونحوه في الصواعق[1].

إنّ المؤمن الحق يستجيب لأمر ربّه بنفسية راضية، ينطلق من اعتقاد صحيح أنّ الله تعالى قادر وعليم حكيم، ما أمر بشيء إلاّ لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة.﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2].

إنّ من أسرار وأبعاد المجاز المرسل في هذه الآيات﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ .... يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾، أنّه يوضح أنّ من صفات المنافق الجبن والخوف، وأنّ من آثار النفاق، ظهور الأخلاق السيئة. يقول جلال الدين السيوطي: " يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم " :مثل ضربه الله للمنافق لجبنه لا يسمع صوتا إلا ظن أنه أتى ولا يسمع صياحا إلا ظن أنه ميت أجبن قوم وأخذله للحق[3].

فالمنافق إذا جبان يخاف من قول الحق ويخشى أن يموت لأجل الحق لأنّه صاحب طمع في الدنيا شديد، ولأنّه يعرف من حقيقة نفسه أنّه مفسد، فكيف لا يخاف الموت، أي ما يصيبه بعد الموت من عذاب أليم.

---

[1] – الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ج1، ص 36.

[2] – البقرة 05.

[3] – الدر المنشور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج1، ص 33.

وهذا مقياس آخر لكلّ مسلم ليعرف حقيقة إيمانه، ففي حياة المسلم تكون أحداث وتقع أزمات، ممّا يستدعي جرأة وشجاعة لأجل إبطال الباطل وإحقاق الحق، فإذا تخلّف المسلم وجبن خوفا من ذهاب مال أو زوال سلطان أو إزهاق روح، فإنّ ذلك من علامات النفاق.﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾.

-وثمة معنى آخر عميق، هو عند الفتن وخاصة عند وجود الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل، فإنّ المنافق يكره سماع الأخبار، وخاصّة التي فيها انتصار لأهل الحق، حتّى كأنّه يضع أصبعه في أذنه.جاء في (الدر المنشور):﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ .. يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم .. ﴾، البرق هو الإسلام والظلمة هو البلاء والفتنة فإذا رأى المنافق من الإسلام طمأنينة وعافية ورخاء وسلوة من عيش قالوا إنا معكم وإذا رأى من الإسلام شدة وبلاء فلا يصبر لبلائها و لم يحتسب أجرها و لم يرج عاقبتها وإنما هو صاحب دنيا لها يغضب ولها يرضى.[1]

إنّ القرآن المجيد ( هو كتاب الله والإعجاز فليس من شأنه أن يتحدث الحديث التفصيلي عن كل صغيرة وكبيرة في الأخلاق، وإنما هو يضع أمام المؤمن علامات الطريق وإشارات التوفيق، ويترك لنظره وتدبره حسن الاستنباط وواسع الإدراك).

فهذه الآيات حيث ورد المجاز المرسل﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ .. ﴾ قليله وموجزة، ومع ذلك فالمعاني كثيرة، قد ذكرنا بعضها، وهاهنا معنى أخر، يكشفه هذا المثل مع ذاك المجاز المرسل﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ .... يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾.

هذا المعنى هو أنّ النفاق يجعل صاحبه مضطربا قلقا نفسيا، منحرفا سلوكيا، متذبذبا فكريا لا يعرف ماذا يفعل، يعيش متردّدا، على عكس الإيمان، الذي فيه وضوح الهدف فصاحب الإيمان مطمئنّ، منضبط، مستقيم.يقول الأستاذ توفيق محمد سبع:﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ .. يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ

[1] – المصدر السابق: ج1، ص 33.

ءَاذَانِهِم ..﴾: والقوم من فرط الذهول والحيرة يتخبطون عندما تضيء الأفاق يسيرون وعندما تظلم يقفون لا يدرون أين يتجهون، إن المشهد الكلي بما يرسمه من ألوان وما يشيع فيه من حركات وما يصحبه من أهوال وظلمات ليتفق تماما مع حياة المنافقين ويصدر واقعهم النفسي و تقلبهم بين الكفر و الإيمان والهدى والضلال وارتباطهم العضوي بشياطينهم وخداعهم لجماعة المؤمنين، ويصدر التناقض بين ما تقوله ألسنتهم وما تضمره قلوبهم والاضطراب في حركاتهم متمثلا في التحائهم قلوبهم، والاضطراب في حركاتهم متمثلا في التجائهم إلى النور ثم رجوعهم إلى الكفر، ويأليتهم يثبتون في منطقة الضوء إذن لسعدوا ولكن هذا التقلب المؤسف بين ظلمات الكفر وأنوار الإيمان هو قادهم إلى مصيرهم الفاجع الأليم.إنه تصوير كلي رائع ينطوي بلغة النقد الحديث على الحياة والحس والحركة واللون وينسجم تماما مع أجواء النفاق المنقلبة المضطربة.. ويصف عالمهم الباطني والنفسي الذي يبلغ من الحيرة والتردد والروع والفزع حدا يجعلهم يضعون الأصابع في الآذان.. وفي المثل لمحة حية ولمسة اجتماعية رائعة تفيدنا في بناء مجتمعاتنا، وهذا الدرس يكمن في قوله سبحانه:﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ أليس هذا الوصف تعبيرا حيا عن الأطماع لتي تحركهم فهم يمشون كلما برقت لهم أمال مصالحهم، ويسيرون كلما لاحت أمامهم فرصة فإذ انقطع المطمع وأظلمت الأفاق في وجوههم جلسوا متربصين[1].

فمن أبعاد المجاز المرسل في« يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم » مع ربطه بالمثل كلّه، أن نعرف أنّ النفاق مرض خطير، من أصيب به، عاش مضطربا قلقا، وتخلّف عن مواقف نصرة الحق، عاش مع الجبناء، أصحاب الأطماع الدنيوية المادية، عاش حائرا متردّدا لا هدف له بيّن، ولا غاية له واضحة، اللهم إلاّ تحقيق ملذّاته العاجلة، والتي غالبا ما تضيع منه، بل وقد يهلك بسبب البحث عنها والحرص عليها.

1- نفوس ودروس في إيطار التصوير القرآني: أ، توفيق محمد سبع، مجمع البحوث الإسلامية الأزهر، القاهرة، 139هـ/ 1971م،ج2. ص81.

وفي هذا دعوة للمسلم أن يزكّي نفسه ويطهّر قلبه فلا نفاق، بل الإيمان الصادق هو ما يجب غرسه في النفس، ليثمر هداية كاملة وفلاحا دائما.

2- قال الله تعالى:﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] .

المجاز في قوله تعالى:﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ إذ المعنى ( الاستسلام الكامل بالنفس لله بالوجه بطريق المجاز المرسل من باب ذكر الجزء و إرادة الكل أي أخلص وخضع لله رب العالمين بالكلية، بروحه وقلبه و عقله)[2].

ومعلوم أنّ ذكر الجزء مع إرادة الكل، فيه معنى الاهتمام بهذا الجزء مع إرادة الكل، وهو هنا الوجه يسلمه الإنسان لربّه ويحسن في ذلك، ولا شك أنّ أهمّ ما به يعبد الإنسان ربّه، هو الوجه، ففيه اللسان والعينان ويتبع ذلك الأذنان، وفيه الأنف الذي يدلّ على معنى الأنفة، فإذ أسلم الإنسان وجهه لله تعالى، وخضع بوجهه لله تعالى، فهو يقول ما يرضي ربّه، ويرى ما يرضي ربّه، ويسمع ما يرضي ربّه، ويضع أنفه ذلاّ لله تعالى على الأرض في الصلاة ليرضي ربّه، إذا فعل ذلك، فهو لا شك سيستسلم لله تعالى في كلّ شيء.

وإذا كان القرآن الكريم( كتاب الله العزيز الحكيم ولا تتناهى معانيه ولا يحاط بكل مغازيه)[3]، وإذ كان ( الجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد وأمسها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج ويضع كل مثقال ذرة

[1] – البقرة 112.

[2] – الإبداع البياني في القرآن العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني،ص35 .

[3] – المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص494.

في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به)[1] .فإنّ في هذه الآية حيث ورد المجاز المرسل« **أَسْلَمَ وَجْهَهُ,** ».أبعادا مختلفة وأسرارا هامّة منها:

- في قوله تعالى:﴿ **أَسْلَمَ وَجْهَهُ, لِلَّهِ** ﴾ ففي لفظة "**لِلَّهِ** " معنى القصر و التخصيص، أي إسلام الوجه لله فقط، فالخضوع المطلق لا يكون إلا لله تعالى، وهذا هو التوحيد الذي فيه معنى العبودية لله تعالى، فلا شرك في الخضوع و التسليم، بل توحيد خالص لله تعالى.

هذا الخضوع الخالص لله تعالى، يكون في كلّ شيء بدءا بالصلاة، لأنّ إسلام الوجه يومئ إلى الصلاة، جاء في (تفسير البغوي): خصّ الوجه لأنّه إذا جاء بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه[2].

وجاء في (تأويل القرآن العظيم):﴿ **مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ, لِلَّهِ** ﴾ ليس الأمر كما تقولون بل من أسلم وجهه: آمن بلا إله إلا الله ورأى الكون كله سائرا بأمر الله ونفسه مقبلة فعرف أن كل ما يصيبه من الله تعالى خير فاستسلم لله)[3].

فمن أبعاد المجاز المرسل الاعتقادية هنا، بيان أنّه لا خضوع بالكامل إلاّ لله تعالى، وأنّ السجود لله تعالى في الصلاة حيث يكون بالوجه على الأرض استسلاما لله تعالى فيما أمر، إنّما هو نقطة البداية في توحيد الله تعالى في كلّ شيء، هذا التوحيد لله تعالى في كل شيء، أي الخضوع لله تعالى في كل شيء، هو الذي يحرّر الإنسان والأمّة من كل طغيان، طغيان الظالمين.. طغيان المادة.. طغيان الشهوات.. فيكون المسلم عبدا لله تعالى وفقط. يقول الشيخ محمد الغزالي:

---

[1] تفسير البغوي" معالم التنزيل": الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك و مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج1،ص106.

[2] – تفسير البغوي: ج1،ص106.

[3] – تأويل القرآن العظيم: محمد أمين شيخو، م1، ص89.

ولا إنقاذ إلا يقظة إسلامية تجعل التوحيد فلسفة حياة وروح أمة ونموذج ارتقاء أدبي ومادي لا شعارا أجوف ولا دعوى تسيء إلى الحقيقة [1].

- قوله تعالى:﴿ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾، هذا قيد وشرط، فإسلام الوجه لله تعالى وحده لا يكفي بل لابدّ من الإحسان في ذلك، فليس المطلوب هو الصلاة فقط، بل الصلاة والإحسان فيها وكذا الزكاة والإحسان فيها.. وهكذا سائر عبادات المسلم. بمعنى أن تؤدّى العبادات بشروطها، ومن أهمّها الإخلاص فيها.﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [2].

إنّ المسلم أحيانا يؤدّي واجباته وعباداته دون التفات إلى الشروط، والكيفية التي تؤدّى بها العبادات، فالمجاز المرسل هنا بربطه بكل المعاني المتصلة به في الآية، من أبعاده الاعتقادية، هو تصحيح التصور تجاه العبادة لله تعالى، فلا بدّ من النظر إلى العبادة كعبادة، ثمّ النظر إلى الكيفية التي تجعلها صحيحة ومقبولة.

- في قوله تعالى:﴿ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾، ذكر بعض أهل العلم أن: "مُحۡسِنٞ" معناها: الإحسان إلى الخلق"[3]. فالمسلم يسلم وجهه لله تعالى، أي يخضع لله تعالى وله أدب رفيع مع الناس، ومعنى ذلك أنّ من أبعاد المجاز المرسل هنا التنبيه إلى قيمة الأخلاق والمعاملة الحسنة للناس، وأنّه لا يكفي أن تعبد الله بصلاتك وصيامك وحجّك، ثمّ أنت بعد ذلك تسيء إلى الناس، فإذا كان إسلام الوجه فيه معنى الصلاة لله تعالى كأعظم عبادة في الإسلام، فإنّ " مُحۡسِنٞ" تشير إلى الجوارح الأخرى كاليد والرجل، والذي بهما يكون العمل ويقع السلوك.

- ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ ﴾:من عبد الله تعالى وخضع لحكمه ومع ذلك كان محسنا إلى الناس، « فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ »، الفاء هنا تفيد معنى الترتيب و

[1] – المحاور الخمسة للقرآن الكريم: الشيخ محمد الغزالي، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ص60.

[2] – البينة 5.

[3] – تأويل القرآن العظيم: محمد أمين شيخو، م1، ص 89.

التعقيب، أي يترتّب مباشرة وبسرعة الجزاء والثواب، فالله لا يماطل في إعطاء الأجر والثواب لمن عبده وأحسن إلى خلقه، ومن هذا يتعلّم المسلم أن لا يماطل في أداء حقوق الناس بعد أداء واجباتهم.

-وقوله تعالى:﴿عِندَ رَبِّهِۦ ﴾، فالثواب والأجر محفوظ عند الله تعالى، وموجود عنده لا عند غيره، وإيثار كلمة"رَبِّهِۦ " على كلمة" الله" لأنّ فيها معنى الرحمة والحفظ والرعاية، فهذا الأجر يعطيه من له صفات الرحمة والإكرام، وربّ البيت (الأب) عندما يعطي أولاده إنّما يعطيهم رحمة بهم وإكراما لهم، على عكس لو أعطاهم غير رب البيت فربما كان الأذى. ومن الأبعاد التربوية ههنا أن يوجّه المسلم فكره و قصده في أن لا ينتظر التواب من عند أحد سوى الله تعالى، فهو يسلم وجهه لله ويحسن إلى عباده، وينتظر الثواب من عند الله تعالى وفقط. مدحه الناس أم لم يمدحوه، لا يهم، شكره الناس أم لم يشكروه ، لا يهم، فالذي يهمّ هو أنّ ربّه الله تعالى لن يضيّع أجره.

- قوله تعالى:﴿ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾. جاءت بإطلاق ﴿ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾.وظاهر الآية أنّ هذا يحصل يوم القيامة لهؤلاء، فلهم الجنة، ولا يخاف عليهم ذووهم وهم فرحون يوم القيامة بلا حزن، ولكن يفهم أيضا أنّ هذا الأجر وهذا التواب، وهذا الأمن والفرح إنّما يحصل أيضا في الدنيا، فالله تعالى رب الناس رب من أسلم له وأحسن، لا يؤجّل العطاء والثواب، بل من الثواب ما هو معجّل وآخر مؤجّل " فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ " أي بعد العبادة والإحسان مباشرة، وعليه فالله تعالى وعد من أسلم وجهه لله وأحسن في عبادته وأحسن إلى عباده، أن يوفّر له الأمن والحماية من أعدائه شياطين الإنس والجن، كما يرزقه الفرح والسرور، بما يقذف في قلبه من معنى الطمأنينة والتوّكل على الله تعالى والطمع في فضله، هذا الفرح يبدأ في الدنيا من لحظة الخضوع والإحسان إلى ما بعد الموت " وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ "، و" يَحۡزَنُونَ " فعل مضارع يفيد معنى الاستمرار والتجدّد، فهم باستمرار وعلى الدوام لا يحزنون، أي يفرحون.

فهذا عطاء الله تعالى، وهذا فضله وكرمه، مع الأجر والتواب، يوفّر لك الحماية ويقذف في نفسك السرور، أي يحميك ويدفع عنك ما يحزنك مقابل ماذا؟ مقابل عبادة له وحسن أدب معه، وإحسان إلى عباده، وليس في هذا ما يسيء إلى قيمة الإنسان، بل بالعكس فالذي يعبد ربه يتحرّر من كل ما يسلبه حريّته، ويهدر كرامته.

إنّ من أبعاد المجاز المرسل في﴿ **مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** .. ﴾. إعطاء التصور الصحيح لتعامل الله مع عباده، دون النظر إلى جنسهم أو لونهم أو عرقهم، فمن أسلم وجهه منهم لله، وأحسن بعد ذلك لله ولعباده، فله الأجر والثواب، وله الحماية والسرور دائما أبدا. وهذا المعنى يجعل المسلم لا يعتمد على لونه ولا عرقه، ولكن يعمل ويحسن ويوجّه كلّ ذلك لله تعالى وإذا كثر في الأمة أمثال هؤلاء، فلا معنى للعرقية، ولا معنى للعنصرية، وعندها يأمن الناس ولا يحزنون.

إنّ الأمّة التي تبحث عن الأمن وعن الأفراح الدائمة، طريقها إلى ذلك تربية الناس على عبادة الله مع الإخلاص، والتربية على حسن الأخلاق التي تحفظ الحقوق المتبادلة، وتدفع إلى القيام بالواجبات.جاء في (ظلال القرآن):﴿ **فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ** ..﴾:الأجر المضمون لا يضيع عند ربهم...والأمن الموفور لا يساوره خوف، والسرور الفائض لا يمسه حزن... وتلك هي القاعدة العامة التي يستوي عندها الناس جميعا، فلا محسوبية عند الله سبحانه ولا محاباة[1].«**مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ**... »،فكلّ إنسان له أجره ولا خوف عليه، ولا يحزن أبدا مادام قد أسلم وجهه لله وأحسن.

3- قال الله تعالى:﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟**

[1] – في ظلال القرآن: سيد قطب، م1، ص 95.

ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[1].

ورد المجاز المرسل في قوله تعالى:﴿ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾. حيث( أطلق الوجه وأراد الذات أي توجه بكامل جسدك إلى جهة المسجد الحرام، ففي الآية مجاز مرسل من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل. وإذا لم يتحقق التوجّه إلى الكعبة بالجسم كلّه لم تصح الصلاة[2]. والمعنى العام في هذه الآيات هو وجوب التوجّه في الصلاة إلى البيت الحرام بعد أن كان إلى بيت المقدس، ويعتبر( تحويل القبلة هو أول ما نسخ من أمور الشرع)[3]. والمقصود به توجيه الذات كلّها ناحية القبلة كشرط لصحّة الصلاة.

ولقد كان المسلمون يصلّون ناحية المسجد الأقصى زمنا، ثم أمرهم الله تعالى بالاتجاه ناحية المسجد الحرام.. والمسجد الحرام هو القبلة اليهودية، وقبلة المسجد الحرام هي قبلة إبراهيم عليه السلام وهو الذي منه يتفرّع أهل الكتاب والعرب، فالحكمة تقتضي أن تكون القبلة باتجاه المسجد الحرام "الكعبة" وقد جدّد بناءها إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام.﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ .. ﴾[4].

---

[1] – البقرة ( 144- 145).

[2] – الإبداع البياني في القرآن العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني، ص 34.

[3] – تفسير البغوي: الإمام البغوي، ج1، ص 144.

[4] – البقرة 127.

وإذا كان ( المجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفا بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع)[1]، فإنّ استعمال المجاز المرسل في هذه الآيات له أسرار وأبعاد منها:

- أمر الله تعالى رسوله محمّدا عليه السلام، كما أمر المسلمين جميعا بالتوجه ناحية المسجد الحرام ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾، ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾. فقد استعمل المجاز المرسل "وُجُوهَكُمْ"،كما استعملت صفة الأمر " فَوَلِّ "، "فَوَلُّواْ"، وفي هذا الأمر معنى الوجوب، الذي يلزم معنى الجدية في التعامل مع هذا الحكم، وهو الاتجاه ناحية القبلة. وفي ذكر الوجه مع إرادة الذات كلّها، إشارة إلى معنى الاستقامة والاعتدال والاستعداد فالذي يتوجّه إلى جهة واحدة، بحيث يصوّب نظره إلى جهة واحدة، فهو لا يلتفت إلى جهة أخرى بل يركّز على جهة واحدة. ومن هذا يتعلّم المسلم حسن الاستجابة لأوامر الله تعالى، ويتعلّم الجدية في تطبيق الأوامر وأداء الواجبات.﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾.

ومعلوم أنّ الأمة الإسلامية التي دينها الإسلام، وقائدها محمّد صلى الله عليه وسلم كلّفها الله بمهمّة عظيمة،وهي الشهادة على الناس بما فيهم أهل الكتاب.﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[2]. وليس صدفة أن تبيّن هذه المهمّة للأمة المسلمة، ثم يليها الأمر بالتوجه ناحية المسجد الحرام، فالشهادة على الناس تقتضي الخيرية والاستقامة، ولا خيرية ولا استقامة في الحياة إلاّ باتّباع منهج الله الإسلام بكلّ جدّية، فمن كان منضبطا في صلاته وهو متّجه ناحية المسجد الحرام تعلّم الانضباط في كل أمر.

- جاء الأمر للنبيّ عليه السلام بالتوجّه ناحية القبلة ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ بعد قوله تعالى:﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

[1] - جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي، ص 249.

[2] - البقرة 143.

﴿ تَرْضَىٰهَا ﴾، روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: بينما الناس في الصبح بفناء جاءهم رجل فقال إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة ألا فاستقبلوها وكان وجه الناس إلى الشام فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة"[1].

-في قوله تعالى:﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ وكأنّ النبي عليه السلام يضمر في نفسه محبّة التوجه إلى البيت الحرام، مع عدم الاعتراض على الله تعالى حين أمره بالتوجه ناحية بيت المقدس، والآيات تدلّ على أنّ الله تعالى حقّق لنبيه عليه السلام بعد زمن، ما كان يريد ويحب في أن تكون قبلته وقبلة المسلمين البيت الحرام، فما معنى هذا؟.

معنى هذا أنّه يجوز للمسلم أن تكون له تطلّعات إلى أشياء معيّنة ما دام فيها رضا الله وأن الله تعالى قد يحقق هذه التطلعات يوما ما.

ومعنى آخر أنّ الله تعالى يلهم عباده الصالحين بأن يرغبوا في شيء هو من الخير، ثم يحققه لهم، فالنبي عليه السلام نفسه ترغب في الصلاة إلى المسجد الحرام، وكأنّ الله تعالى جعل هذا في نفسه، ثم حقّق له ذلك، وهذا لا يتنافى مع كون الله تعالى هو المشرع أوّلا وأخرا، وهو يأمر وينهى لتتحقّق الحكمة التي أرادها لا لتحقيق رغبات العباد.

-معنى آخر هو أن يتعلّم المسلم الصبر والثقة بالله تعالى، وما يرجو من الله تعالى من خير أن يحقّقه له آت لا محالة.﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾.

فهذه المعاني لها أهداف تربوية، بناء الفكر الصحيح، وتزكية النفس، وضبط السلوك. فأمّة الإسلام أمّة جادّة هادفة، لها وجهة واضحة مميّزة " شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ".

[1] - صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، عالم الكتب، بيروت، لبنان ، ج5، ص 49.

4-قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

المجاز في قوله تعالى:﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾، فالمعنى ( أشرفهن وقاربن على انتهاء عدتهن لأنها لو انتهت العدة، فقد بانت منه، ولم يجز له إمساكها، والآية تقول:﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ أي طالما هي في العدة)[2].

أطلق هنا بلوغ الأجل وأريد القرب والمشارفة، والعلاقة اعتبار ما يؤول الأمر إليه، أي عند انتهاء العدة لا يجوز إمساكها. قال ابن مسعود: كان الرجل إذا طلق امرأته فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها لئلا تذهب إلى غيره ثم يطلقها فتعتدّ، فإذا شارفت على انقضاء العدة طلق لتطول عليها العدة، فنهاهم الله عن ذلك، وتوعّد عليه فقال:﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[3].

وإذا كان" فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ " معناه: أشرفن على أن تبين بانقضاء العدة ولم يرد حقيقة انقضاء العدة،لأنّ العدة إذا انقضت لم يكن للزوج إمساكها، فالبلوغ هنا مقاربة[4]. فما الأبعاد التربوية التي أريد تحقيقها من خلال المجاز المرسل " فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ "؟

من الأبعاد التربوية التي يمكن استخلاصها:

---

[1] – البقرة 231.

[2] – الإبداع البياني في القرآن العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني، ص 40.

[3] – منهج القرآن في إصلاح المجتمع: د، محمد السيد يوسف، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1424هـ/ 2004م، ص 362.

[4] – تفسير البغوي: الإمام البغوي، ج1، ص 209.

-توجيه المسلم إلى حساب زمن العدة لحظة لحظة، لأنّ الأمر عظيم وخطير، يتعلّق بتفكيك أسرة وربّما ضياع أولاد إن وجدوا.. لأنّه إذا عدّ أوقات العدة عرف هل العدة انتهت أم لا؟، فللعدة وقت فإذا انقضى طلقت الزوجة وبانت.

-أن يفكّر المسلم بجد ويناقش المسألة بدقّة لأنها مسألة طلاق، وليبدأ التفكير منذ اللحظات الأولى من الطلاق، لأنّه مع اقتراب انتهاء العدة، قد لا تسمح له الفرصة ليفكر ويقدّر، ولعلّ في التفكير والتقدير ما يجعله يتراجع فيكون الخير، فإذا ترك ذلك لآخر اللحظات لا تسنح له الفرصة فتنقضي العدة ويكون الطلاق. وفي هذا تعليم للمسلم أن يفكر مليّا وفي متّسع من الوقت في أيّ أمر يقدم عليه،ولا يترك أمره لآخر لحظة.

-حسب ما ذكر ابن مسعود من أنّ الرجل يطلّق، ومع اقتراب انتهاء العدة يراجع ثمّ يطلّق، فإنّ الله تعالى أنزل القرآن ليرفع الظلم عن الناس، فأمر الرجل بأن يكون جادّا إما يطلق أبدا وإمّا يمسك بإحسان.﴿ **وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا** ﴾، فإذا كان الرجل يريد الإمساك حقيقة فلم يتركها إلى آخر لحظة للعدّة ثم يراجع ثم يطلق وهكذا ليضرّ المرأة، ولقد جيء بصيغة الأمر ﴿ **فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ** ﴾ لتدلّ على أنّ هذه عبادة واجبة على المسلم فللمرأة حقوق، فإمّا أن يمسك ويحسن وإمّا أن يطلّق.

وهكذا ( نلمس العلاج القرآني الحكيم لأمر الطلاق بما يخفف قدر الإمكان من أضراره، وبما يحفظ للأسرة كرامتها وحقوقها)[1].

وقد استعمل اسم الإشارة" ذلك" وهو يعود على التطليق ثمّ المراجعة ثمّ التطليق وهكذا قصد الإضرار بالمرأة، و" ذلك" يستعمل للبعيد، وفي هذا إشارة إلى أنّ هذا السلوك من الرجل يعتبر جرما كبيرا وظلما عظيما، أي بمعنى أنّه أبعد في الظلم" **وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ** ".

[1] - منهج القرآني الكريم في إصلاح المجتمع: د، محمد السيد يوسف، ص 362.

- في قوله تعالى:﴿ **فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ** ﴾ نصح وإرشاد من جهة، وتخويف من جهة أخرى.. نصح لأنّ الله تعالى يريد للمسلم خيرا، فهو يذّكره وينصحه أنّه إذا ألحق ضررا بزوجته في مسألة الطلاق، فسيجلب لنفسه الضرر والعقوبة من الله تعالى، لأنّ الله عدل لا يقبل الظلم، وهو ينصر المظلوم،وخاصّة إذا كان الظلم باسم الشرع، فالعدّة وضعها الله تعالى لتحقيق مصالح الزوجين، لا يتلاعب بها الرجل ويظلم بها "**وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا**"، والمسلم العاقل يقبل النصح من ربه ولا يلحق ضررا بزوجته.

وفيه أيضا تخويف وتهديد، فمن طلّق وراجع ثم قرّر ذلك لإرادة الإضرار بالزوجة، فالله ينتقم منه" **فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ**" وانظر هنا للتعبير" **نَفْسَهُۥ**"، فالظاهر أنّ الضرر يلحق الزوجة، ولكنّ الخاتمة والعاقبة ستكون في مضرّة الزوج لا في مصلحته، وأنّ الله سيجعل مخرجا لزوجته أمّا هو فيعاقب .

والحقيقة أنّ هذه قاعدة عامّة، فظلم الظالم سيعود عليه بالضرر، وأنّ الله سينتصر للمظلوم، وهذه القاعدة كالقانون، وإذا كانت سلامة الجسد لها قواعدها وقوانينها، والعكس أيضا مرض الجسد يكون وفق شروط وقواعد معيّنة، فكذلك حياة الفرد والمجتمع، فمن ظلم عوقب وهلك ولو آجلا، ومن عدل أمن. يقول جودت سعيد: إنّ ضعف القلب، يجعل الجسم عاجزا عن مواجهة أي عمل يتطلب جهدا، كذلك الضعف الذي يصيب مراكز الفكر في المجتمع، يجعله لا يقوى على مواجهة أيّة مشكلة تتطلّب بسطة في العلم و الجسم...إنّ معنى القانون الذي يمكن إدراكه في مستوى سلامة الجسد، يجب أن ينتقل إلى مستوى سلامة المجتمع[1].

فقوله تعالى:﴿ **وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ** ﴾، من يرد إلحاق الضرر بزوجته فيظلمها، سيعود الضرر عاجلا أو آجلا عليه، وهذه سنّة الله في الأنفس وفي العلاقات الاجتماعية.

[1] - حتى يغيروا ما بأنفسهم: جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ / 1993م ، ص 38.

إنّ الله تعالى وهو ربّ الناس، شرع العدّة لحكمة، حتّ يتصالحا وإلاّ يتفرّقا، وهذا من نعم الله تعالى وفضله، فلا تتحوّل النعمة إلى نقمة.

وإذا نظرنا إلى مقدّمة الآية حيث يوجد مجاز مرسل﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ ونهايتها حيث يقول تعالى:﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، علمنا أنّ في هذا دعوة إلى تصحيح الظاهر وتطهير الباطن، فالطلاق له شروطه وأحكامه وآدابه وغاياته، فعلى المسلم أن يلتزم بذلك تنفيذا لأمر الله تعالى، لا لتحقيق رغبة في نفسه، وانتقاما من زوجته، فإن كرهها و لم يقدر على العيش معها، فليطلقها ولا يمسكها ضرارا، وإن كانت في نفسه غيرة كما ذكر ذلك ابن مسعود، حيث يطلّق الرجل ثم يراجع ثم يكرّر ذلك، فلا هي زوجة، ولا هي مطلّقة، وذلك حتى لا تذهب إلى غيره، فهذه الغيرة لا يمكن أن تكون سببا لإلحاق الضرر بالزوجة.

5 – قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

المجاز في قوله تعالى:﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾، فالمعنى (لا تمنعوهن من العودة إلى أزواجهن، إذا صلحت الأحوال بين الزوجين، والآية فيها مجاز مرسل والعلاقة هي اعتبار ما كان أي فلا تمنعوها أن ترجع إلى زوجها المطلق الذي كان زوجا لها، أضاف الزوجات إلى الرجال" أَزْوَٰجَهُنَّ " لاعتبار أنهن كنّ زوجات لهم قبل الطلاق، ففي الآية مجاز باعتبار ما كان)[2].

[1] – البقرة 232.

[2] - الإبداع البياني في القرآن العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني، ص41.

روى البخاري في سبب نزول الآية، أنّ معقل بن يسار كانت أخته تحت أبي البداخ فطلقها وتركها حتى انقضت العدة، ثم ندم فخطبها فرضيت، وأبى أخوها أن يزوجها وقال:وجهي من وجهك حرام إن تزوجته فنزلت الآية [1].

قبل الحديث عن أبعاد المجاز المرسل التربوية في هذه الآية، أشرح وأبيّن معنى بعض المفردات، لأن الكلمة في القرآن ( تكون بليغة دائما لأنّ منزل القرآن وهو الله تعالى يضع الكلمات في مواضعها) [2].

فالكلمة في القرآن كائن حيّ كامل، وليس العبارة فقط. من هذه الكلمات: "**تَعْضُلُوهُنَّ** " جاء في( أساس البلاغة):(أعضل الأمر : اشتد، و عضلت على فلان، ضيقت عليه أمره وحلت بينه وبين ما يريد(﴿ **فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ** ﴾). [3]

أعود إلى استخلاص أهم الأهداف والأبعاد التربوية من الآية حيث ورد المجاز المرسل ﴿**فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ** ﴾

-كلمة "**أَزْوَاجَهُنَّ** " حيث ورد المجاز المرسل بعلاقة اعتبار ما كان قبل الطلاق، تشير إلى معنى صعوبة نسيان العلاقة بين الزوجين بعد الطلاق، قد تكون ثمة أسباب من وراء هذا الطلاق، ولكن العلاقة الزوجية التي حصلت بين الزوجين لزمن ربما طال، وقد كان فيها الحلو والمر.. الفرح والحزن.. يصعب نسيانها بسهولة. وقد يذكر أحدهما الأخر بعد حين من الطلاق، فينظر إلى حسنات الأخر، وإلى تضحياته التي قدمها معه طوال فترة الزواج، فيندم على أنّه أقدم على الطلاق أو قبوله، فيندم ويتراجع، ويعمل على إعادة هذه العلاقة كما كانت

[1] - الجامع لأحكام القرآن: الإمام القرطبي، دار الباز عباس أحمد الباز، مكة المكرمة،ج3، ص158.

[2] - المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي، ص107.

[3] - أساس البلاغة: الزمخشري، ص 424.

وأحسن، فإذا حدث هذا، فلا يجوز لأحد أيّا كان أن يعيق هذه المراجعة وهذه العودة﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾.

-كما جاء في ( أساس البلاغة):تعضلوهن: العضل هو أن تحول بين المرء وبين ما يريد فالمرأة إذا أرادت أن تعود واختارت ذلك بمحض إرادتها، فلا يجوز لقريب ولو كان أبوها أو أخوها أن يمنعها.وفي هذا إشارة إلى هذه الرجعة إلى الزوج مرة أخرى محمودة إذا كانت فيها اختيار وإرادة، لا بدفع من أحد، لأنّ وجود الإرادة في بناء العلاقة من جديد من شأنه أن يديم العلاقة، ولا يقع الطلاق من جديد.

- قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾، اسم الإشارة" ذَٰلِكُمْ " يعود على عدم منع الزوجة المطلّقة إلى زوجها ما دامت راضية بذلك، وما دام زوجها راغب في ذلك..هذا السلوك من أعظم ما يؤدّي إلى تزكية النفوس وتطهير القلوب، لأنّ منع الزوجة حتى لا تعود لزوجها ينتج عنه شرور منها العداوة والبغضاء التي تقع مابين الزوج وأهل الزوجة الذين رفضوا رجعتها، زد على ذلك الحزن الذي يستولي على قلب المرأة بسبب منعها من الرجوع إلى زوجها، وفي هذا ترغيب للمسلم في أن يكون سببا في عودة الزوجة إلى زوجها لا أن يمنعها.

و ختم الآية بقوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فيه بيان أنّ المصلحة الخاصة التي تعود للزوجة والزوج، وكذا المصلحة العامة التي تعود للمجتمع ككل، إنما هي في عدم منع الزوجة من الرجوع إلى زوجها لا في منعها، فالمنع أحيانا يكون من الولي أو القريب بداعي تحقيق مصلحة المرأة لأنّ زوجها ظلمها وطلّقها فكيف تعود إليه ؟ فبيّن الله تعالى أنّ المصلحة في عدم منعها.

-وبالنظر إلى سبب نزول الآية كما روى البخاري عن ابن مسعود أنّ معقل بن يسار هدّد أخته بالمقاطعة إن هي عادت إلى زوجها فأنزل الله الآية، مما يدلّ على حرمة مقاطعة الزوجة المطلقة، إذا أرادت العودة إلى زوجها.

## المبحث الثاني: الأبعاد الاعتقادية للاستعارة(بناء العقيدة وتصحيح التصور):

إذا كنا قد رأينا في ( التشبيه كيف تتحقق صفة من الصفات في شيء ما بصورة قوية فإنّا نرى في الاستعارة خطوة أبعد في التخيل، الذي يعبر عن تأثرنا بمظاهر الحياة و الأحياء تعبيرا حافلا بمختلف المشاعر والأحاسيس، وما ذلك إلا لأنها من ذلك النوع الموحي الذي يجعل القارئ أو السامع يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، وتصور المناظر للعين، وتنقل الصوت للأذن وتجعل الأمر المعنوي ملموسا محسا) [1].

أحصيت في سورة البقرة ما يقارب الثلاثين استعارة ، وفي هذا المبحث أتناول الأبعاد الاعتقادية:

### 1- عدل الله و حكمته:

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾ [2].

[1] – الصورة الأدبية في القران الكريم: د ، صلاح الدين عبد التواب، ص 59.

[2] – البقرة ( 07/06).

[3] – الإبداع البياني في القران العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني ،ص 29.

وردت الاستعارة في قوله تعالى:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾.

فالكفار كأنّهم ( قطيع من البهائم، لا تفقه قلوبهم.. قد طبع عليها فلا يدخل إليها إيمان وكأنهم صم لا يسمعون، وعمي لا يبصرون. والختم: الطبع والتغطية على الشيء حتى لا يدخله نور. و الغشاوة: الغطاء ولما كانت القلوب غير واعية، والأسماع غير مستفيدة من الكلام الذي تسمعه من الخير. جعلت بمنزلة الأشياء المختوم عليها ختما حسيا بطريق الاستعارة التمثيلية) [3].

جاء في( التحرير و التنوير): ومعنى الغشاوة الغطاء وليس الختم على القلوب والأسماع ولا الغشاوة على الأبصار هنا حقيقة بل جار على طريقة المجاز بان جعل قلوبهم أي عقولهم في عدم نفوذ الإيمان والحق والإرشاد إليها وجعل أسماعها في استكاكها عن سماع الآيات والنذر،وجعل أعينهم في عدم الانتفاع بما ترى من المعجزات والدلائل الكونية، كأنها مختوم عليها ومغشي دونها على طريقة الاستعارة بتشبيه عدم حصول النفع المقصود منها بالختم و الغشاوة ثم إطلاق لفظ ختم على وجه التبعية و لفظ الغشاوة على وجه الأصلية و كلتاهما استعارة تحقيقية إلا أن المشبه محقق عقلا لا حسا[1].

فالكفار عطّلوا عقولهم، فلم تتدبّر آيات الله الكونية، الدالة على وجود الله وقدرته وحكمته، وعطّلوا أسماعهم عن التدبر في آيات الله السمعية، آيات القرآن التي تنطق بالحق، ولو أنصتوا لعقلوا ولآمنوا، وعطّلوا أعينهم عن رؤية مظاهر الحق التي تتجلّى يوميا في حياة المرسل إليهم محمّد عليه السلام.. إنّ أخباره كلّها صادقة، ومعاركه كلّها فيها انتصار، وأتباعه يكثرون، وأعداءه يهزمون. فلما فعلوا ذلك، كانوا مثل الأشياء التي لها غطاء، فأقفلت فلم تعد قابلة للفتح، فتعطّل نفعها. والحقيقة هو أنّ كفرهم بالله وبآياته ورسوله هو الذي جعلهم لا

[1]- التحرير و التنوير: ابن عاشور،ج1 ، ص 254.

ينتفعون بالآيات، لأنّ وسائل الانتفاع عطّلت من عقل وسمع و بصر، والسؤال هو من عطّل هذه الوسائل فلم تعد تنفع؟.

حسب ظاهر الآية ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ فالله هو الذي فعل ذلك وهذه مشيئته وهذا قضاؤه. هل هذا صحيح؟ في اعتقادي لا. بل هم تسبّبوا في تعطيل هذه الوسائل عن القيام بما خلقت له من معرفة الحق و اتّباعه، ذلك بأنهم كفروا تكبّرا و عنادا، فما النتيجة؟ النتيجة الحتمية هو تعطيل الانتفاع بها أي الختم وجعل الغشاوة عن رؤية الحق، فالختم إذن نتيجة لكفرهم وعنادهم وتكبّرهم.

فالله إذن عدل وحكيم، لقد خلق النار وجعلها سببا للحرق، فإذا وضع مسلم يده في النار فاحترقت فمن الملام؟ إنّه المسلم الذي وضع يده في النار . وخلق الله الماء للري فإذا عطش الإنسان وهلك من شدّة العطش مع وجود الماء، لأنّ الماء قدم له من طرف شخص لا يريده ولا يحبّه، فمن الملام؟

إنّ من أبعاد الاستعارة هنا أنها توضح وبجلاء أنّ الختم على القلوب والأسماع والتغطية على الأبصار، هو نتيجة لكفر الإنسان، عنادا و تكبّرا، أي عدم دخول الإيمان إلى القلوب، والاستمرار في الكفر سببه الإنسان وليس الله تعالى. ولذلك فالله عدل وحكيم، فقد جعل الأسباب وجعل للأسباب نتائج، فمن نتائج الكفر عنادا وتكبّرا، أن يضلّ الإنسان ولا يهتدي، وعليه يعاقب ويحاسب لأنّ الله لا يظلم.

ويؤكد سيد قطب هذا المعنى فيقول:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ ختم عليها فلا يصل إليها حقيقة من الهدى.﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾فلا نور يوصل لها . وقد طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وغشي على أبصارهم جزاء وفاقا على استهتارهم بالأقدار، حتى تساوي

لديهم الإنذار وعدم الإنذار. إنها صورة جلية مظلمة، جامدة ترتسم، من خلال الحركة الثانية الجازمة، حركة الختم على القلوب والأسماع، والغشية على العيون والأبصار[1].

فما ظلمهم الله حين ختم على قلوبهم و على أسماعهم و لكن أنفسهم يظلمون.

## 2- توظيف العقل و السمع و البصر لمعرفة الحق:

قال الله تعالى:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ [2].

استخلصت من الاستعارة من قبل أنّ الله عدل وحكيم، فهو حين ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل الغشاوة على أبصارهم، ثم عاقبهم بعد ذلك لم يظلمهم، بل كان جزاء كفرهم وعنادهم.و ثمة معنى آخر يستخلص من نفس الاستعارة، وهو أنّه من الضروري بل من الواجب، استغلال العقل والسمع والبصر في معرفة الحق، والوصول إلى الإيمان الصحيح الذي بيّنه الله في كتابه، ثم السير على طريق الهدى الذي رسم معالمه الله تعالى . فلا قيمة للعقل إن لم يعرف به الخالق للكون و للإنسان، ولا فائدة من السمع إن لم تصغ لبيان ونصح من أرسله الله تعالى لهدايتنا، ولا معنى للبصر إن لم تتوصّل به عن طريق الدلائل الكونية إلى مشاهدة الحق تعالى،وقد تجلّى بأفعاله وصفاته في كل جزئية من جزئيات الكون.

نعم لقد استغل العقل لدى الكثير من الناس، فكان الاختراع، وكانت المدنيّة، واستغل السمع وكذا البصر، لتحقيق ملذّات عاجلة، وأهداف دنيوية ..فما كانت النتيجة؟ الأزمات المختلفة في كل مكان، والفتن تحيط بالإنسان، وأكثر الناس تراهم في تيهان.

فمن الواجب إذن على المصلحين و الدعاة و العلماء خاصّة، وعلى كل مسلم بصفة عامة أن يعملوا جميعا، على إعادة النظر في توظيف هذه الوسائل ( العقل، السمع والبصر)،لتحقيق نهضة تجمع كل خير وقد بنيت على قاعدة الإيمان لا الكفر.

---

[1]- في ظلال القران : سيد قطب، م1 ، ص 36 .

[2]- البقرة 07 .

إنّ المسلمين اليوم يعيشون انحطاطا وتخلّفا، والسر كما تبيّن الاستعارة﴿ **خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ** .. ﴾ هو عدم توظيف وسائل الهداية الكاملة توظيفا حسنا كافيا مستمرا، التدبر لآيات الله القرآنية عن طريق العقل.

في سورة البقرة حديث عن احتيال بني إسرائيل، و تنبيه إلى العقوبة بالمسخ، أليس الغش والاحتيال بين المسلمين منتشرا؟!

والله في نفس السورة ذكر قصة آدم الذي علّمه الله الأسماء كلّها وأسجد له الملائكة نتيجة لذلك، فكيف حال العلوم عندنا؟ وهل كسبنا احترام الآخرين لنا؟!

والله ذكر قصّة بني إسرائيل حين أمروا أن يدخلوا الأرض المقدّسة فلسطين، ويقاتلوا المفسدين فيها، وقد وعدهم بالنصر، لكنّهم جبنوا ورفضوا، فعوقبوا بالتيه أربعين سنة.واليوم أراضي المسلمين استباحها العدو الكافر فأين جهاد المسلمين ؟ أين جرأتهم ؟

جاء في (الكشاف): فإن قلت ما معنى الختم على القلوب و الأسماع و تغشية الأبصار ؟ قلت: لا ختم ولا تغشية ثمّة على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا النوعين وهما الاستعارة والتمثيل. أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده. وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنها غطي عليها وحجبت وحيل بينها و بين الإدراك[1].

[1] – الكشاف: الزمخشري، ح1، ص29.

وخلاصة ما ذهب إليه صاحب (الكشاف) أنّ الختم و التغشية إنما هو بسبب الكفر والعناد والاستكبار عن الحق، وأنّه لم يستفد من هذه الوسائل من عقل وبصر وسمع في معرفة الحق و اتّباعه، فكان كمن عطّلها .

إنّ لكلّ جزئية من جزئيات الجسم وظيفة، بل لكل جزئية من جزئيات الكون وظيفة، ووظيفة العقل والسمع والبصر معرفة الخالق .. قدرته وحكمته.. فالله خلق الخلق بقدرته، وبيّن لهم ما خلقوا من أجله عن طريق كتبه و رسله بحكمته، فمن سلك طريقا أخر بهذه الوسائل من عقل وسمع وبصر، وانحرف بها عن وظيفتها، فقد ضلّ و جنى على نفسه وتسبّب في العقوبة التي تترتّب على ذلك .

## 3- الله يراقب و يحاسب:

قال الله تعالى:﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ** ﴾.[1]

في قوله تعالى:﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾ لفظة "**مَّرَضٌ** " هنا مستعارة للنفاق، إذ أنّ فئة من الناس أبطنت الكفر بالله و آياته ورسوله وأظهرت الإسلام، وهي فئة المنافقين، وهي فئة خطيرة على جسم الأمة، كخطر المرض على جسم الإنسان إذا أصيب عضو منه، خاصّة إذا كان العضو المريض القلب، فلا شكّ أنّ الضرر سيلحق بكل الأعضاء، فكذلك النفاق إذا وجد في أمة وأصيب به بعض الناس لحق الضرر بكامل المجتمع.

جاء في( محاسن التأويل): استعير هنا لعدم صحة يقينهم، وضعف دينهم، أو استعير لشكهم لان الشك تردد بين أمرين، والمنافق متردد..والمريض متردد بين الحياة والموت. ﴿ **فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا** ﴾ بأن طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بأنه لا يؤثر فيها التذكير والإنذار[1].

[1] البقرة 10.

فالله تعالى إذن يراقب حركات الإنسان، يراقب وساوس النفس، يراقب عن قرب ما بداخل الإنسان، مطّلع على ما في قلوب المنافقين من نفاق، فأخبر بذلك، وأخبر بأنّه يعاقب على هذا النفاق.يقول الشيخ متولي الشعراوي: « **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** » شبه الله ما في قلوب المنافقين بأنه مرض والمرض أولا يورث السقم، فكانت قلوبهم لا تملك الصحة الإيمانية التي تحي القلب فتجعله قويا شابا ولكنها قلوب مريضة، لماذا كانت مريضة ؟ لقد أتعبها النفاق وأتعبها التنافر مع كل ما حولها، فاضطراب القلب جعله مريضا، والعلاج هو الإيمان الحقيقي الصادق[2].

إذن فقد استعير لفظ (مرض) للنفاق الذي أصاب بعض النفوس، هذا النفاق يهلك المجتمع بعد هلاك صاحبه، ومضر للمجتمع بعد إضرار صاحبه، والله تعالى مطّلع على نفاق المنافق، عالم بالأسرار والخفايا، وهو يحاسب على ما ظهر وما بطن.. فهو يراقب ويحاسب.

## 4- نقض العهد مع الله طريق الخسران:

قال الله تعالى:﴿ **ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ** ﴾[3]

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ **يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ** ﴾ والنقض يكون للحبل، بفسخه واستعمل هنا فيمن علم حكم الله تعالى و أيقن به، ثم تولّى وأعرض، وهذا من صفات اليهود،فهم يطلبون الآيات، حتّى إذا جاءتهم انقلبوا. وهم كانوا يعاهدون الله لئن أتاهم بأمر

---

[1]- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، م1 ،ج1، ص 39.

[2]- خواطر حول القران الكريم: الشيخ محمد متولي الشعراوي، ص 151.

[3]- البقرة 27.

طلبوه سيؤمنون، ثم ينقضون العهد. ويصّدق هذا قوله تعالى:﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[1].

جاء في(أساس البلاغة):نقض البناء والحبل.. ومن المجاز: نقض العهد[2]. فلفظة"**يَنقُضُونَ**" من قبيل الاستعارة. وإذا كان نقض الحبل بمعنى فسخه من بعد عقده، فكان اليهود بعد إلزام أنفسهم بطاعة الله والإيمان برسله وكتبه وآياته، يتحلّلون من هذا الالتزام ، و يحلّون الرابطة التي بينهم وبين ربهم ظلما و عدوانا.

جاء في(الكشاف):النقض الفسخ وفكّ التركيب. فان قلت: من أين صاغ استعمال النقض في إبطال العهد؟ قلت: من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه ثبات الوصلة بين المتعاهدين. ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله إنّ بيننا و بين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى أن الله عز وجل إن أعزك وأظهرك ترجع إلى قومك. وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روافده فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ، والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا[3].

إذن من الناس يهودا أو غيرهم من يعاهد الله تعالى على طاعته و التزام شريعته ثم يتولّى، وهذا من فساد السريرة وقلّة البصيرة وخبث النفس وضعف اليقين، إذ العهد وإلزام النفس بفعل شيء مع الله تعالى أمر عظيم، فمن نكث ونقض العهد فقد ظلم، وعليه يستحق العقوبة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾.وإنها لخسارة عظيمة في الدنيا بالتّيه والضلال، وفي الآخرة بالنار و بئس القرار.

---

[1]- البقرة 100.

[2] – أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ص 651.

[3]- الكشاف: ج1، ص 59.

وبالرجوع إلى ما جاء في( أساس البلاغة):نقض:تصلح لنقض البناء و الحبل.فثمة فائدة كبيرة تستخلص:وهي أنّ من نكث العهد مع الله تعالى، بحيث عرف دينه وألزم نفسه بالطاعة تم تولّ إرضاءا لنفسه،فيكون كمن بنى بناء ليسكن فيه ويستفيد منه ثم يهدمه أو يهدم عليه، ألا يكون خاسرا؟!

إنّ من إبعاد الاستعارة ههنا بيان أنّ الوفاء بالعهد مع الله تعالى من أجلّ العبادات وأعظم الطاعات وأحسن الأخلاق، وأنّ النكث للعهد من أخطر المعاصي وأسوء الأخلاق و التي بموجبها يستحق الخسارة دنيا وآخرة. ومما يلاحظ في الآية:﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾. أنّ الله تعالى بدأ الحديث عن نقض العهد معه – بمعنى عدم الوفاء مع الله تعالى– ثم ذكر قطع من تجب صلتة باسم القرابة أو باسم الأخوّة الإيمانية، ثم ذكر الإفساد في الأرض وهذا يدلّ على أن أفضع المعاصي عدم الوفاء بالعهد مع الله تعالى، كذلك دلالة على أنّ مع نقض عهد الله وفسخ ما يربطه بالله تعالى من طاعات والتزامات، لاشك أنّه سيقطع الصلة بينه وبين أرحامه ويقطع الصلة بينه وبين المؤمنين وسيبدلها بالعداوة، وسيفسد في الأرض لا محالة لأنّه بلا قيد ولا ضابط يضبط سلوكه.

وملاحظة أخرى، إذا نظرنا إلى واقع المسلمين اليوم، وقد تحرّروا من كثير من القيود والضوابط التي ترشد سلوكهم، سواء كانوا حاكمين أو محكومين، الجماعات والطوائف..رأيناه واقعا مرّا(العداوة والبغضاء...)، والعجيب أنّ كل مسلم يعاهد الله ويبايعه خمس مرات في اليوم في الصلوات المفروضة، وكلّ صلاة لها ركعات. وذلك في قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ أي نعاهدك على أن نعبدك وحدك، ونسير على نهج عبادك الصالحين ممّن أنعمت عليهم. لكن أين السلوك من هذا العهد؟ وهل ما وقع للمسلمين من ذل وتخلف و شتات و ضياع إلا بما كسبت أيديهم؟.

## 5- آيات الله معالم للهدى لا مغانم للردى:

قال الله تعالى:﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾[1].

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾. فالشراء ( هنا ليس على الحقيقة و إنما هو بطريق ( الاستعارة) لأن البيع والشراء إنما يكون في الأمور المادية الحسية، لا المعنوية)[2].

إنّ الخطاب وإن كان موجّها إلى اليهود خاصّة، فهو يشمل جميع الذين يتعاملون مع آيات الله بنفس الطريقة، حيث عوض اتّباع الهدى والرشاد بالتزام الطاعات وترك المعاصي والمخالفات، ولو على حساب حظّ النفس من الدنيا، فيكون السلوك علنياّ، بترك سبيل الهدى ومخالفة الأوامر، مقابل لذات فانية وشهوات عاجلة، وهذا دليل انطماس البصيرة، كقبول مسؤولية دنيوية في منصب ما على حساب مبدأ قرآني، أو السكوت عن منكر عظيم مع القدرة على تغييره للحفاظ على نصيب من المال أو الجاه، أو لنيل رضا شخص على حساب ما أنزل الله تعالى من الحق.يقول سيد قطب:« وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا »: الثمن والمال والكسب الدنيوي المادي.. كله شنئنة اليهود من قديم! وقد يكون المقصود بالنهي هنا هو ما يكسبه رؤساؤهم من ثمن الخدمات الدينية والفتاوى المكذوبة، وتحريف الأحكام حتى لا تقع العقوبة على الأغنياء منهم والكبراء، كما ورد في مواضع أخرى، واستبقاء هذا كله في أيديهم بصد شعبهم كله عن الدخول في الإسلام، حيث تفلت منهم القيادة والرياسة. على أن الدنيا كلها كما قال بعض الصحابة

[1] – البقرة 41.

[2] – الإبداع البياني في القران العظيم: محمد علي الصابوني، ص 30.

والتابعين رضوان الله عليهم في تفسير هذه الآية ثمن قليل، حين تقاس إلى الإيمان بآيات الله، و إلى عاقبة الإيمان في الآخرة عند الله[1].

وقد استعمل الفعل مضارعا" **تَشْتَرُواْ** " للدلالة على الحاضر والمستقبل فهو يخاطب اليهود زمن نزول الوحي، وفي الأزمنة التي تليها إلى يوم القيامة، كما يفهم أنّ الخطاب موجّه أيضا للمسلمين في كل زمان أن يتّبعوا اليهود، فيبيعوا دينهم ليحصلوا على حظ من الدنيا قليل« **ثَمَنًا قَلِيلًا** » مهما كان منصبا أو جاها، فكل ذلك هيّن وبسيط وقليل مقابل الجنة .

إنّ من أبعاد الاستعارة هنا البيان للمسلم أن لا يتنازل عن شيء من الإسلام ليحصل على حظّ دنيوي قليل، كما فعل بنو إسرائيل فسلّط الله عليهم أنواع العقوبات.

ومن المظاهر التي نلمحها اليوم والتي تكون قريبة من بيع الدين مقابل الدنيا، أو تنازل عن المبادئ الإسلامية لأجل حظوظ دنيوية عاجلة.. بعض المتاجرين بالقرآن فيما يسمىّ بالرقية الشرعية، نعم بعضها صواب ومطلوب، ولكنّ أكثر المتعاملين بالرقية اليوم يستعملونها لجمع المال.. نعم يقرأ في زجاجة ماء ليحصل على (100 أو 200دج )، أو يقرأ على مريض بعض السور والأدعية ليحصل على مئات الآلاف وإن لم تقدّم لهم الأموال غضبوا و لم يعالجوا.. وبعضهم يشترط كذا من المال ليصلي بالناس التراويح في رمضان وإلا فلن يقرأ لهم.. وآخرون يستغلّون فرصة موت الشخص ليذهبوا إلى بيت ذويه و يتلو القرآن ليحصلوا على مال مع تحديد مقداره.

وبعض أبناء الصحوة الإسلامية الذين كانوا يحلمون بدولة الإسلام، وبالخلافة الإسلامية، حصلوا على بعض المغانم المالية والمناصب السياسية، فتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واعتزلوا الدعوة كلّيا.. أليس هذا ما تعنيه الآية؟وما تدلّ عليه الاستعارة؟.

## 6- مآل العصيان غضب من الله و خسران :

[1]– في ظلال القران: سيد قطب ، م1 ، ص 61.

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[1].

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾.إذ(شبهت الذلة والمسكنة في الإحاطة بهم واللزوم بالبيت أو القبة يضربها الساكن ليلزمها وذكر الضرب تخييل لأنه ليس له تشبيه في علائق المشبه)[2].

وهي استعارة مكنية إذ حذف المشبه به( البيت أو القبة) وجيء بما يدلّ عليه (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ) والذلة ( الصغار وهي بكسر الذال لا غير ضد العزة،والمسكنة الفقر من السكون لأن الفقر يقلل من حركة صاحبه، و تطلق على الضعف و منه المسكين للفقير )[3].

لماذا ضربت عليهم الذلة و المسكنة ؟﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾.

إنها المخالفة لأمر الله عمدا أي كفرا أو عصيانا، هذه المخالفة عاقبتها غضب من الله تعالى وخسران دائم مستمر.. خسران يتمثّل في الذلة والمسكنة..

---

[1] – البقرة 61.

[2] – التحرير و التنوير: ج1 ، ص 527 .

[3] – المصدر نفسه :ج1 ،ص 528.

والاستعارة الواردة في:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ تدل على تمكّن العقوبة منهم واستمرارها، إنهم يعيشون الضعف والتيه والضياع، ما داموا متلبّسين بالمعصية والاعتداء. وهذا من سنن الله أنّه من عصى واعتدى لا بدّ أن يذلّ ويضعف ويفتقر ولا يهنأ بحياة.﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ... ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾.

واليهود خلال أزمنة متعاقبة عاشوا الذلة والتيه والشتات والضياع. وفي زمن الرسول عليه السلام بعدوانهم كتب الله عليهم الجلاء فأخرجوا من المدينة و تفرّقوا و تاهوا...واليهود ليسوا على أحسن ما يرام، وإن كانت لهم دولة بنوها على أرض اغتصبوها " فلسطين " وهم يعيشون الخوف في كل لحظة، ويبنون الجدران، إنهم في حيرة من أمرهم.

نعم إنّ المسلمين ليسوا أحسن حالا منهم لماذا ؟ لأنهم كذلك عصوا الله تعالى فاستباحوا الخمر والرشوة والقمار.. وانتشر بينهم الظلم، فكانت الذلة والمسكنة كذلك للمسلمين ولمدة قرون.. ذلك أنّ قانون الله تعالى يسري على الجميع فمآل العصيان غضب من الله و خسران.

## 7- الخطايا إلى النار مطايا :

قال الله تعالى:﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[1].

أذكر أوّلا سبب نزول الآية، ثمّ أبيّن الاستعارة وأهمّ أبعادها. أخرج لطبراني في الكبير وابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة، ويهود تقول: إنما مدة الدنيا سبع ألاف سنة، وإنما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا في النار من أيام الآخرة، فإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب فأنزل الله في ذلك:

[1]- البقرة 81.

﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1] .

إذن فهذا اعتقاد اليهود، مهما فعلوا فإنما هي أيام معدودة في النار، ثمّ خروج و لم لا جنّة من بعد. يأتي البيان الإلهي ليوضّح أنّه من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته فهو خالد في النار.

وقد استعمل هنا الأسلوب الاستعاري في قوله تعالى:﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ ففي الآية استعارة تصريحية، شبّه الجرائم والذنوب التي ارتكبوها بجيش من الأعداء، نزل على قوم من كل جانب، فأحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم، واستعار لفظ" **وَأَحَٰطَتْ** " لغلبة الذنوب والسيئات، فكأنها أحاطت بهم من جميع الجهات بطريق الاستعارة التصريحية [2].

إنّ كثرة الخطايا والاستمرار فيها حتى تصبح عادة الإنسان، فلا يتمكّن منها فرارا، كما لم يتمكّن من أحاط به العدو من كل جهة من الفرار والهروب فاستسلم، تؤدّي إلى الخلود في النار.

ولفظة الخطايا تختلف عن الأخطاء، فالإنسان قد يخطىء ثم يتوب، وكأنّ المعنى في الأخطاء عدم القصد ولا العزم ولا الاستمرار، أما الخطايا فالمعنى التعمد والقصد والاستمرار فمن كان هذا عمله فهو إلى النار، والإحاطة هنا تفيد وجود حتّ الكفر وباقي لمعاصي والمخالفات ويؤكّد هذا المعنى ما ورد في( التحرير و التنوير): والإحاطة مستعارة لعدم الخلو عن الشيء لأن ما يحيط بالمرء لا يترك له منفذا للإقبال على غير ذلك. وإحاطة الخطيئات هي حالة الكفر لأنها تجرئ على جميع الخطايا ولا يعتبر مع الكفر عملا صالحا كما دل عليه قوله " ثمّ كان من الذين آمنوا" فلذلك لم تكن في هذه الآية حجة للزاعمين خلود أصحاب الكبائر من المسلمين في النار إذ لا

[1] – أسباب النزول القرآني: د ، غازي عناية، ص 95 .

[2] – الإبداع البياني في القران العظيم: محمد علي الصابوني، ص 32.

يكون المسلم محيط به الخطيئات بل هو لا يخلو من عمل صالح وحسبك من ذلك سلامة اعتقاده من الكفر و سلامة لسانه من النطق بكلمة الكفر الخبيثة[1].

و ممّا يستفاد من هذه الاستعارة﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ أن يحذر المسلم من كثرة الخطايا والاستمرار فيها، والتعوّد عليها، فربما قادته إلى الكفر وهو أكبر الخطايا، فيجمع بين أكبر الخطايا الكفر وبين الكبائر، فيزداد عقابه ويدوم حسابه.

فمن أبعاد الاستعارة هنا بيان أنّ الخطايا إلى النار مطايا.

## 8 - الله يبتلي و يجتبي :

قال الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[2].

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾. والعقب هو مؤخّر القدم، والانقلاب ( على العقبين استعارة تمثيلية بديعة، شبه من يرتد عن دينه، بمن ينقلب على عقبيه – أي يعود إلى الوراء منتكسا في مشيه – كمن يمشي إلى الخلف بدل المشي إلى الأمام)[3].

تتحدّث الآية عن استبدال القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، هذا التغيير له حكم كثيرة منها كما هو واضح في الآية للابتلاء والاختبار، فمن آمن بصدق وعن معرفة

---

[1] – التحرير و التنوير:ابن عاشور، ج1 ، ص 581 .

[2] – البقرة 143.

[3] – الإبداع البياني في القران العظيم: محمد علي الصابوني، ص 33.

ووعي، يتّبع أوامر الله تعالى وتوجيهاته في تحديد اتجاه القبلة، ولا يلتفت إلى البحث عن الحكم فربما عرفها وربما لم يعرفها، فالله قال له توجّه في صلاتك إلى المسجد الأقصى ثم غيّر فأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام، فالمسلم يلتزم، وهذا دليل الإيمان الصادق.

أمّا التردّد والتساؤل كيف صلّينا مرّة إلى المسجد الأقصى، ثم نتوجّه مرة أخرى إلى المسجد الحرام؟ فربما شكّ في توجيهات القرآن وفي حكمة الله تعالى فيما يأمر وفيما يوجّه فيؤدي هذا إلى الردّة والكفر بعد أن آمن وأسلم.

فهذا ابتلاء من الله تعالى للمسلمين، ليظهر الثابت وليستبين المتردّد والشاك الذي سيترك الالتزام بالإسلام بحجّة أنّ اليوم أمرا ثم في الغد أمرا أخر ربما يخالفه، وهذا المنقلب المتردّد والشاك لا يصلح أن يكون ممن يريد الله تعالى إعدادهم ليكونوا شهداء على الناس.

فمن أبعاد الاستعارة هنا بيان أنّ الله يبتلي و يجتبي.

## 9- تدرّج الشيطان و غفلة الإنسان :

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾[1].

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ فاتّباع الخطوات (استعارة تمثيلية، أصلها أن السائر إذا رأى أثار خطوات السائرين تبع ذلك المسلك علما منه أن ما سار فيه السائر قبله إلا أنه موصل للمطلوب، فشبه المقتدي الذي لا دليل له سوى المقتدى به وهو يظن مسلكه موصلا، بالذي يتبع خطوات السائرين وشاعت هذه التمثيلية حتى صاروا يقولون هو يتبع خطا فلان بمعنى يقتدي به ويتمثل له )[2] .

[1] – البقرة 168.

[2] – التحرر و التنوير :ابن عاشور، ج2، ص 103.

فالشيطان إذن يلقي الوساوس فيكون لها أثر في النفس، فالجاهل وضعيف الإيمان، يتّبع هذه الوساوس، كما يتّبع الضال في مكان خال أثار خطوات الأقدام فيتبعها، فإن كان الذي ترك هذه الآثار عدوّ له، قد خدعه ومكر به، فإنّه يجعل نهاية المسلك إلى ما فيه ضر وخسارة، والشيطان عدوّ مضلّ مبين، وساوسه تضلّل و توصل الإنسان إلى الخسارة.

والتعبير هنا بالخطوات يدلّ على معنى التدرج، فالشيطان لا يدعوك للوقوع في الحرام مباشرة، ولكن من المباح إلى المشتبه إلى الحرام.. وربما احتال عليك باسم الضرورة، وربما وجّهك إلى إمام لا علم له بالمسألة فيحلّ لك ما حرّم الله تعالى.

فمن أبعاد الاستعارة هنا بيان أنّ الشيطان يتدرّج في وسوسته للإنسان حتّى يوقعه في العصيان على حين غفلة وجهل من الإنسان، فعلى المسلم أن يتعلّم ما هو حرام وما هو حلال، وأن يكون على يقظة من عدوّه الشيطان.

**10 – قضى الله فلا مفر من الموت :**

قال الله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** ﴾[1] .

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ..** ﴾ فالرؤية هنا بمعنى العلم، فالاستفهام ( مستعمل في التعجب، من عدم علم المخاطب بمفعول فعل الرؤية، ويكون فعل الرؤية، علميا من أخوات ظن على مذهب الرّأي وهو صواب، لأن إلى ولام الجر يتعقبان في الكلام كثيرا،والمجرور بإلي في محل المفعول الأول، لأن حرف الجر الزائد لا يطلب متعلقا، وجملة وهم ألوف في موضع الحال، سد مسد المفعول الثاني. لأن أصل المفعول الثاني لأفعال القلوب أنه حال، على تقدير: ما

[1]- البقرة 243.

كان من حقهم الخروج، وتفرع على قوله« **وَهُمْ أُلُوفٌ** » قوله:« **فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ** » فهو من تمام معنى المفعول الثاني أو تجعل" إلى" تجريد الاستعارة فعل الرؤية لمعنى العلم، أو قرينة عليها، أو لتضمين فعل الرؤية معنى النظر، ليحصل الادّعاء أن هذا الأمر المدرك بالعقل كأنه مدرك بالنظر، لكونه بيّن الصدق لمن علمه، فيكون قوله« **أَلَمْ تَـرَ** إلى»كذا في قوله جملتين: ألم تعلم كذا و تنظر إليه)[1].

ومعنى الاستفهام هنا« **أَلَمْ تَـرَ**» الحث على معرفة هذه القصة العجيبة وذلك لأجل الاتّعاظ. وقد اختلفت الروايات حول قصة هؤلاء الذين خرجوا وهم كثر فرارا من الموت، فأماتهم الله تعالى ثمّ أحياهم. ومن هذه الأقوال أنهم ( قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم ) [2].

وما يستفاد من هذه الاستعارة أنّ الموت قضاء وقدر، لا علاقة له بالقتال، فلم الجبن والخوف من الجهاد في سبيل الله تعالى؟ وهذا المعنى لا بدّ أن يؤخذ مأخذ الحقيقة العلمية اليقينية كما تدلّ عليه الاستعارة« **أَلَمْ تَـرَ**» يقول ابن كثير: وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لا يغني حذر من قدر وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه[3].

فعلى المسلم أن يعتقد اعتقادا يقينيا أنّ الموت حقّ وبأجل، وأنّ الجبن والتخلّف عن مواقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحقاق الحق وردّ عدوان العدو، كل ذلك لا يردّ الموت إذا جاء ولا يؤجّله، كما أنّ الإقدام على ما فيه خطر و فيه إعزاز للحق، لا يعجّل الموت.

---

[1] – التحرير و التنوير: ج2 ، ص 476.

[2] – الكشاف: ج1 ، ص 140.

[3] – تفسير ابن كثير : ج1 ، ص 530.

فمن أبعاد الاستعارة في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ تصحيح التصوّر نحو مسألة الخوف من الموت في المواقف الصعبة، كالجهاد في سبيل الله، فالموت له أجل، و أمره بيد الله .

## 11- سبيل واحد للهداية و نجاح تامّ في النهاية :

قال الله تعالى:﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[1].

في هذه الآية استعارة تصريحية،حيث ( شبه الله تعالى تركهم الإيمان وأخذهم بدله الكفر بإنسان اشترى بضاعة، ودفع فيها ثمنا باهظا، ثم ذهبت التجارة مع الربح، فعظمت الخسارة واشتد الحزن )[2].

وهذا حال المنافقين، وحال من سلك طريقهم،فالمنافقون شهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدا رسول الله بألسنتهم، وكأنهم علموا النجاة والخير في الإسلام، ثم سلكوا غير سبيل الإسلام فنافقوا وخدعوا .. مكروا وحسدوا، فكانت النهاية كنهاية من استبدل شيئا رخيصا بشيء غال أو كمن اشترى سلعة فاسدة بسلعة أخرى طيّبة وهي كثيرة، فما استفاد من السلعة التي اشتراها لأنها فاسدة، ولا هو أبقى السلعة الطيبة التي كانت عنده.

إنّ مما تعنيه الاستعارة هنا بيان أن للهداية طريق واحد بيّنه الله تعالى في كتابه عن طريق رسوله، هذا الطريق نهايته الفوز والنجاح. وأنّه من سلك طريقا آخر غير طريق القرآن ضالّ

[1] – البقرة 16.

[2] – الإبداع البياني في القران العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني، ص 29.

وخاسر لا محالة، وهذا يصدق على حال المسلمين، فإمّا الالتزام بحدود ومبادئ الإسلام كلّها فهداية ونجاح، وإمّا ضلال بقدر الانحراف وخسارة بقدر ذلك أيضا.

## 12-ترك الدين لأجل الدنيا مآله النار:

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[1].

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ وهي استعارة تصريحية (فقد استعار الشراء للاستبدال، أي استبدلوا الضلالة بالهدى، وأخذوا الكفر بدل الإيمان، والعذاب بدل المغفرة وهذا النوع من ألطف أنواع الاستعارة وأبدعها، لأن البيع و الشراء يكون في التجارة فلأنهم بمنزلة من يشتري سلعة فاسدة بمبلغ كبير من المال ثم تظهر خسارته الفادحة )[2].

و شراء الضلالة بالهدى معناه: استبدال ما شرع الله تعالى بما وضع غيره، فيحصل تحليل ما حرّم الله تعالى، كإباحة الخمر والفواحش، والتعامل بالربا وغير ذلك. ففعل ما يخالف الإسلام مؤدّاه إلى الضلالة والخسارة والعذاب في نهاية المطاف.

و من أبعاد الاستعارة أيضا، بيان أنّه لا هدى غير الذي بيّنه الله تعالى في كتابه وفصّله نبيّه عليه السلام في سنّته وسيرته، وأنّه الطريق الوحيد الموصل للهداية والنجاح الكامل في النهاية.

ونحن نرى اليوم فتن عمّت، ومحن توالت، وذلّ الأمّة قد أصاب، وضياع وتيه وخراب.. ذلك أنّ أكثر مبادئ الإسلام معطّلة، وأنّ أكثر أخلاق الإسلام متروكة، بمعنى أنّه تمّ استبدال طريق الهدى بطريق الضلال فكان ما كان.

## 13-الله يتولّى المؤمنين:

[1]- البقرة (174/ 175).

[2]- الإبداع البياني في القران العظيم : محمد علي الصابوني ،ص 34.

قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1].

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ وهي استعارة تصريحيه حيث (شبه الكفر بالظلمات والإيمان بالنور، لأن الكفر كالظلمة الحالكة، والإيمان كالشمس المشرقة المضيئة، وعاقبة الكفر مظلمة كنار جهنم، وعاقبة الإيمان الفوز بجنات النعيم)[2].

والإخراج من الظلمات إلى النور إنّما يكون عن طريق اتّباع مجموع العبادات والأخلاق والتشريعات التي جاء بها كتاب الله تعالى القرآن، وهذه الظلمات الكثيرة المتنوّعة، هي ظلمة سوء الأخلاق، وظلمة التشريعات الضالّة التي بها يكون الفساد في الأرض، والنور واحد وهو الحق الذي بيّنه الله تعالى في كتابه القرآن، والحق لا يقبل الانقسام والتعدّد بل هو شيء واحد، توحيد الله وعبادته والتخلّق بما هو حسن، والوقوف عند أمره ونهيه، وتحليل ما أحلّ وتحريم ما حرّم،وكلّها ترجع إلى شيء واحد، إنّه اتّباع الحق الذي نزل من عند الله تعالى .يقول سيد قطب: وهو نور واحد يهدي إلى طريق واحد، فأما ضلال الكفر فظلمات شتى متنوعة.. ظلمة الهوى والشهوة وظلمة الشرود والتيه، وظلمة الكبر والطغيان، وظلمة الضعف والذلة وظلمة الرياء والنفاق وظلمة الشك والقلق.. وظلمات شتى لا يأخذها الحصر تتجمع كلها عند الشرود عن طريق الله، والتلقي من غير الله ، والاحتكام لغير منهج الله .. وما يترك الإنسان نور الله الواحد الذي لا يتعدد ، نور الحق الواحد الذي لا يلبس. حتى يدخل في الظلمات من شتى الأنواع و شتى الأصناف .. وكلها ظلمات[3].

---

[1] – البقرة 257.

[2] – الإبداع البياني في القران العظيم: محمد علي الصابوني ، ص 42.

[3] – في ظلال القران: سيد قطب، م1 ،ص 287 .

فمن أبعاد الاستعارة هنا أنّ الله تعالى يتولىّ توجيه وإرشاد من آمن به واتّبع هداه، وأنّه بعد مرحلة من العلم والعمل والصبر والمجاهدة، سيتحقّق النصر والنجاح في الدنيا ويوم القيامة الفلاح، أمّا الكفار إنما يتولّى نصحهم الجهلة من البشر، فهم وإن بنوا مدنيّة وخدعوا ببريقها المزيّف، سرعان ما يتّضح لهم الأمر وأنهم إلى الفشل والضياع والتيه، والعالم اليوم يموج في بحار من الأزمات المختلفة مع وجود الجامعات والأموال والقوة .

## المبحث الثالث: الأبعاد النفسية للاستعارة :

### 1- مرض القلوب و ضلال الدروب :

قال الله تعالى:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[1] لفظة" مَّرَضٌ" هنا مستعارة للنفاق والشك، هذا المرض الباطني القلبي نتائجه خطيرة كما تبيّن ذلك الآيات ذات الصلة المباشرة بهذه الآية.

فالخداع من نتائج مرض القلوب بالنفاق﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[2]، والعيش بوجهين: مع المسلمين بوجه ومع اليهود والكفار بوجه، يدلّ على الحيرة والتردّد وهذا من نتائج مرض القلوب بالنفاق.﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[3]، وترك طريق الخير وسلوك طريق الشرّ سببه مرض القلب بالنفاق.﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾[4].

---

[1]- البقرة 10.

[2]- البقرة 09.

[3] - البقرة 14.

[4] - البقرة 16.

وعليه فإنّ أمراض القلوب من أخطر و أسوأ ما يصاب به المرء وخاصّة مرض القلوب بالنفاق، فإنّه الذي يؤدّي إلى السوء في القول والفعل، والله تعالى وهو يربي الأمّة المسلمة التي ستتحمّل مسؤولية الالتزام بالإسلام أوّلا ثمّ بالدعوة إليه ثانيا، يحذّرها من هذا المرض عن طريق الاستعارة في قوله:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾،وهم المنافقون الذين بمرضهم هذا﴿ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

إنها دعوة إلى تصفية الروح وتنقية القلب وتطهير النفس﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[1].

وإذا كان النفاق مرضا قلبيا مهلكا، يجعل صاحبه يسلك الطريق الضالّة والدروب الفاسدة، فإنّ الدواء هو الإيمان الصادق، الذي بيّنه الله تعالى في كتابه، وهو الإيمان الذي اتّصف به المؤمنون الصادقون من الصحابة الكرام﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾[2].

يقول محمد متولي الشعراوي: لماذا كانت مريضة ؟ لقد أتعبها النفاق وأتعبها التنافر مع كلّ ما حولها، فاضطراب القلب جعله مريضا، والعلاج هو الإيمان الحقيقي الصادق[3].

فمن أبعاد الاستعارة هنا بيان خطورة مرض القلوب والدعوة إلى تنقيتها وتربيتها، ومن أسوإ هذه ألأمراض النفاق، وهو علّة نفسية باطنية بالطبع لها مظاهر قوليه وفعلية.

## 2- آيات القرآن لتقوى الجنان :

قال الله تعالى:﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾[4].

---

[1]- الشمس 09.

[2]- البقرة 13.

[3] - خواطر حول القران الكريم: محمد متولي الشعراوي ، ص 151.

[4]- البقرة 41.

بيّنت في المبحث الأوّل من هذا الفصل أنّ في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ استعارة، والتي من أبعادها الاعتقادية بيان حرمة استغلال آيات الله تعالى لتحقيق مغانم دنيوية عاجلة على حساب المبادئ . وثمّة بعد آخر و هو متعلق بالجانب النفسي والروحي، ويتمثّل في أنّ آيات الله تعالى لا تباع ولا تستبدل ولا تعوّض بثمن، فهدفها تحقيق التقوى. والتقوى أوّل ما تؤسّس في القلب أي في باطن الإنسان قبل أن تكون في ظاهره، فالله تعالى يقول:﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾،﴿ وَإِيَّٰيَ ﴾ مفعول به مقدم للدّلالة على الحصر والقصر، أي فاتّقون أنا وحدي .

ومن معاني التقوى الخوف من الله تعالى، هذا الخوف مركزه القلب، حيث يبعث على فعل الأمر و ترك النهي، و إنما يصنع الخوف من الله تعالى التدبر في آيات الله تعالى والتأثر بها والعمل بما فيها.

وإذا كان الله تعالى من خلال هذه الآية ينهى ( بني إسرائيل أن يكون كفرهم بما أنزله مصدقا لما معهم، شراء للدنيا بالآخرة، وإيثارا لما بين أيديهم من مصالح خاصة لهم، وبخاصة أحبارهم الذين يخشون أن يؤمنوا بالإسلام فيخسروا رياستهم وما تدره عليهم من منافع وإتاوات ويدعوهم إلى خشيته وحده وتقواه)[1] فإنّ المسلم يشمله هذا الخطاب، يعنيه معناه وفحواه، فالمسلم ينبغي أن يتّخذ آيات الله تعالى لتحقيق تقوى الله تعالى التي تبدأ أوّلا بالقلب فتطهّره من كلّ خوف عدا الخوف من الله تعالى، ومن الطمع في شيء عدا الطمع فيما عند الله تعالى.

فمن أبعاد الاستعارة ههنا:﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾.أن يسعى المسلم لتحقيق تقوى الله تعالى من خلال القرآن، فيزكّي نفسه ويسعى لتحقيق ذلك حين يدعو الناس وينصحهم.

[1]- في ظلال القران: م1 ،ص 61.

## 3- الكفر و العدوان خسارة و أحزان:

قال الله تعالى:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾. [1].

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ بمعنى عوقبوا بالذل والحرمان، هذا الذل والحرمان متمكّن منهم مستقرّ معهم لازم لهم، كتمكّن القبّة أو البيت وقد بني وصار هؤلاء بداخله، وقد صاروا كالمسجونين، حيث أغلق عليهم السجن فلا يستطيعون هربا.

ما سبب هذا الذل وهذا الحرمان؟﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾، عصوا الله تعالى بعصيان رسوله، واعتدوا على دينه بالاعتداء على رسوله.. فعوقبوا بالذل والحرمان، ولا شك أنّ هذا الذلّ وهذا الحرمان، سيؤدّي إلى الغمّ و الحزن، وحتى لو ملكوا بعض مال الدنيا فلن يشعروا بالاطمئنان بل هي الأحزان والقلق النفسي المستمر، وهذا جزاء الكفر بالله تعالى وجزاء المعتدين.

[1] : البقرة 61.

وقد ذكر بعض أهل العلم أنّ المسكنة ليس معناها الفقر المادي و إنما هو فقر النفس وإن وجد المال. جاء في ( بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب): و(المسكنة): مصدر المسكين، وقيل فقر النفس لا يوجد يهودي ولو كان موسرا غني النفس ولو تعمد ذلك[1] .

إنّ من أبعاد الاستعارة ههنا بيان أنّ الكفر بالله تعالى ومخالفة توجيهات والاعتداء على حقوق الآخرين،يؤدي إلى الذل و فقر النفس بالغمّ والأحزان.

## 4- حبّ الدنيا و إيثارها سبب المعاصي و ارتكابها :

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ وهي استعارة تبعية، فالإشراب ( هو جعل الشيء شاربا، واستعير لجعل الشيء متصلا بشيء وداخلا فيه، ووجه الشبه هو شدة الاتصال والسريان لأن الماء أسرع الأجسام في غيره لذا يقول الأطباء الماء مطية الأغذية والأدوية ومركبها الذي تسافر إلى أقطار البدن فلذلك استعاروا الإشراب لشدة التداخل استعارة تبعية)[3].

---

[1]- بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب: علي بن عثمان بن مصطفى المار ديني ابن التركماني، ت: مرزوق علي إبراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002 ، ص100.

2- البقرة 93.

[3]- التحرير و التنوير:ابن عاشور، ج1، ص 609 .

فهؤلاء بنو إسرائيل عبدوا العجل وأحبّوه حبّا عظيما، حتّ كأنهم أشربوا هذا العجل كما يشرب الماء، بمعنى أحبّوه بكل كيانهم.. عبدوه بكل جوارحهم، لأنّ من شأن ما يشرب أن ينتشر في سائر الجسد.

جاء في (التحرير والتنوير): وإنما جعل حبّهم العجل إشرابا لهم للإشارة إلى أنّه بلغ حبّهم العجل مبلغ الأمر الذي لا اختيار لهم فيه كأنّ غيرهم أشربهم إياه.. و إنما شغفوا به استحسانا واعتقادا أنّه إلههم وأنّ فيه نفعهم لأنهم لما رأوه من ذهب قدسوه من فرط حبهم الذهب.. وإسناد الإشراب إلى ضمير ذواتهم ثم توضيحه بقوله:﴿ فِي قُلُوبِهِمُ ﴾ مبالغة.[1].

فقد أحبّوا العجل حبّ عبادة، حتّى أنهم عصوا ربّهم الحق جهرا وبإصرار﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ وهذه قمّة سوء الأدب.

إنّ الذي حجب بني إسرائيل عن عبادة الله الحق، إنما هو حبّهم للدنيا.. ارتباطهم بما هو مادّي، هذا الحب للدنيا كما تعبّر عنه الاستعارة في﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ هو ما أدّى إلى عصيانهم لربهم، و لذلك فمن أبعاد الاستعارة هنا بيان أنّ حبّ الدنيا وإيثارها يؤدّي إلى مخالفة أوامر الله تعالى وإلى عصيانه. لذلك فلا بدّ من تربية النفس على إيثار الآخرة وغرس محبّة الله تعالى في القلب.

و ههنا ملحوظة قوله تعالى:﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ و لم يقل« اشربوا العجل في قلوبهم » فقد قدّم الجار والمجرور في قلوبهم لماذا؟ لبيان أنّه لم يكن في قلوبهم إلاّ حبّ العجل فصار كالمعبود لهم،لم يحبوا سواه و لم يريدوا غيره، وحين يصل الإنسان إلى حبّ الشيء ويصير كالإله المعبود،حينها يفرّط في كلّ شيء إيثارا لما أحب.

## 5- التردّد و الشّكوك مدعاة للردّة و انحراف السّلوك:

[1]- التحرير والتنوير:ابن عاشور، ج1،ص 609.

قال الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾[1].

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ الانقلاب على العقبين استعارة تمثيلية حيث ( شبه من يرتد عن دينه، بمن ينقلب على عقبيه- أي يعود إلى الوراء منتكسا في مشيه كمن يمشي إلى الخلف، بدل المشي إلى الأمام) [2].

تتحدث الآية عن مسألة تغيير القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام،حيث تردّد بعض ضعاف الإيمان ولعلّه من وسواس أهل الكتاب، وفحواه كيف يكون دين من عند الله، وفيه أنّه يأمر اليوم بشيء ثمّ يأمر بآخر يناقضه، فنزلت الآية تبيّن سبب وحكمة ذلك .

جاء في(صحيح البخاري) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال : بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة[3].

والحقيقة أنّ التردّد في قبول التوجيهات، هو من قبيل ضعف الثقة في الرسول عليه السلام الموجّه، وضعف الإيمان بالله تعالى منزل الكتاب ، وهذا التردّد وضعف الثقة من مظاهر النفس التي لم تكتمل بعد تربيتها، فالنفس الزكيّة عند الله تعالى هي النفس التي اعتمدت كليّا على ربها واطمأنت إلى حكمته واستسلمت لأوامره، وهذه النفس بعد ذلك تصلح أن تكون لبنة في الأمّة،

[1]- البقرة 143.

[2] – الإبداع البياني في القران العظيم: محمد علي الصابوني، ص 33.

[3]- تفسير ابن كثير: ج1 ، ص 334.

التي أرادها الله أن تكون وسطا لتشهد على الناس بعدلها و خيريتها، في الدنيا بالسيادة وفي الآخرة بالريادة.

إنّ من أبعاد الاستعارة في قوله تعالى:﴿ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾،بيان أنّ ضعف الثقة في دين الله تعالى أو في حكم من أحكامه، والشك في بعض مبادئه، يؤدّي إلى الردّة والانحراف عن الإسلام، لذلك لا بدّ من تربية النفس على اليقين والتسليم، والاطمئنان إلى كلّ ما جاء به الإسلام.

جاء في( تفسير ابن كثير): قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ... ﴾ إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أوّلا إلى بيت المقدس ثمّ حرفناك عنها إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجّهت ممن ينقلب على عقبيه أي مرتدّا عن دينه، وإن كانت لكبيرة أي هذه الفعلة وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة أي وإن كان هذا الأمر عظيما في النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول، وأن كلّ ما جاء به فهو الحق الذي لا ريب فيه وأنّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فله أن يكلّف عباده بما شاء وينسخ ما شاء وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك بخلاف الذين في قلوبهم مرض فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكا كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق[1].

فالمعنى المستفاد من الاستعارة﴿ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ أنّ دين الله يؤخذ باليقين والتسليم والاطمئنان لا بالشك والتردّد، فإنّ هذا يؤدّي إلى الردّة والكفر .

## 6- الشيطان لك عدوّ مبين بغضك له لا يلين :

[1] -المصدر السابق: ج1 ، ص 337.

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾[1].

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾،والخطوات (جمع خطوة وهي ما بين قدمي الماشي والراية جاءت بطريق الاستعارة التصريحية، أي لا تسلكوا طرق الشيطان فيما يزيّنه لكم من الفواحش والمنكرات. وهذه الاستعارة أبلغ عبارة من التحذير من طاعة الشيطان، فيما يأمر به، ويدعو إليه من الوساوس والسفاهات، كأن طاعة الشيطان والسير وراءه خبث، وبوضع القدم مكان القدم، والسير في ركابه حدو النعل بالنعل)[2].

فالشيطان يلقي الوسواس فيترك آثار ذلك في النفس، فيظنّ ضعيف الإيمان أو الجاهل أنّ هذه الوساوس إنّما هي خطوات خير وحق فيتّبعها، ثمّ يلقي الشيطان وساوس أخرى، فيتلقّاها الجاهل بقبول ويتّبعها، وهكذا الشيطان ليس دفعه واحدة يدخل الإنسان في دائرة الحرام، أو يخرجه عن دائرة الحلال، ولكن يتدرّج وفق تخطيط وبرمجة، مثله كمثل السائر في صحراء أو أرض خالية يترك آثار أقدام وهو متّجه إلى الضلال والتيه فيلحق مسافر به فلا يجده ولكن يجد الآثار فيظنّ أنّ هذا هو الطريق الموصل إلى الهدف، فيسير خلف الآثار ولكنّ النتيجة أنّه يضلّ ويتيه.

ومادام الشيطان كذلك،فيجب على المسلم أن يتّخذه عدوّا،ويوجّه بغضه له وعلى الدوام،وهذا المعنى من الأبعاد النفسية للستعارة .

## المبحث الرابع : الأبعاد السلوكية للاستعارة في سورة البقرة:

### 1- السلوك الصحيح و التعامل الصريح:

[1] البقرة 168.

[2] – الإبداع البياني في القرآن العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني، ص 34.

قال الله تعالى:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاوَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾[1].

الاستعارة في قوله تعالى: « فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ » ف " مَّرَضٌ " مستعار للنفاق بجامع الضعف والتردّد، فهم ضعاف الإيمان، ليس لهم وضوح و يقين في الإيمان. جاء في( محاسن التأويل): استعير ها هنا لعدم صحة يقينهم وضعف دينهم، أو استعير لشكّهم لأن الشك تردد بين أمرين والمنافق متردد...والمريض متردد بين الموت والحياة" فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ " بأن طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بأنه لا يؤثر فيها التذكير والإنذار[2].

إنّ الله تعالى يحذّر من خطورة النفاق، سواء كان اعتقاديا أو سلوكيا فهؤلاء المنافقون بسبب إصابتهم بمرض النفاق﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[3] أي يظهرون الإسلام ويخفون الكفر،﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[4]. فتعاملهم غامض فيه خداع ومكر وهذا سلوك غير صحيح، لذلك فمن كان سلوكه يتميّز بالخداع والمكر فهو ينبئ عن وجود مرض قلبي وهو النفاق.. وعليه لابدّ من معالجة هذا المرض عن طريق الإيمان الصادق لماذا؟ لأجل سلوك صحيح وتعامل صريح فالعلاقات الاجتماعية تبنى على أساس الصراحة والوضوح، تبنى على الصدق لا على الكذب.

جاء في (التحرير و التنوير): اعلم أن هذه الطباع تنشأ من النفاق أو تقارنه من حيث هو لا سيما النفاق في الدين، فقد نبهنا الله تعالى إلى ذلك تعليما وتربية فإن النفاق يعتمد على ثلاث

---

[1]- البقرة 10.

[2] ــ محاسن التأويل : محمد جمال الدين القاسمي، م1، ج1، ص 45 .

[3] ــ البقرة 09.

[4] ــ البقرة 14.

خصال: الكذب القولي والكذب الفعلي وهو الخداع، ويقارن ذلك الخوف لأن الكذب والخداع إنما يصدران ممن يتوقى إظهار حقيقة أمره[1].

لقد نزل القرآن الكريم وأرسل الرسول محمد عليه السلام لبناء مجتمع مسلم، ومن أهمّ مظاهر إسلام هذا المجتمع التحسن في العلاقات بين أفراد المجتمع، ولن يكون ذلك إلا إذا وجد الفرد المسلم صاحب السلوك الصحيح المرتبط بالتعامل الصريح، ولذلك فاستعمال لفظة" مرض" المستعارة للنفاق، تمّ استعمالها لبيان أهمّ مظاهر النفاق وأعمال المنافقين، من خداع وكذب.. هدف ذلك دعوة المسلم إلى تصحيح سلوكه، فلا يخادع ولا يغش ولا يكذب ولا يكون له تعامل مع الناس في الظاهر بوجه و في السر بوجه آخر، فمن كان هذا سلوكه فهو منافق مريض القلب.

**2- آيات الله لتحسين الأعمال لا لجمع الأموال:**

قال الله تعالى:﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾[2].

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ فالاشتراء استعارة للاستبدال أي (ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا وإلا فالثمن هو المشتري به، والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا تباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها بثمن قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير إليه قليل وكل كبير أليه حقير فما بال الحقير القليل، وقيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون إليهم الهدايا

[1] التحرير والتنوير: ج 1، ص 281.

[2] ـــ البقرة 41 .

ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الأموال ليكتموا أو يحرفوا)[1].

فلا يجوز إذن ترك آيات الله تعالى بمعانيها ومبادئها حفاظا على جاه أو سلطان أو رئاسة، ولا يجوز تغيير الفتاوى إرضاء للمستفتي مقابل مال قلّ أو كثر، ولا ينبغي كتمان الحق الذي تنادي به آيات الله تعالى طمعا في جاه أو خوفا من سلطان..وهذا لا يتعلّق باليهود فحسب ولكن يشمل المسلمين أيضا، فآيات الله تعالى أنزلت ليعمل بها، وليضبط سلوك المسلم ويقوّم حتى يصير سلوكا قرآنيّا سواء كان سلوكا فرديا أو جماعيا، و كذلك فعل جيل الصحابة رضي الله عنهم، لقد اتخذوا آيات الله تعالى الآمرة الناهية الموجّهة، و لولا تطبيقهم لمعانيها وضبط سلوكهم وحياتهم وفقها، ما وصل إلينا حديث عن مجدهم، بل و لم يحقّقوا مجدا أبدا.

إنّ المسلم اليوم بحاجة إلى إعادة النظر في علاقته بآيات الله تعالى، كفرد عاد أو كداعية أو كإمام مفت أو كحاكم، إنّ كثيرا من الناس لا تتساهل أبدا في صلاة التراويح فلا بدّ من ختم القرآن ولو بقراءة سريعة، وبصلاة لا خشوع فيها، والحقيقة أنّ التراويح " قيام الليل" جعلت للخشوع يتبعه الخضوع، والقرآن حين يتلى وحين يسمع، إنما لنقف على أمر أو نهي أو قصّة وكلّ ذلك لنضبط سلوكنا و نقوّم اعوجاجنا، والفاتحة تقرأ على أرواح الشهداء في المناسبات وفيها« **إِيَّاكَ نَعْبُدُ**» وهل العبادة إلاّ الطاعة؟ وهل الطاعة إلاّ السلوك الحسن؟ لكنّك تلاحظ الذين يشهدون المناسبات في قراءة الفاتحة لا علاقة لهم بالسلوك القرآني و الحقيقة أنّ الأمثلة كثيرة.

إنّ من أبعاد الاستعارة هنا بيان أنّ آيات الله تعالى أنزلت لتقوى الله تعالى، وما تقوى الله تعالى إلاّ عمل حسن، وسلوك قويم .

### 3- التوبة العمليّة من العصيان و ترك العدوان :

[1] ــ الكشاف : ج1 ،ص 65.

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[1].

وردت الاستعارة في قوله تعالى:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ وهي استعارة مكنية ( إذ شبهت الذلة والمسكنة في الإحاطة بهم واللزوم بالبيت أو القبة يضربها الساكن ليلزمها وذكر الضرب تخيل لأنه ليس له تشبيه في علائق المشبه )[2].

والإتيان بلفظة " وَضُرِبَتْ " تدل على طول مدّة عقوبة الذلة والمسكنة، فالذي يبني بنيانا إنما يقصد إطالة مدة المقام، هذه العقوبة باقية ما بقي العصيان واستمرّ العدوان، ومما ينبغي أن أشير إليه و أنا أحاول استخراج أهم أسرار وأبعاد الاستعارة ههنا، هو أنّ اللفظة المستعارة وردت بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول" وَضُرِبَتْ " فكانت الذلة والمسكنة المضروبة عليهم كعقوبة نائبا عن الفاعل، وإذا كان ( الكلام إنما هو مبني على الفائدة في حقيقته و مجازه وإذا لم تتعلق اللفظة المستعارة بفائدة في النطق فلا وجه لاستعارتها )[3] فما سر ذلك ؟.

السّر في ذلك هو أنّ الذلة والمسكنة كانت نتيجة حتمية لعصيان بني إسرائيل وعدوانهم، بل وبسرعة أيضا، فما أن وقع العصيان لله تعالى و العدوان على أنبيائه حتى وقعت لهم

---

[1] ــ البقرة 61

[2] ــ التحرير و التنوير :ابن عاشور،ج1 ،ص527.

[3] – المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية :د ، جمال حضري ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان ، ط1 1431 هـــ/2010 م،ص176.

الذلة والمسكنة، وهذا من قبيل القانون وسنّة الله في تعامله مع عباده، فالعقوبة جاءت كنائب فاعل عن الله تعالى، وأصل الكلام (ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة) فجعل العقوبة كنائب فاعل توحي بمعنى أنها في انتظار العاصي المعتدي، وهذا يشبه السنن الطبيعية، إذا وضعت يدك في النار تحرق مباشرة.

ألاحظ أيضا أنّ في الجملة تقديما وتأخيرا﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ فقد قدّم الجار و المجرور" عَلَيْهِمُ" على نائب الفاعل" ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ" وهذا يفيد معنى القصر والحصر كما يقول علماء المعاني. فهذه العقوبة" ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ" مقصورة على بني إسرائيل وهي تلاحقهم وتلازمهم ما اتّصفوا بالعصيان والعدوان.﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾.

وإذا كان في هذا وعظ وتخويف لهم، فإنّ العقوبة تلاحق كلّ من اتّصف بالعصيان والعدوان.

وفي هذا تنبيه للأمّة المسلمة في المدينة وهي في إطار تكوينها لتتحمّل مسؤولية الخلافة عن الله تعالى بمنهج الله،بأن لا تقع فيما وقع فيه بنو إسرائيل فعوقبوا وحرموا من نصر الله تعالى .

وإذا كانت الأمة المسلمة زمن الصحابة قد أحسنت فأعزّها الله تعالى وأغناها، فانّ المسلمين اليوم وقع لهم ما وقع لبني إسرائيل، الذلة والمسكنة، فمع كثرة المسلمين وكثرة الخيرات نعيش ذلا، وأكثر الشعوب المسلمة تعيش فقرا، فما السبب ؟ و ما الحل؟.

السبب واضح بيّن عصيان الله تعالى وانتشار الظلم بين المسلمين، بين الحكام والمحكومين، وبين المحكومين أنفسهم.والحلّ واحد لا ثاني الله، التوبة العملية من العصيان لله تعالى وترك الظلم بشتّ صوره، عندها يرفع الذل، وتزول المسكنة.

إنّ من أبعاد الاستعارة في﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾. الدعوة إلى التوبة إلى الله تعالى عمليّا بترك المعاصي وفعل الطاعات، والتخلي عن الظلم والتعامل بالعدل، عندها فقط تتغيّر أحوال المسلمين، من الذلة والمسكنة إلى العزّة والغنى والقوّة .

**4- لا للفرار لتحقيق الانتصار:**

قال الله تعالى:﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[1]

وردت الاستعارة في قوله تعالى:﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾. وهي استعارة (تمثيلية حيث شبه حال المؤمنين وقت اشتداد المعركة، بمن صب عليه الماء صبا، من أعلاه إلى أسفله، وافرغ على كامل جسده، واستعار لفظ " أَفْرِغْ " للصب، تشبيها للصب بالماء الذي يفرغ على الجسد، فصار الصبر للقلب بردا و سلاما ، و أمنا و اطمئنانا و هو من بديع أنواع الاستعارة التمثيلية )[2].

تتحدّث الآيات هنا عن المعركة التي وقعت بين المؤمنين من بني إسرائيل بقيادة طالوت، وبين الكافرين بقيادة جالوت. والقصة كاملة بتفاصيلها موجودة بكتب التفسير أو

---

1 -البقرة (250، 251).

2 -الإبداع البياني في القرآن العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني، ص41 .

التاريخ، منها تفسير ابن كثير[1].وإنما أحاول أن أستخلص أهمّ الأسرار و الأبعاد من الاستعارة الواردة في﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾.

وأحاول أن أستخلص بعدا يرتبط بسلوك المؤمن في الحرب، وقد التقى المؤمنون والكافرون، وخاصّة إذا كان المؤمنون قلّة، والكافرون كثرة، ماذا يفعل المؤمنون؟ هل يتراجعون ويفرّون لأنّ العدد قليل والعتاد ضعيف؟.

إنّ الله تعالى يوجّه المؤمنين إلى السلوك الصحيح الذي يجب أن ينضبطوا به في مثل هذه الأحوال، فبعد إعداد العدّة الممكنة، وتقديم الأسباب المادية المتاحة، لا بدّ من التوكّل على الله تعالى، والتوجّه إليه بالدعاء والرجاء وطلب المعونة والمساعدة﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

هكذا " رَبَّنَآ " وكلمة " رَبَّنَآ " فيها معنى الاستعطاف و الاسترحام فالرب هو الذي يعطف ويرحم و يغيث، والمؤمن وهو في ساحة المعركة والعدو كثير، فهو بحاجة إلى من يدعمه ويساعده، والله تعالى أرحم الراحمين وأقرب المجيبين.

وعطاء الله تعالى واسع غير محدود، دائم غير منقطع لذلك كان الدعاء﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾ أي صبّ علينا الصبر صبّا، وفي هذا معنى الكثرة والشمول، ولأنّ القلب في مثل هذه المواقف قد يخاف و يضعف، ثم تتبع ذلك الجوارح فتضطرب، فلا تقوى على حمل السلاح، ولا تحسن تسديد السلاح، وربما زاغت الأبصار فلم تر إلاّ كثرة الأعداء وقوّة سلاحهم وربما تكلّمت الألسنة بما لا يساعد على الثبات والنصر، لذلك كان الدعاء﴿ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾ صبّ علينا الصبر صبّا فيعم الجسد، ويشمل الباطن والظاهر، ويعمّ المؤمنين جميعا في

[1] تفسير القرآن العظيم:ابن كثير،ج1،ص427.

أرض المعركة ولا شك في أنّ الإفراغ فيه معنى القوة و الكثرة ( الغزارة)، فلا يبقى مجالا للتردّد ولا مجال لوساوس الشيطان.

إنّ في قوله تعالى على لسان المؤمنين في أرض المعركة﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾ تعبير (يصور مشهد الصبر فيضا من الله يفرغه عليهم فيغمرهم، وينسكب عليهم سكينة وطمأنينة واحتمالا للهول و المشقة )[1]. وهو سبحانه تعالى بهذا يدعوهم إلى الشجاعة والجرأة وأن لا مجال للجبن و الفرار،كيف يفرّون و الله تعالى معهم يفرغ عليهم الصبر فيقوّيهم ويؤيّدهم بنصره.

فمن أبعاد الاستعارة هنا أنّه لا ينبغي للمسلم أن يفرّ من أرض المعركة، ولا يجوز له الجبن والضعف أمام الأعداء الكفرة، فالله مع المؤمنين يقوّيهم وينصرهم.

**5- حسن السلوك بعد صحّة الاعتقاد :**

قال الله تعالى:﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[2].

وردت الاستعارة في قوله تعالى:﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ ﴾ ومعنى الآية:( ما نحن عليه من الإيمان هو دين الله الذي صبغنا به وفطرنا عليه فظهر أثره علينا كما يظهر الصبغ في الثوب ولا أحد أحسن من الله صبغة أي دين )[3].

ومن عادة اليهود والنصارى أنهم يغسلون أبناءهم وهم صغار بماء و يعتقدون فيه البركة والطهارة، ولا تزال العادة جارية عند النصارى فبيّن الله تعالى أنّ البركة والطهارة ليس في هذه

[1] ـــ في ظلال القرآن: سيد قطب،م1،ص263.

[2] ـــ البقرة (138/137).

[3] ـــ صفوة التفاسير :محمد علي الصابوني، ج1، ص 99.

العادة وإنما من طهّر اعتقاده من الشرك، وأخلاقه من الفساد﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ ﴾.

جاء في ( التحرير و التنوير) : صبغة الله رد على اليهود والنصارى معا، أما اليهود فلأنّ الصبغة نشأت فيهم، و أما النصارى فلأنها سنة مستمرة فيهم ، ولما كانت المعمودية مشروعة لهم لغلبة تأثير المحسوسات على عقائدهم، ردّ عليهم بأنّ صبغة الإسلام، الاعتقاد والعمل المشار إليهما ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ إلى قوله﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ أي إن كان إيمانكم حاصلا بصبغة القسيس فإيماننا بصبغ الله و تلوينه، أي تكييفه الإيمان في الفطرة مع إرشاده إليه، فإطلاق الإيمان على الصبغة استعارة علاقتها المشابهة وهي مشابهة خفية حسنها قصد المشاكلة ، والمشاكلة من المحسنات البديعية، ومرجعها إلى الاستعارة، وإنما سمّاها العلماء المشاكلة لخفاء وجه التشبيه فأغفلوا أن يسموها استعارة و سموها المشاكلة، و إنما هي الإتيان بالاستعارة لداعي مشاكلة لفظ للفظ و قع معه .و الاستفهام في قوله تعالى﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ ﴾ إنكاري و معناه لا أحسن من الله في شأن صبغته.[1].

إذن فالإيمان بالله تعالى و العمل بمقتضى هذا الإيمان، هي الصبغة الحقيقية التي يتجمّل بها الإنسان في حياته، هذه الصبغة الإيمانية تعطي حسنا وجمالا للباطن والظاهر على السواء، وإذا كان من شأن الصبغة أن يكون لها لون معيّن ولها رائحة أيضا، فالمؤمن الذي صبغته الإيمان والطاعة لله تعالى، يتميّز بصحّة الاعتقاد، حيث يوحّد الله تعالى ويتوجّه إليه فقط في عبادته، وهو يتميّز كذلك بسلوك حسن ومعاملة طيّبة من عفة ورحمة وجود ولين وغير ذلك. هكذا دين الله الإسلام جعله (بمنزلة الصبغ لأن أثره ظاهر و رسمه لائح)[2].

[1]- التحرير والتنوير:محمد الطاهر ابن عاشور،ج 1، ص745.

[2]-تلخيص البيان في مجازات القرآن:الشريف الرضي، تحقيق وتقديم: د،علي محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،لبنان، 1986م.ص35.

إنّ المؤمن الملتزم بدينه ، لابدّ و أن ترى جمالا وروعة في سلوكاته، ولابدّ أن تألفه كما تألف الصبغة الجميلة الحسنة، ولقد كانت حياة الصحابة رضوان عليهم تتّسم بالحسن والجمال.. في خشوعهم و عدلهم وعفوهم ... وبذلك استحقوا أن يكونوا خير أمّة أخرجت للناس.

إنّ من أبعاد الاستعارة في قوله:﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾ أن يظهر الأثر الايجابي على سلوك المؤمن وفي حياته كلّها ومعاملاته كلّها بعد صحّة الإيمان .

## 6- الشيطان يغوي والحلال يكفي:

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾[1].

الاستعارة في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾.شبّه الله تعالى وساوس الشيطان حين يلقيها في صدر الإنسان، و يستدرجه شيئا فشيئا عن طريق التزيين، بالماشي الذي يترك أثرا فيتبعه ضالّ السبيل ظنّا منه أنّ هذه الخطوات خطوات عارف بالطريق، فيسير خلفه ويتبعه، ثم تكون العاقبة الضلال والهلاك، هكذا الشيطان يلقي الوسوسة بعد الوسوسة ليتدرّج بالإنسان، ليوقعه في المعصية ..والخطوات (جمع خطوة وهي ما بين قدمي الماشي والراية جاءت بطريق الاستعارة التصريحية، أي لا تسلكوا طرق الشيطان فيما يزينه لكم من الفواحش والمنكرات، وهذه الاستعارة أبلغ عبارة من التحذير من طاعة الشيطان، فيما يأمر به، ويدعو إليه

[1]- البقرة 168.

من الوساوس والسفاهات، كأن طاعة الشيطان والسير وراءه خبث، وبوضع القدم مكان القدم، والسير في ركابه حدو النعل بالنعل)[1].

إذا كانت لغة التحذير من اتّباع وساوس الشيطان بالأكل من الحلال الطيب، وترك الحرام الخبيث فصيحة بليغة وأنّ من شروط الفصاحة ( الالتحام والتلاؤم الذي يستحيل معه أن تأخذ لفظة مكان أخرى والترادف يصبح هنا نسبيا، ويصبح السياق متحكما بعناق الألفاظ المنتقاة)[2]. وإذا كان من شروط النظر في الكلام أن تترابط المعاني في النص بحيث (يشتد ارتباط ثاني منها بأول)[3]، فما السرّ في الربط بين النهي عن اتّباع خطوات الشيطان وبين الأمر بأكل الحلال الطيب؟.

السرّ في ذلك أنّ من أهداف الشيطان أن يدخل الإنسان في دائرة الحرام، وهو يستغلّ في ذلك أهمّ شيء في حياته وهو بطنه، والإنسان عادة لا يصبر على الجوع، بل هو يكسب المال وهو يفكّر في أكله أكثر مما يفكّر في شيء آخر، ويتبع الحديث عن الأكل الحديث عن المال والإنسان علاقته بالمال هي كما قال تعالى:﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[4]. فالشيطان إذن يدخل إلى نفس الإنسان ليوسوس ويغري، ليصل إلى هدفه من خلال ما يحبّ الإنسان، ومن خلال ما يهتم به من أكل ومال.

والإنسان إذا ترك الحلال الطيب، وأكل الحرام الخبيث، أضرّ بحياته وبآخرته على السواء، أضرّ بحياته لأنّ الأكل الخبيث ( الحرام) يضرّ بالصحة ويضرّ بالعلاقات الإنسانية، فالذي يأكل الحرام يغشّ ويحتال ويسرق، أما الإضرار بالآخرة فالله تعالى يعاقبه يوم القيامة.

---

[1] – الإبداع البياني في القرآن العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني، ص 34.

[2] – المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية: د، جمال حضري، ص 95.

[3] – دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني، ص 103.

[4] – الفجر 20.

إنّ من أبعاد الاستعارة (وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ) مع ربط الأمر بالأكل من الحلال الطيب، هو أن يسلك المسلم في تعامله الطريق الموصل إلى الحلال، وأن يتجنّب طريق الحرام في جمعه للمال وأكله بعد ذلك، فمن اتّبع الحرام و ترك الحلال فهو يسير خلف الشيطان و يتبعه.

**7- أداء الواجبات طريق الإخراج من الظلمات :**

قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾»[1].

وردت الاستعارة في قوله تعالى:﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ﴾.ففي الآية (استعارة تصريحية حيث شبه الكفر بالظلمات، والإيمان بالنور، لأن الكفر كالظلمة الحالكة والإيمان كالشمس المشرقة المضيئة، وعاقبة الكفر مظلمة كنار الجحيم، وعاقبة الإيمان الفوز بجنات النعيم )[2].

ومّما يلاحظ في ألفاظ الاستعارة هنا أنّ الظلمات جاءت جمعا بينما النور وردت مفردة، ومن أسرار ذلك أنّ مصادر الظلمات كثيرة: النفس، الشيطان، الإنسان الكافر والحاسد...أمّا النور فمصدره واحد وهو الله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[3].

كذلك الظلمات نوعان : الأولى في الدنيا بالأزمات المختلفة و الثانية في الآخرة بالعقوبات المتنوعة، أمّا النور فهو واحد مستمر، طمأنينة في الدنيا وكذلك في الآخرة.جاء في (الكشاف): قوله تعالى:﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر إلى الإيمان[1].

---

[1] ــ البقرة 257.

[2] الإبداع البياني في القرآن العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني، ص42 .

[3] ــ النور 40.

وممّا لا شكّ فيه أنّ في قوله تعالى:﴿ يُخۡرِجُهُم ﴾ وهو فعل مضارع دالّ على الحال والاستقبال يشير إلى معنى آخر، وهو أنّ الإخراج ليس دفعة واحدة، ولكن على مراحل وبتدرّج لوجود ظلمات كثيرة، كيف يكون ذلك ؟ يكون عن طريق الإيمان أوّلا بأركان الإيمان التي ذكرت في أوّل سورة البقرة﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ ﴾ ثمّ أعيد التذكير بها والتأكيد عليها في أواخر السورة ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ ثم بعد الإيمان القيام بالواجبات والتي ذكرها وبيّنتها السورة من أوّلها إلى آخرها ( الصلاة والصوم والحج والجهاد ومحاسن الأخلاق وضبط العلاقات الأسرية ...و غير ذلك ). فكلّما قام المسلم بواجب فكأنما أشعل شمعة فيزول قليل من الظلام، وهكذا بأداء جميع الواجبات لا ظلمة تبقى، لا في الاعتقاد ولا في القول ولا في السلوك. والحقيقة أيضا هو أنّ هذه الأنوار كلّها تعني أداء الواجبات كلّها، إنما هي تمثّل نورا واحدا هو العبودية لله تعالى، واتباع الهدى الذي أنزله الله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[2].

إنّ من أبعاد الاستعارة الواردة في قوله تعالى:﴿ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ أنّ هداية الله تعالى للإنسان ونصرته للمؤمن ومساعدته في إخراجه من الشقاء بأنواعه، وإسعاده دنيا وآخرة، مشروط باتباع الهدى الذي أنزله، أي بالقيام بالواجبات وليس بالأماني.

وإذا كان هذا حال الفئة المؤمنة، فإنّ حال الفئة الكافرة، أي الفئة التي اختارت الكفر عن طواعية وعلم بعد مجيء الآيات البيّنات، فإنّما وليّها وناصرها الطاغوت من شياطين الإنس والجن، الذين يعملون على إضلال الناس واستدراجهم إلى الهلاك، بإخراجهم من الخير والهدى

---

[1] الكشاف : الزمخشري ، ج1، ص147 .

[2] ــ البقرة 38.

والسعادة التي كفلها الله تعالى في دينه، ليوقعوهم في الشر والضلال والشقاء﴿ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾.

وها هنا سؤال مهمّ وهو: أيّ نور كان فيه الذين كفروا ثم أخرجوا منه ؟.قد يكون الجواب هو إخراجهم من فطرتهم التي فطروا عليها، فالإنسان يولد ويكبر كما هو، يعترف في الأصل بوجود خالق الكون والإنسان، محبّ للخير، وإنما الذي يغيّر فطرته السويّة بسوء التربية على أيدي شياطين الإنس والجن، وخاصة الكبراء والسادة حتى يسهل عليهم التسلّط على الناس واستعبادهم.

لكنّي أرى أنّ هناك جوابا آخر، وذلك بتطبيق قاعدة التناسق الفني التي ذكرها سيد قطب في كتابه( التصوير الفني في القرآن) حيث يقول بضرورة ( التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات، والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض)[1].

فالله تعالى ذكر قبل هذه الآية﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

فالنور الذي يتحدّث عنه في قوله:﴿ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ إنما هو نور المعرفة واليقين في أنّ ما جاء به النبي عليه السلام حقّ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ فقلوبهم موقنة بالحق الذي جاء من عند الله تعالى، و لكنّ أهواءهم هي التي انحرفت بهم عن اتّباع الحق وخاصة الكبراء والسادة، فهم يخشون إن أسلموا و آمنوا عمليا، ستذهب سيادتهم، فهم إذن

[1] ـــ التصوير الفني في القرآن : سيد قطب، ص88 .

[2] – البقرة 256 .

أيقنوا في أنفسهم بأحقية الإسلام و هذا هو النور، ثم ضلّوا و انحرفوا وتكبّروا وهذه الظلمات وأما التابعين من غير السادة فهم يعرفون صدق محمد عليه السلام في نبوته، كيف لا؟ وسلوكه كلّه نور وحق وخير ورحمة، وكأنهم في أنفسهم يقرّون بهذا الحق وهو النور الذي هم فيه ولكنّهم أرادوا طمعا عاجلا من السادة فلم يصبروا على الخير الآجل في الآخرة، وخشوا أن يضيع ما طمعوا فيه، فاتبعوا السادة والكبراء وتركوا الحق( النور)، فسار بهم الكبراء" **ٱلطَّٰغُوتُ** " إلى ظلمات الشرك والمعاصي في الدنيا وإلى العقوبات في الآخرة.

**8- بالحق اجهر و عن نصرته لا تتأخر :**

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

وردت الاستعارة في قوله تعالى:﴿ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ كأنهم ( إذا أكلوا ما يوجب العقاب بالنار كان ذلك المأكول مشبها بالأكل من النار، وفي قوله سبحانه ﴿ فِي بُطُونِهِمۡ ﴾ زيادة معنى، وإذا كان كل آكل إنما يأكل في بطنه فذلك أفضع سماعا وأشد إيجاعا وليس قول الرجل للآخر إنك تأكل النار مثل قوله إنك تدخل النار في بطنك[2].

1ــ البقرة 174.

2 ــ تلخيص البيان في مجازات القرآن :الشريف الرضي ، ص36 .

و إذا كان ظاهر المعنى أنّ النار من شدة حرّها و قوّة لهبها تصل حتى إلى البطن، مرورا بالفم ثم الحلق حتىّ تصل البطن، وفي هذا من التخويف والإنذار أمر عظيم، فإن ثمة معان أخر:

– فهؤلاء الذين لا يجهرون بالحق ويكتمون ما أنزل الله من الآيات، طمعا في الدنيا مالا أو جاها أو سلطانا، لا بدّ أن تكون لهم عقوبة مناسبة، فهم من أجل المال وإشباع بطونهم في الدنيا كتموا الحق و لم يجهروا به، خوفا من ذهاب الجاه والمال، فأخبرهم الله تعالى بأنهم بفعل ذلك كانوا كمن يأكل ويدخل في بطنه النار فتحرق أحشاءه.

–ومعنى آخر إذا كان الأكل يمرّ عبر الفم، وأهم ما في الفم اللسان، هذا اللسان الذي خلق ليجهر بالحق، والحلق فيه الحبال الصوتية، والصوت نعمة بها يكون قول الحق وتحسين الدفاع عن الحق، فإنّ العقوبة تكون بالنار التي تحرق اللسان ثم الحلق حتى تصل إلى الأمعاء .

والكلام موجّه إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكذلك للمؤمنين أصحاب القرآن الكريم. فالله تعالى يحذّر المؤمنين أن يكتموا ما أنزل الله تعالى ولا يجهروا بالحق خوفا من ذهاب حظ من حظوظ الدنيا من مال أو منصب، أو طمعا في تحصيل ذلك، فالذين يفعلون ذلك النار عقوبتهم يوم القيامة، فهم أكلوا الدنيا بالدين ، فالنار مأكولهم لا غير يوم الحساب، وهذا من باب التخويف والترهيب والنصح والتوجيه.

إنّ المعاني التي ذكرناها تحتملها الاستعارة الواردة في قوله تعالى:﴿ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ وهذه هي لغة القرآن و بلاغته المعاني كثيرة متجدّدة في النص الواحد بل وفي اللفظ الواحد أحيانا ولو ( رجعت إليه كرة أخرى لأريتك بإزاء معنى جديد، غير الذي سبق إلى فهمك أول مرة، حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوه عدة كلها صحيحة أو محتملة الصحة )[1] .

[1]ـــ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن : د، محمد عبد الله دراز ،ص 100 .

فمن أبعاد الاستعارة هنا بيان أنّه يجب على المسلم أن يسلك طريق نصرة الحق ،بأن لا يكتم ما علم من حق ،لحماية نفسه من النار يوم القيامة.

## خلاصة

بعد الانتهاء من الفصل الثالث (الأبعاد التربوية للمجاز اللغوي ) استخلص مايلي:

**أوّلا**: هذه المعاني سواء ما تعلّق منها بتصحيح التصور،أو بتزكية النفس، أو بضبط السلوك(الفردي والجماعي)-التي هي عبارة عن قواعد-كانت من أهمّ ما تربّى عليه المجتمع المسلم في بداية تكوينه بالمدينة بعد الهجرة، لأنّ سورة البقرة من أوائل ما نزل بعد الهجرة،و المعاني نفسا تصلح لبناء مجتمع مسلم راشد في زماننا.

ثانيا:هذه المعاني:

**1- بالنسبة لبناء العقيدة وتصحيح الفكر: المجاز اللغوي( المجاز المرسل –الاستعارة):**

أ-من الشدائد والمحن عقوبات إلهية لمن عصاه أو ظلم عباده المؤمنين:

قال الله تعالى:﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ . يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾.

19- 20.

ب–تغليب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة من علامات النفاق:

قال الله تعالى:﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾20.

ج–التردّد في القرارات وعدم وضوح الأهداف من أعراض مرض النفاق:

قال الله تعالى:﴿ يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ . يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾19– 20.

د–خضوع كامل لله تعالى لا يقبل التجزيء مع الإحسان:

قال الله تعالى:﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾112.

ه–التطبيق الكامل للشريعة الإسلامية سبيل إلى أمن المجتمع وسعادته:

قال الله تعالى:﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾112.

و–ظلم الغير هو ظلم للنفس:

قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾.

ز–العدل أساس البناء الأسري:

قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾231.

ح–الله يراقب ويحاسب:

قال الله تعالى:﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾10

ط– آيات الله معالم للهدى لا مغانم للردى:

قال الله تعالى:﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾41.

ي– مآل العصيان غضب من الله وخسران:

قال الله تعالى:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾61.

ك- تدرّج الشيطان وغفلة الإنسان:

قال الله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾168.

ل- قضى الله فلا مفرّ من الموت:

قال الله تعالى:﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾243

م-الله يتولّى المؤمنين:

قال الله تعالى:﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ 257

ن- ترك الدين لأجل الدنيا مآله النار:

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾

س- عدل الله و حكمته:

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

ع- توظيف العقل و السمع و البصر لمعرفة الحق:

قال الله تعالى:﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ (7).

ف- نقض العهد مع الله طريق الخسران:

قال الله تعالى:﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ( 27).

ص- الخطايا إلى النار مطايا :

قال الله تعالى:﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾81.

## 2- في تزكية النفس وإصلاح القلب:

أ-مرض القلوب وضلال الدروب:

قال الله تعالى:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾10

ب-آيات القرآن لتقوى الجنان:

قال الله تعالى:﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾41.

ج- حبّ الدنيا وإيثارها سبب المعاصي و ارتكابها:

قال الله تعالى:﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾93.

د-الكفر و العدوان خسارة و أحزان:

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾93.

ه- التردّد و الشكوك مدعاة للردّة و انحراف السلوك:

قال الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾143.

و–الشيطان لك عدوّ مبين بغضك له لا يلين :

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾168.

## 3– في ضبط السلوك.

أ–السلوك الصحيح والتعامل الصريح:

قال تعالى:﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾10.

ب– آيات القرآن لتحسين الأعمال لا لجمع الأموال:

قال تعالى:﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾41.

ج–لا للفرار لتحقيق الانتصار:

قال تعالى:﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ

وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾250 / 251.

د-حسن السلوك بعد صحّة الاعتقاد:

قال تعالى:﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾138/137.

ه- أداء الواجبات طريق الإخراج من الظلمات:

قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾257.

و- بالحقّ اجهر وعن نصرته لا تتأخّر:

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾174.

ز- التوبة العمليّة من العصيان و ترك العدوان :

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾**61**.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الرابع:

# الأبعاد التربوية للكناية والتعريض في سورة البقرة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**فصل الرابع: الأبعاد التربوية للكناية والتعريض.**

**المبحث الأول:الأبعاد الاعتقادية للكناية و التعريض( بناء العقيدة وتصحيح التصور):**

**أولا: الأبعاد الاعتقادية للكناية:**

أحصيت في سورة البقرة حوالي ثلاثين كناية في مواضع شتّ، مستعملة في موضوعات مختلفة، العقيدة والأخلاق والمعاملات.. على أنّ هذا الإحصاء لهذه الكنايات قصدت به البحث

والتأمل، لاكتشاف المعاني المختلفة والأبعاد التربوية الممكنة. ذلك (أن تحديد أبعاد النص القرآني أمر أساسي في تمكين التفسير من بلوغ الهدف الأسمى الذي ينشده وهو تغيير جوهر الإنسان، تغيير الضمير دائما نحو الأحسن والأكمل، وهذا التحديد هو الذي يجعل الآية تؤثر في سامعها كأنما نزلت لتوها، ذلك لأن تحديد البعد هو الذي يجعل التفسير يمس الحياة والفكر والوجدان والسلوك مما يؤدي للتجدد)[1].

وسأتناول في هذا المبحث الأبعاد الاعتقادية التي تهدف إلى بناء العقيدة وتصحيح التصور اتجاه الخالق واتجاه الآخرة..وكذلك اتّجاه الكون والحياة.

## 1- كن سبّاقا للخير:

قال الله تعالى:﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾[2].

الكلام موجّه لبني إسرائيل، فالله تعالى يوجّههم وينصحهم بأسلوب الأمر بأن يؤمنوا بالقرآن الكريم، ثم ينهاهم عن أن يكونوا سبّاقين إلى الكفر به، كيف يفعلون ذلك وهم أهل كتاب، وعندهم التوراة وفيها ما يدلّهم على صدق الرسول محمّد عليه السلام؟

وقد استعمل أسلوب الكناية في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ ﴾، فليس المقصود من النّهي مجرد النّهي( عن أن يكونوا مبادرين بالكفر سابقين به غيرهم لقلة جدوى ذلك ولكن المقصود الأهم منه أن يكونوا أول المؤمنين أفيد ذلك بطريق الكناية التلويحية فإنّ وصف أوّل أصله السابق غيره في عمل أو شيء يذكر فالسبق والمبادرة من لوازم معنى الأولى لأنها بعض مدلول اللفظ ولما كان الإيمان والكفر نقيضين إذ انتفى أحدهما ثبت الآخر كان النهي عن أن يكونوا أول الكافرين يستلزم اتّباع دعوة الإسلام فيكون هذا المركب قد كنى به عن معنيين من

[1]- التفسير الموضوعي نظريا وتطبيقا: د، أحمد حماني ، ص 91.

[2] – البقرة 41.

ملزوماته، هما معنى المبادرة إلى الإسلام ومعنى التوبيخ المكنى عنه بالنهي، فيكون معنى النهي مرادا ولازمه وهو الأمر بالمبادرة بالإيمان مرادا وهو المقصود فيكون الكلام كناية اجتمع فيها الملزم واللازم معا. فباعتبار اللازم يكون النهي في معنى الأمر فيتأكد به الأمر الذي قبله كأنه قيل ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ ﴾ وكونوا أول المؤمنين، وباعتبار الملزوم يكون نهيا عن الكفر بعد الأمر بالإيمان فيحصل بذلك غرضان [1].فقوله تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ ﴾ كناية عن الدعوة إلى أن يكونوا أول المؤمنين، أن يبادروا للإيمان.. وهذا المعنى يستفيد منه كلّ مسلم وهو المبادرة والأسبقية إلى فعل الخير لا أن يكون من التابعين اللاحقين، فإذا كان فعل الخير مهمّا فالسبق إليه أهم، ذلك أنّ السبق إلى فعل عمل ما قد يكون له أجر من سنّ سنة ابتداءا. قال الإمام القشيري: ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ ﴾، لا تسنوا الكفر سنة فإن وزر المبتدئين فيما يسنون أعظم من وزر المقتدين فيما يتبعون[2]. وكذلك من سنّ سنّة حسنة فكان المبادر البادئ، كان له من الأجر أكثر وأعظم من المقتدي المتّبع.

إنّ القرآن الكريم هو منهج الله تعالى وهو مصدر الخير، لذلك نهى الله تعالى بني إسرائيل وغيرهم عن أن يكونوا سبّاقين للكفر به، وبأسلوب الكناية دعاهم إلى أن يكونوا سبّاقين مبادرين إلى الإيمان به.فقوله تعالى﴿ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ﴾ عائد(على القرآن إذ تضمنه قوله«بما أنزلت»)[3]. ومعنى السبق إلى الإيمان بالقرآن ، أي السبق إلى فعل أوامره وترك نواهيه. فمن أبعاد الكناية في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ ﴾ أن يكون المسلم سبّاقا للخير مبادرا.

[1]- التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، ج1، ص 460.

[2]-تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ص 178.

[3]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي،ج1، ص134 .

## 2- الدعوة إلى الاعتبار بعاقبة المعتدين:

قال الله تعالى:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[1].

في قوله تعالى:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ استعارة وقد مرّ معنا ذلك في(مبحث الاستعارة) وهي تتضمّن أيضا الكناية ففي﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ (كناية عن كون اليهود أذلاء متصاغرين)[2]. فلا عزّة لهم ولا قوّة بل هم مقهورون ضائعون مغلوبون، لماذا؟﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾. العدوان على الله تعالى بالكفر بدينه الإسلام، والعدوان على نبيّه محمّد عليه السلام بعدم التصديق به مع معرفتهم بصدقه، ثمّ العدوان على المسلمين، وهذه صفة لازمة لهم، يتوارثها جيل عن جيل، فأجداد يهود اليوم اعتدوا على موسى عليه السلام وعلى كلّ أنبيائهم..وهم يعتدون اليوم على المسلمين.. فمعظم الفتن في العالم الإسلامي من مكرهم، وقد اغتصبوا فلسطين. هل يجدون الأمان؟ هل يحقّقون الاستقرار؟ هل يبلغون العزّ والمجد في العالم؟كلاّ، فالعدوان نتائجه وخيمة هالكة، هذا قانون الله تعالى﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾.﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾. إنّها مسألة وقت ومسألة توفير أسباب وشروط لتحقق الذّلة الكبرى لليهود.وفي قوله تعالى:﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ باستعمال الفعل المضارع (يَعْتَدُونَ) إشارة إلى أنّ اليهود جيلا بعد جيل صفتهم وخلقهم العدوان.

ولئن كتب الله على بني إسرائيل الذلة والمسكنة، بسبب الاعتداء على الحقّ وأهله، فإنّ نفس المصير يكون لمن اتّصف بصفة الاعتداء على الحق وأهله.. وهل الحق إلا الإسلام؟!.

---

[1]- البقرة 61.

[2]- التحرير والتنوير: ج1، ص 528.

ولذلك فمن أبعاد الكناية في قوله تعالى:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾، أن يعتبر ويتّعظ المسلم حاكما ومحكوما بما حدث ويحدث لليهود بسبب الاعتداء والظلم.

## 3- العلم بقدرة الله تعالى وملكه الواسع.

قال الله تعالى:﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[1].

الكناية واردة في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فظاهر الكلام أنّه خطاب موّجه للنبي عليه السلام لكن( المقصود منه المسلمون فينتقل من خطاب النبي إلى مخاطبة أمته انتقالا كنائيا لأن علم الأمة من لوازم علم الرسول من حيث إنه رسول لزوما عرفيا فكل حكم تعلق به بعنوان الرسالة فالمراد منه أمته لأن ما يثبت له من المعلومات في باب العقائد والتشريع فهو حاصل لهم، فتارة يراد من الخطاب توجه مضمون الخطاب إليه ولأمته وتارة يقصد منه توجه المضمون لأمته فقط على قاعدة الكناية في جواز إرادة المعنى الأصلي مع الكنائي، وهنا لا يصلح توجه المضمون للرسول لأنه لا يقرر على الاعتراف بأن الله على كل شيء قدير فضلا عن أن ينكر عنه وإنما التقرير للأمة، والمقصود من تلك الكناية التعريض باليهود، وإنما سلك هذا الطريق دون أن يؤتى بضمير الجماعة المخاطبين لما في سلوك طريق الكناية من البلاغة والمبالغة مع الإيجاز في لفظ الضمير[2].

ويستفاد من هذه الكناية الواردة في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أنّ العقيدة الصّحيحة للمسلم تبنى على معرفة الله تعالى.. معرفة صفاته وأسمائه وأفعاله... لأنّه لا عبادة صحيحة لله تعالى بدون معرفة صحيحة. فمن فرائض المسلم تصحيح

[1]- البقرة 107.

[2]- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، ج1، ص 664.

التصور اتّجاه الله تعالى وتصحيح التصور اتّجاه دينه. يقول سعيد حوى: التصور العام الصحيح عن شريعة الله فريضة يهملها الكثير ومجموع ما يطالب به كل إنسان من علم وعمل قضية لا يعرفها الكثير فيعرضونها عرضا قاصرا منثورا ومعرفة لوازم القيام بكثير من الواجبات المفروضة تغيب عن كثير من الناس فيهملون نتيجة لذلك الفرائض ومن ثم كان من فرائض هذا العصر البيان المستوعب لهذه الشؤون[1].

ومن المعاني المستفادة كذلك أنّ الذي له ملك السموات والأرض، لابدّ وأن يتّصف بالقدرة المطلقة وبالعلم الواسع، ومقتضى ذلك أنّه بعلمه وقدرته يشرّع الدين الصحيح الذي يحقّق مصالح العباد دنيا وآخرة، وأنّه ما دام له ملك السموات والأرض فهو الذي ينبغي أن يتوجّه إليه ويعتمد عليه.فمن أبعاد الكناية هنا بيان أنّ المسلم الذي يعرف ربّه معرفة صحيحة ،كالمعرفة بعلمه وقدرته وسعة ملكه ،لا بدّ وأن يطيع ويحسن العبادة.

## 4-الكتب السماوية اتّصال وارتباط:

قال الله تعالى:﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

الكناية في قوله:﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ والمعنى: أنّ القرآن الكريم آخر الكتب السماوية مصدّق للكتب السماوية التوراة والإنجيل على وجه الخصوص، والحقيقة أنّه لا توجد يدان وإنما هذا على سبيل الكناية، فالمراد( بما بين يديه ما سبقه وهو كناية عن السبق لأن السابق يجيئ قبل المسبوق ولما كان كناية عن السبق لم يناف طول المدة بين الكتب السابقة والقرآن ولأن اتصال

[1]- تربيتنا الروحية: سعيد حوى، مكتبة رباب، الجزائر، ص34.

[2]- البقرة 97.

العمل بها بين أهلها إلى مجيء القرآن، فجعل سبقهما مستمرا إلى وقت مجيء القرآن فكان سبقهما متصلا)[1].

فالمعنى إذن أنّ ثمّة اتّصال بين الكتب السماوية فالنصارى عندهم الإنجيل واليهود عندهم التوراة، نعم فيهما تحريف، ولكن فيهما أيضا ما يصلح للعمل به والتصديق به. ويبنى على هذا المعنى معان أخر منها: - أنّ اليهود والنصارى لا يزال عندهم شيء من الوحي وخاصة ما تعلّق بعلامات آخر نبيّ، فهم يكفرون لا عن جهل بل عن علم، أي كفروا تكبّرا و حسدا، فإذا عاقبهم الله تعالى فلا حجّة لهم. - ومن المعاني أيضا أن يتعرّف المسلم على حقيقة بني إسرائيل و طبيعة نفسيتهم، لماذا كفروا وهم أهل كتاب؟ لماذا كفروا و قد أنزل القرآن ووجدت كتب نزلت قبله لا تزال عند أهلها ولا تزال فيها حقائق و أخبار صادقة؟ لقد كفروا حسدا، ومن طبيعة الحاسد أنّه يتمنّى زوال النعمة عن المحسود، و لذلك فاليهود و النصارى يعادون الإسلام و المسلمين من لحظة نزول الوحي أوّل مرّة إلى قيام الساعة، و لقد أخبرنا الله تعالى بذلك فقال:﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ .. ﴾[2].مادام الحسد سجيّتهم،والتكبّر طبعهم.

## 5- أعرف عدوّك:

قال الله تعالى:﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[3].

وردت الكناية في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾، فمعنى (الغاية في﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ ﴾: الكناية عن اليأس من اتّباع اليهود والنصارى لشريعة الإسلام يومئذ لأنهم إذا كانوا لا يرضون إلا

[1]- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور: ج1،ص 622.

[2]-البقرة 120.

[3]-البقرة 120.

باتّباعه ملتهم فهم لا يتبعون ملته، ولما كان اتّباع النبي ملتهم مستحيلا كان رضاهم عنه كذلك)[1].

وهذا إخبار من الله تعالى، وتعريف لنفسية بني إسرائيل من اليهود والنصارى، فهم أخذوا موقفا وقرّروا أمرا، أن لا يتّبعوا دين الإسلام، وهذا ليس معناه ترك دعوتهم إلى الإسلام، ولكن لا داعي للحزن عليهم ولا للغمّ والهمّ إن لم يؤمنوا، فهم حاسدون متكبّرون.

ومعنى آخر يستفاد، وهو أن يبذل النبيّ عليه السلام جهده حينذاك في المسلمين، دعوة أصحاب الفطرة السليمة من غير أهل الكتاب، فالله تعالى يخاطب نبيّه عليه السلام قائلا( ليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضين عنك أبدا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضى الله في دعائهم إلى ما بعثك الله من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم، ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع مع الرضا بك إلا أن تكون يهوديا نصرانيا، وذلك مما لا يكون منك أبدا، لأنك شخص واحد،ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة، وإذا لم يكن إلى اجتماعها فيك في وقت واحد سبيل، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل، فالزم هدى الله الذي يجمع الخلق إلى الألفة عليه سبيل)[2].

و الحقيقة أنّ الخطاب و إن كان موجّها للنبيّ عليه السلام، والحديث يخصّ أهل الكتاب حينذاك، فإنّ العبرة تعمّ و تشمل، فإذا كان أهل الكتاب حسب طبيعتهم لن يقبلوا شريعة الإسلام، ولن يرضوا عن النبي عليه السلام حتّى يترك دينه و يتّبع دينهم، فمن باب أولى أهل الكتاب فيما بعد.والتاريخ يخبرنا عبر الحروب الصليبية و المؤامرات التي قام بها اليهود في العالم الإسلامي قديما و حديثا، أنّ أهل الكتاب هم هم﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ

[1]– التحرير والتنوير: ابن عاشور، ص 693.

[2] –جامع البيان عن تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1408هـ /1988م، ج1، ص517 .

﴿ مِلَّتَهُمْ ﴾. وفي الابتداء باليهود قبل النصارى، إشارة إلى أنّ اليهود أشدّ حقدا على الإسلام وأهله وأكبر خطرا من النصارى، وإن كان في كلّ شر،و لكلّ خطر وضر.وفي إيثار الجملة الفعلية و الإتيان بالفعل المضارع﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ ما يدلّ على استمرار اليهود و النصارى في عداوتهم و حقدهم، وفيها ما يدلّ على تجدّد العداوة جيلا بعد جيل، وعلى المسلمين أن يفهموا هذا وأن يستعدّوا له.

ومعنى آخر يمكن استخراجه من قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ هو أنّ اليهود و النصارى يفكّرون بعقلية الداعية، فهم يطمعون في إخراج المسلمين من دينهم ليدخلوهم في اليهودية والنصرانية" تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ " بل هم يحرصون حرصا شديدا عن طريق البرمجة و التخطيط،لاستمالة المسلمين إلى دينهم كما تنبئ عنه" حَتَّىٰ " التي تفيد معنى الغاية، وحاضر المسلمين اليوم خير دليل و أكبر شاهد على ذلك .

## 6- حكم الطغاة وسلب الحريات:

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[1]

الكناية في قوله تعالى:﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ ﴾ فالاستحياء ( استفعال يدل على الطلب للحياة أي يبقونهن أحياء أو يطلبون حياتهن ووجه ذكره هنا في معرض التذكير بما نالهم من المصائب أن هذا الاستحياء للإناث كان المقصد منه خبيثا وهو أن يعتدوا على أعراضهن ولا

[1] -البقرة 49.

يجدن بدا من الإجابة بحكم الأسر والاسترقاق فيكون قوله﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾كناية عن استحياء خاص ولذلك أدخل في الإشارة في قوله:﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ ولو كان المراد من الاستحياء ظاهره لما كان وجه لعطفه على تلك المصيبة)[1].

وردت الكناية في معرض توجيه الخطاب إلى بني إسرائيل وتذكيرهم بنعمة الله عليهم، وأنّ حقّ النعمة أن تشكر ويحبّ صاحبها، وأيّ نعمة؟ إنها تخليصهم من طغيان فرعون وجنده﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ .فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾[2].حيث ذبحوا الذكور وهتكوا أعراض النساء.

وممّا لاشكّ فيه أنّ أعظم شيء في حياة الإنسان- ناهيك أن يكون مؤمنا -هو شرفه.لقد ذكّرهم الله تعالى بنعمة تخليصهم من طغيان فرعون، حيث دافع عنهم وأغرق فرعون﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[3]. وفائدة هذا التذكير هو أن يشكروا الله باتّباع دينه الإسلام ونصرة نبيّه محمد عليه السلام، خاصّة وهم يعلمون أنّه مرسل بحق من ربهم الله تعالى.ومعنى آخر هو تحذيرهم من العصيان والكفر بالله تعالى، وإلاّ سلّط الله عليهم من لا يرحمهم، إذ أنّ الرحمة الكاملة والخير كلّه في الإسلام، والسماحة العظمى متّصلة بمحمد عليه السلام. كذلك من فائدة هذا التذكير أن لا يطغوا كما طغى فرعون فأغرق، وكذلك عاقبة كلّ الطغاة.

وبالاستفادة من قول الشيخ عبد الرحمان بن سعدي: والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع أن تفهم ما دلّ عليه اللفظ من العاني، فإذا فهمتها فهما جيّدا ففكر في الأمور التي تتوقف عليها ولا تحصل بدونها، وما يشترط لها، وكذلك فكر فيما يترتب عليها، وما يتفرع عنها، ويبني عليها، وأكثر من هذا التفكير وداوم عليه حتى يصير لك ملكة جيدة في الغوص على المعاني الدقيقة، فإن القرآن حق، ولازم الحق حق، وما يتوقف على الحق حق، وما يتفرع عن الحق

---

[1]- التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص 492.

[2]- الفجر( 11-12).

[3]- البقرة 50.

حق، ذلك كله ولابد فمن وفق لهذه الطريقة، وأعطاه الله توفيقا ونورا انفتحت له في القرآن العلوم النافعة، والمعارف الجليلة، والأخلاق السامية، والآداب الكريمة العالية[1].

باتّباع هذه الطريقة في استخراج ما أمكن من المعاني والأسرار، فإنّه من المعاني المتفرعة عن هذه الكناية في استحياء النساء وإبقائهنّ أحياء قصد الوقوع في أعراضهن، فإنّ الحاكم الطاغية البعيد عن منهج الله تعالى ، يمكنه أن يفعل كل شر، فينتج فسادا في الأرض عريضا، ويبلغ الخوف والحزن والشقاء مداه وأقصاه..بمعنى سيغرق الحاكم الطاغية البلد في بحر من المحن والفتن والمهالك.ولأجل ذلك يجب على المجتمع أن يعمل على إيجاد الحاكم العادل الصالح، بدءا بتربية النفس، ثمّ بتربية الأولاد، إلى مقاومة الطغيان، لأنّ الطغيان شرّ كلّه، وفساد كلّه.

فمن أبعاد الكناية في قوله تعالى:﴿ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ ﴾ بيان أنّ حكم الطغاة يؤدّي إلى ظلم وسلب حريّة الناس، حتّ أنّه يقع بسببه التعدي على الأعراض، لذلك وجب مقاومة الطغيان بكلّ ما أمكن.

## 7- واجبك التبليغ:

قال الله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[2]

الكناية في قوله تعالى ولا تسأل عن أصحاب الجحيم، مع بيان أنّه على قراءة ورش تقرأ "تسأل" بفتح التاء، أمّا على رواية حفص تقرأ "تُسْئَلُ " بضم التاء، وفي القراءتين هناك كناية.

فقوله تعالى على رواية حفص﴿ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ يضم التاء، وهي(قراءة الجمهور على أن (لا) نافية أي لا يسألك الله عن أصحاب الجحيم هو تقرير لمضمون" إِنَّآ

[1]- التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد: أ،د، عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، دار السلامة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر،ط1. 1428 هـ/2007م، ص 255.

[2] -البقرة 119.

﴿ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ " والسؤال كناية عن المؤاخذة و اللوم، أي لست مؤاخذا ببقاء الكافرين عن كفرهم بعد أن بلغت لهم الدعوة)[1].

و يستفاد من هذه الكناية، أنّ واجب النبي عليه السلام هو تبليغ الدعوة، فمن آمن فله الرضوان و الجنان،ومن كفر﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴾[2]. ولئن كان الخطاب موّجها للنبي عليه السلام، فإنّه يشمل أيضا جميع الدعاة و المصلحين من بعده، فالله لا يسألهم عن كفر الكافرين بمعنى لا يحاسبهم ويعاقبهم على ذلك، إن هم بلّغوا وبيّنوا وأحسنوا.

وفائدة عدم سؤال الله تعالى رسوله أو الدعاة من بعده، بمعنى عدم المحاسبة والمؤاخذة على كفر الكافرين، إنما هو من قبيل الدعم المعنوي لهم، فلا يحزنوا ويغتمّوا بسبب خوفهم من العقوبة كأنهم السبب في كفرهم، فالداعية يؤدّي واجبه فيحسن التبليغ و له ثواب هذا العمل، فليطمئن ويفرح برضوان الله تعالى.

وعلى قراءة ورش(ولا تسأل)بفتح التاء، هناك كناية أيضا فالسؤال(هنا مستعمل في الاهتمام والتطلع إلى معرفة الحال وهو كناية عن فظاعة أحوال المشركين والكافرين حتى إن المتفكر في مصير حالهم ينهى عن الإشغال بذلك لأنها أحوال المشركين و الكافرين لا يحيط بها الوصف ولا يبلغ إلى كنهها العقل في فظاعتها وشناعتها، وذلك أن النهي عن السؤال يرد لمعنى تعظيم أمر المسؤول عنه)[3].وهكذا مع وجود قراءتين للآية﴿ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ في كلّ كناية، ولكلّ كناية معنى بل معاني و فائدة بل فوائد، ولا تناقض ولا تضارب ولا تعارض، ومثل هذا وغيره من لغة القرآن وأساليبه( أثرّ القرآن في العرب تأثيرا عظيما واستحوذ على عقولهم)[4].

---

[1] –التحرير و التنوير: ا بن عاشور، ج1، ص692.

[2] –الغاشية (24/23).

[3] –التحرير و التنوير: ابن عاشور، ج1 ،ص 692.

[4] – الأدب الإسلامي قضاياه المفاهيمية و النقدية: أ،د، عباس محجوب، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص 14.

فالكناية على رواية ورش(ولا تسأل) بفتح التاء، ليس فيها معنى النهي عن السؤال عن أحوال الكفار يوم القيامة، وإنما فيها معنى تفخيم وتعظيم ما ينتظر هؤلاء الكفار من عقاب عظيم حتّ أنّه فوق طاقة العقل البشري تخيّله. ويلزم عن هذا المعنى معان أخر منها:- أن يحمد المسلم ربّه على أن هداه إلى الإسلام، وسهّل له طريق الفوز بالجنة، ونجّاه بذلك من هذا العقاب العظيم الذي ينتظر الكفار.- أن يبذل المسلم قصارى جهده في هداية الناس وإرشادهم، حتّ لا يموتون على الكفر، فيكون هذا المصير الفظيع، بدءا بأهله وأقاربه وأهل حيّه وغيرهم.

## 8- الحساب على كلّ الأعمال:

قال الله تعالى:﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

الكناية في قوله تعالى:﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾، أيديهم هنا ( أريد بها الأيدي حقيقة لأن غالب جنايات الناس بها وهو كناية عن جميع الأعمال، ولعل التكني بها دون غيرها لأن أجمع معاصيها وأفظعها كان باليد، فالأجمع تحريف التوراة والأفظع هو قتل الأنبياء لأنهم بذلك حرموا الناس من هدى عظيم)[2].نعم كيف يتمنّون الموت ويرجونه، وقد ارتكبوا من الذنوب أعظمها، من سوء الأدب مع الله تعالى وقتل الأنبياء.يقول الإمام الشوكاني:" **وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ** ". أي: بما قدمته من الذنوب التي يكون فاعلها غير آمن من العذاب بل غير طامع في دخول الجنة[3].

---

[1] - البقرة( 94-95).

[2] - التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص616.

[3] - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، م1، ص113.

هذه هي أمنيّة اليهود وظنّهم، أنّهم من أهل الجنّة، بل الجنّة لهم فقط.﴿ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾. عجيب أمرهم، كيف جاز لهم هذا الظن وهم أهل عصيان وأصحاب عدوان؟! إنّه الجهل والغرور، ولا برهان لهم ولا دليل، ولذلك طلب الله تعالى من نبيّه عليه السلام أن يطلب إليهم كي يتمنّوا الموت، ما داموا على يقين، وعلى أنّهم أصحاب مكانة رفيعة عند الله تعالى، لكنّهم لم يفعلوا وهذا دليل على أنّهم كاذبون مغرورون جهلة. ولسائل أن يسأل: إذا كان الإسلام ينهى عن تمنّي الموت فكيف يطلب من اليهود تمني ذلك؟ ويجاب على ذلك( بأن المراد هنا إلزامهم الحجة وإقامة البرهان على بطلان دعواهم)[1].

إذن فالكناية في قوله تعالى:﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ كناية عن جميع الأعمال أي عن جميع الذنوب، فهي محصية مسجّلة يحاسبون عليها، وأنّ الدار الآخرة ليست خالصة لهم من دون الناس بل سيعاقبون كأيّ مذنب.

وإذا كان (أسلوب التفسير يتجدد مع كل مفسر ومع كل عصر بحسبه، وذلك أمر طبيعي، فإنما يصور المفسرون ما فهموا من كتاب الله، وأداة فهم عقولهم، ومادة علمهم بيئتهم ومعارف عصرهم، فكان لزاما أن يظهر ذلك كله جليا في نفثات أقلامهم ومعرض أرائهم)[2]، فإنّ ثمّة معان أخر فهمتها منها: -أنّ استعمال "الأيدي" في الكناية عن جميع الأعمال معناه أنّ أعظم الذنوب ما كانت بالأيدي كالتحريف للكتب و الاعتداء الجسدي على الآخرين وأنها أعظم من معاصي اللسان والقلوب، ذلك أنّ من عمل ذنبا لا شكّ أنّه أراده أوّلا بقلبه فكانت معصية الباطن ثمّ ذكره بلسانه، فكانت معصية القول ثمّ بالغ ففعل، فالمعاصي العملية أعظم. -اعتقاد اليهود أنّ الدار الآخرة خالصة عند الله لهم من دون الناس، دليل إيمانهم بالآخرة، ولكنّهم كفروا بالأديان واعتدوا على الرسل عليهم السلام لاتّباع أهوائهم و تكبّرهم وجهلهم. ويلزم هذا المعنى معنى آخر يعمّ كلّ إنسان حتى المسلم، وهو أن التصديق بالآخرة وحده لا يكفي ما لم يكن ثمّة عمل صالح

[1] - المصدر نفسه :ج1، ص113.

[2] - مقاصد القرآن الكريم: حسن البنا، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ص 13.

فالإيمان بالآخرة مع وجود المعاصي الكبيرة، خاصة ما ارتبطت بالعدوان بالأيدي تجعل صاحبها خاسرا في الآخرة.

ولعلّ الكثير من المسلمين اليوم وقد انتشرت بينهم معاصي عملية كثيرة، يشبه اعتقادهم اعتقاد اليهود، فالمسلم يصلّي حتّى إذا خرج إلى السوق و باع و اشترى غشّ ودلّس وإذا عمل في الإدارة تهاون، وإذا تعامل مع الصفقات التجارية ارتشى...وفي أذهانهم جميعا ماداموا يقومون بحركات تسمىّ الصلاة ويؤمنون بالآخرة فهم عند الله من أهل الجنّة، وهذا خطأ وباطل.

## 9- النفاق طريق إلى ضياع مصالح الناس:

قال الله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[1].

قبل أن أتحدّث عن الكناية الواردة وعن معانيها وأبعادها، أذكر أوّلا سبب نزول هذه الآيات لنتعرف على المقصود بها، لأنّ معرفة سبب النزول يؤدّي إلى معرفة حقيقة المعنى. يقول عبد الفتاح القاضي: من فوائد معرفة سبب النزول: الاستعانة بسبب النزول على الوقوف على مرامي الآيات، ودفع الإشكال عنها، فإن في القرآن آيات لا يتبين المقصود منها إلا إذا علمت الأسباب التي نزلت الآيات في شأنها فإذا جهلت هذه الأسباب وقع الخطأ في فهم الآيات[2].

جاء في سبب نزول هذه الآيات، كما ذكر السدي: أنها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام وفي باطنه خلاف ذلك. وعن ابن

[1] - البقرة (204-205-206).

[2] - أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين: عبد الفتاح القاضي، ط1، ص06.

عباس: أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في حبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم فأنزلت في ذم المنافقين[1]. فهذه الآيات﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ ...﴾ نزلت في شأن المنافقين، والكناية واردة في قوله تعالى:﴿ وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ﴾، و الحرث هنا ( مراد منه الزرع، والنسل أطفال الحيوان مشتق من نسل الصوف إذ سقط وانفصل، وعندي أن إهلاك الحرث و النسل كناية عن اختلال ما به قوام أحوال الناس، وكانوا أهل حرث و ماشية فليس المراد خصوص هذين بل المراد ضياع ما به قوام الناس)[2].فإهلاك الحرث و النسل هنا كناية عن ضياع مصالح الناس و اضطراب الحياة الاجتماعية، وظهور الأزمات المختلفة.فإذا كان سبب النزول يوضّح أنّ المعني بهذا الإفساد هو المنافق، ليس في ذلك الزمان فحسب ولكن تعم كلّ المنافقين في كل عصر كما ذكر مجاهد[3].

فمن أبعاد الكناية هنا أنّ النفاق طريق إلى ضياع مصالح الناس، وأنّه إذا حكم المنافقون، وانتشروا في أمّة، لابدّ وأن يظهر الفساد، وتعمّ الفوضى، لأنّ المنافق يظهر عكس ما يخفي، يظهر القول الطيب، و يخفي المكر والخداع وكراهية الناس، لأنّه يبطن الكفر بمعاني الحساب، ولذلك فتهمّه مصالحه الدنيوية والذاتية ولو هلك الناس.

واستئناسا بقول فخر الدين الرازي: قد ثبت في أصول الفقه أن المتقدمين إذا ذكروا وجها في تفسير الآية فذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها، وإلا لصارت الدقائق التي يستنبطها المتأخرون في التفسير مردودة وذلك لا يقوله إلا مقلد خلف[4]. يمكن استخراج معاني و أسرار أخرى منها:- أهمّ مصالح الناس في أيّة أمّة إنّما هي الزراعة والفلاحة التي تشمل رعي الأنعام وكسب الماشية..فإذا بلغ الفساد الزراعة والماشية اضطربت الحياة الاجتماعية اضطرابا شديدا، ووقع للناس ضرر كبير على عكس لو وقع الفساد في الصناعة دون الزراعة فالضرر أقل.

---

[1] - تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج1 ، ص436.

[2] - التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور: ج1، ص 270.

[3] - المصدر نفسه: ج1، ص270.

[4] - مباحث في علم التفسير: د، عامر نايف الزوبعي، ص106.

– إذا كان الإفساد في الأرض مرتبط بالمنافق، فالإصلاح في الأرض مرتبط بأهل الخير والصدق والصلاح.– من علامات نفاق الإنسان وعدم صدقه عدم قبول النصيحة﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾– الإفساد في الأرض من أسباب ورود النار﴿ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾.

– لا يجوز للخيّرين و الصالحين من أهل كلّ بلد أن يسكتوا عن إفساد المفسدين حتى لو تعلّق الإفساد بالمصالح الدنيوية للناس﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾.

## 10– في علم الله بعملك غنى عن علم غيره:

قال الله تعالى:﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[1].

وردت الكناية في قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ وهي كناية عن الجزاء عليه لأنّ علم الله بالكائنات لا يشكّ فيه السامعون، فأريد لازم معناه، وإنما كان لازما لأنّ القادر لا يصده عن الجزاء إلاّ عدم العلم بما يفعله المحسن أو المسيء [2]. جاء في( الكشاف):﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ ﴾ لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه" وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ " الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو لا يوفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي."مِنْ أَنصَارٍ ": ممن ينصرهم من الله و يمنعهم من عقابه[3]. فمن معاني الكناية هنا﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ ﴾ أنّ الله مطّلع على أسرار

[1] – البقرة 270.

[2] – التحرير و التنوير: ابن عاشور، ج 3 ، ص 66.

[3] – الكشاف: الزمخشري، ج1، ص152.

العباد، عارف بضمائرهم، مطّلع على أحوالهم الباطنة والظاهرة، فمن أنفق من مال في سبيل الله لفقير أو لغيره ومن أوفى بنذر، فالله عالم بذلك، مجاز عليه، شاكر لصاحبه، و إذا علم المسلم ذلك كفاه علم الله عن علم غيره، وكفاه اطّلاع الله عن اطّلاع غيره، وكفاه جزاء الله عن شكر غيره.

فمن أبعاد الكناية هنا أن يتعلّم المسلم أنّ الله مجازيه عن كلّ أعماله بعد علمه بها، فلا يهمّه علم الناس، أو جهلهم بها، فيكفيه أنّ الله يعلم و يجازي وثمة معان آخر يمكن استخراجها منها: – أنّ من أعظم أعمال المسلم التي يجازي الله تعالى عليها هي الإنفاق في سبيل الله قليلا أو كثيرا إذا أريد بها وجه الله تعالى. – الله يحبّ الوفاء بالنذر حتى يجازي عنه﴿ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾. – الله يبغض المتصف بالبخل و الإمساك عن الإنفاق و هذا يتضمّنه قوله تعالى:﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾، يقول سيد قطب: فأمّا الذي لا يقوم بحق النعمة والذي لا يؤدّي الحقّ لله ولعباده والذي يمنع الخير بعدما أعطاه الله إياه فهو ظالم[1].– الله يعلم ما في قلب المنفق إذ بالإخلاص أو بالرياء، فمن أنفق بالرياء فهو ظالم.يقول الإمام القرطبي: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾: في الآية معنى الوعد و الوعيد، أي من كان خالص النيّة فهو مثاب، ومن أنفق رياء أو لمعنى آخر ممّا يكسبه المنّ و الأذى ونحو ذلك فهو ظالم، يذهب فعله باطلا ولا يجد له ناصرا فيه[2].

و ممّا هو معلوم أنّ ثمّة تناسبا بين الآيات، و ترابطا وتناسقا بين المعاني، ولقد ذكر الله تعالى صفة الحكمة، المرتبطة بأولي الألباب، مباشرة قبل آية الترغيب في النفقة في سبيل الله، ليدلّنا على أنّ الحكيم، وصاحب العقل الكامل التام هو من ينفق ماله في وجوه الخير، ويعين به الفقراء والمساكين، وينصر به من يستحقّ النصرة من دين أو عرض..فمن أمسك وبخل فهو جاهل سفيه ناقص العقل.قال الله تعالى:﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا

[1] – في ظلال القرآن: سيد قطب، م 1،ص307.

[2] – الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج3 ، ص331.

كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ . وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[1].

فأهل الحكمة هم أولوا الألباب ،هم أهل الجود ،لمعرفتهم بربهم ،وثقتهم في جزائه.

## 11- الله يراقب و يحاسب:

قال الله تعالى:﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2].

الكناية في قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.فالبصير ( كناية عن عدم إضاعة جزاء المحسن و المسيء لأن العليم القدير إذا أراد شيئا فهو يرتب عليه ما يناسبه إذ لا يذهله جهل ولا يعوزه عجز وفي هذا وعد لهم يتضمن وعيدا لغيرهم لأنه إذا كان بصيرا بما يعمل المسلمون كان بصيرا بما يعمل غيرهم[3].

إنّ من أبعاد الكناية هنا أن يعلم المسلم يقينا أنّ الله تعالى يراقب و يحاسب، فهو بصير بما يعمل الإنسان، محص عليه عمله، قلّ أو كثر. وثمّة معان أخر وأسرار في الآية منها: - أن يكثر المسلم من فعل الخير مادام الله تعالى بصير به وقد وعده بالجزاء.﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ

---

[1] - البقرة( 269- 270).

[2] - البقرة 110.

[3] - التحرير و التنوير: ابن عاشور: ج1، ص 672.

﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾. – أنّ الخير الذي يقدّمه المسلم كالجود و الكرم و الصدقة فإنّما نفعه يعود عليه آجلا وعاجلا. ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم﴾. – أنّ أعظم خير يقدّمه الإنسان لنفسه و يجازيه عليه ربّه، إنما هو الصلاة، هذه الصلاة التي فيها معنى حسن التعامل مع الله تعالى، وفيها معنى الاهتمام بالآخرة التي إليها المعاد، وفيها معنى الاهتمام بالجانب الروحي للإنسان، كي يتخلّص من ضغوطات الحياة، ويتجاوز الأحزان، ويجلب راحة النفس، فالذين لا يهتمّون بالصلاة يحزنون ويشقون ويبأسون، وربما ينتحرون معنويا أو ماديا(فالسويد وهي أعلى دول العالم في نصيب الفرد من ترف الحياة، ومع ذلك فإن الإحصائيات تقول إنها من أعلى دول العالم في الانتحار و الأمراض العصبية و النفسية...المسألة ليست مسألة مادية فقط)[1]. – كذلك من الخير العظيم أجر و ثواب الزكاة التي فيها معاني حسن التعامل مع الناس.. وإذا كانت الصلاة فيها نظر إلى الآخرة، فالزكاة فيها نظر إلى الدنيا، فالإسلام دين( ليس موضوعه الآخرة فقط بل هو ينظم حركة الإنسان في الدنيا)[2] في الشؤون المختلفة.

## 12– النفاق يورث سفاهة و جهلا:

قال الله تعالى:﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾[3].

فنفي الاهتداء عنهم ( كناية عن إضاعة القصد أي أنهم أضاعوا ما سعوا له و لم يعرفوا ما يوصل لخير الآخر ولا ما يضرّ المسلمين. وهذا نداء عليهم بسفه الرأي وهو كما علمت فيما تقدم يجري مجرى العلة لعدم ربح التجارة، فشبّه سوء تصرفهم حتى في كفرهم بسوء تصرف من يريد الربح، فيقع في الخسران. فقوله﴿ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ تمثيلية ويصحّ أن يؤخذ منها كناية عن

[1] –المختار في تفسير القرآن الكريم: محمد متولي الشعراوي، دار الشهاب، باتنة ،الجزائر، ج1، ص46.

[2] –المرجع نفسه: ج1، ص46.

[3] – البقرة 16.

الخسران وإضاعة كل شيء لأن من لم يكن مهتديا أضاع الربح وأضاع رأس المال بسوء سلوكه)[1].من هؤلاء الذين اشتروا الضلالة بالهدى فكانت النتيجة أنهم لم يربحوا في تجارتهم ولم يكونوا مهتدين إلى الطريق الموصل إلى الربح؟ إنّهم المنافقون الذين أبطنوا الكفر والمكر والخداع وأظهروا الإسلام في بعض جوانبه الشكلية كالصلاة مع المسلمين.

فهؤلاء المنافقون غرسوا في أنفسهم النفاق، فكانت النتيجة أنّهم لم يهتدوا إلى سبل الخير والرشاد، بل ساروا في طريق الشر، فكانوا يظلمون ويعتدون على المسلمين، وظنّوا أنّهم يظهرون ويعزّون، ولكن خاب ظنهم وضلّ سعيهم، فكانوا الأذلة المغلوبين، وانتصر الإسلام وعزّ المسلمون. ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾[2]. قال قتادة:﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾: قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة ومن الجماعة إلى الفرقة ومن الأمن إلى الخوف[3]. فالنفاق يجعل صاحبه يسيء التصرف بسوء الفهم، فالفهم الصحيح للخير والفهم الصحيح للطريق المؤدّي إليه، إنّما ينتج عن الصدق والإيمان الحقيقي، أمّا النفاق فصاحبه تحصل له سفاهة العقل، ثمّ سوء التصرف والعاقبة الضلال والخسران.

فالكناية هنا في قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ تصحّح تصوّر المسلم نحو النفاق والإيمان، وتدفعه إلى بناء العقيدة الصحيحة التي تؤدّي إلى السلوك القويم .والقرآن كلّه ومنه سورة البقرة تفصّل في بيان حقيقة النفاق وعلاماته، وحقيقة الإيمان وعلاماته.

## ثانيا:الأبعاد الاعتقادية للتعريض( بناء العقيدة وتصحيح الفكر):

يهدف القرآن الكريم إلى بناء العقيدة الصحيحة للإنسان، وتزكية النفس، وتقويم السلوك، ليصنع منه إنسانا صالحا، يستحق أن يكون خليفة لله تعالى في أرضه﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ

[1] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص 301.

[2] – النصر 10

[3] – جامع البيان عن تأويل أي القرآن: الإمام الطبري، ج1، ص137.

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(البقرة30) .وليكون مؤهّلا لدخول الجنّة في الآخرة﴿ وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾(العصر). لأجل ذلك استعمل القرآن الكريم أساليب مختلفة.. المجاز والحقيقة، التصريح والتعريض...وفي سورة البقرة التي هي أطول سور القرآن الكريم استخدم فيها التعريض، والهدف من ذلك تقديم معاني لا تقدر الحقيقة على تقديمها وقد اقتضى العرب بالتعريض في كلامهم نثرا وشعرا. قال الثعالبي: العرب تستعمل التعريض في كلامها فتبلغ إرادتها بوجه ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كلّ وجه وقد جعله الله في خطبة النساء جائزا فقال:﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾( البقرة235). و لم يجز التصريح[1].

ومن الأبعاد الاعتقادية للتعريض في سورة البقرة مايلي:

## 1-القرآن الكريم ( المعجزة والتحدي):

قال الله تعالى:﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

ففي قوله تعالى:﴿الٓمٓ ﴾ إشارة إلى كون القرآن الكريم معجزة، هذه المعجزة تحدّى الله بها العرب وهم أهل فصاحة وبلاغة، ولكن لا طاقة لهم ولا لغيرهم أن يأتوا بمثل القرآن الكريم في أسلوبه ونمطه،ناهيك عن أحكامه ومعانيه، فكلامهم إذا قيس إلى كلام الله تعالى، ككلام الأمّي الذي لا يقرأ ولا يحسن الكتابة اللّهم إلاّ على صورة التهجي، وفي هذا ما يدلّ على كون القرآن معجزة فوق طاقة البشر أن يأتوا بمثله، وفيه أيضا دعوة إلى التحدي، فمن كان في شكّ أو تكذيب، فليبحث في القرآن، أو ليأت بمثله.جاء في ( التحرير والتنوير): الٓمٓ سيقت مساق

[1] – البلاغة العربية في ثوبها الجديد: د، بكري شيخ أمين، ج2، علم البيان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط10، 2006م، ص 150.

[2] – البقرة( 1،2).

التهجي مسرودة على نمط التعديد في التهجية تبكيتا للمشركين وإيقاظا لنظرهم في أنّ هذا الكتاب المتلو عليهم وقد تحدوا بالإتيان بسورة مثله هو كلام مؤلّف من عين حروف كلامهم كأنه يغريهم .بمحاولة المعارضة ويستأنس لأنفسهم بالشروع في ذلك بتهجي الحروف ومعالجة النطق تعريضا بهم .بمعاملتهم معاملة من لم يعرف تقاطيع اللغة، فيلقنها كتهجي الصبيان في أول تعلمهم بالكتاب حتى يكون عجزهم عن المعارضة بعد هذه المحاولة عجزا لا معجزة لهم فيه[1].ففي هذه الحروف المقطعة – حيث ابتدأت بها السورة- استفزاز للكفار، فأنتم أمّيون بالنسبة لنظم هذا القرآن، فإن لم تقبلوا ذلك، فأتوا بمثله، أو بسورة من مثله.

وفي هذه الحروف أيضا، دعوة لكلّ باحث عارف عاقل منصف، أن يبحث في هذا القرآن، يبحث في شكله ومضمونه.. في لغته وبلاغته.. وفي أحكامه وتشريعاته، ليخلص في النهاية أنّ هذا القرآن تنزيل ربّ العالمين.

وثمّة أسرار أخر لهذه الحروف المقطعة،جاء في( التفسير القيم): تأمّل سر(الٓمٓ) كيف اشتملت على هذه الحروف الثلاثة، فالألف إذا بدئ بها أولا كانت همزة وهي أوّل المخارج من أقصى الصدر، واللام من وسط مخارج الحروف وهي أشدّ الحروف اعتمادا على اللسان، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم وهذه الثلاثة هي أصول مخارج الحروف: أعني الحلق واللسان والشفتين وترتيب في التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية. فهذه الحروف معتمد المخارج الثلاثة التي تتفرع منها ستة عشر مخرجا، فيصير منها تسعة وعشرون حرفا عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين مع تضمنها سرا عجيبا.وهو أن للألف البداية واللام التوسط والميم النهاية، فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والوساطة بينهما. وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسطه، فمشتملة على تخليق العالم وغايته،وعلى التوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر، فتأمل ذلك في« البقرة وآل

[1] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص 212.

عمران وتنزيل السجدة وسورة الروم»[1].وهذا السر الذي أشار إليه ابن القيم الجوزية له علاقة بمعنى كون القرآن معجز وأنّ التحدّي كان ولايزال للكفار، فتشريع القرآن وأوامره كلّها خير وفيها مصالح العباد دنيا وآخرة، وأنّ غيرها من التشريعات فيها نفع وضر كثير، مثل تحريم الخمر في القرآن، وإباحته عند الغرب، وتشريع القصاص، تركه عند عموم الغرب، ولكن أنظر إلى واقع العالم اليوم أخلاقيا وأمنيا؟!.

والبعد الاعتقادي المراد من التعريض،هو إيمان المسلم أنّ القرآن الكريم مصدره الله تعالى،وأنّه معجزة محمّد عليه السلام، والمسلم العارف صاحب العلم عليه بدراسة القرآن الكريم ليتحقّق من ذلك، فلغة القرآن ليست كأيّة لغة، وأسلوبه ليس كأيّ أسلوب، وأحكامه صحيحة صالحة.وهذا الاعتقاد بالقرآن الكريم هو الذي يدفع المسلم إلى الإقبال على التزام دينه، إقبال المحبّ الفاهم.

كذلك في التعريض تصحيح لتصوّر المسلم اتّجاه الكافر فأكثر الذين كفروا لم يدرسوا القرآن الكريم ولو درسوه لعرفوا أنّه حقّ وأنّه معجز، وأنّه أولى بالاتّباع. فإذا كان عناد الكافر ناتجا عن الجهل بالقرآن الكريم، وناتجا عن التكبّر بعد ذلك، فعلى المسلم أن لا يهتمّ بكفر الكافرين، وعناد الملحدين، وتذبذب الشاكّين بل عليه الإقبال على دينه والاستفادة منه، فإذا كان لا بدّ من الالتفات إلى الكفّار والمشكّكين،فهو التفات بيان ونصح.

## 2-نظرة المنافقين اتجاه المسلمين:

قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾[2].

ورد التعريض في قوله تعالى:﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ فهذا قول المنافقين، إنّهم يعتقدون بأنّ الذي حمل المسلمين على الإيمان بالله تعالى وبرسوله ودينه، إنّما هو السفه وقلّة

[1] – التفسير القيم: ابن القيم الجوزية ، ص 123.

[2] – البقرة 13 .

الفهم ولذلك فهم لم يؤمنوا لأنهم أصحاب ذكاء وعقل راجح.فقوله تعالى:﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾. استفهام (للإنكار، قصدوا منه التبرؤ من الإيمان على أبلغ وجه وجعلوا الإيمان المتبرئ منه شبيها بإيمان السفهاء تشنيعا له وتعريضا بالمسلمين بأنهم حملهم على الإيمان سفاهة عقولهم ودلوا على أنهم علموا مراد من يقول لهم كما آمن الناس أنه يعني بالناس المسلمين)[1].هذه هي نظرة المنافقين للمسلمين- الذين شهدوا لله بالوحدانية صدقا، واتبعوا نور القرآن حقا- نظرة استعلاء، يظنّون بأنهم أذكى وأعقل وأفهم من المسلمين، وأمّا المؤمنون أصحاب رسول الله عليه السلام فهم سفهاء، لا فهم لهم ولا ذكاء.

وواضح أنّ الإيمان الذي آمنه الصحابة رضوان الله عليهم، هو الإيمان الذي بيّنه القرآن الكريم، وفسّر أمره عمليّا محمّد صلى الله عليه وسلم، هذا الإيمان مبنيّ على الإقرار لله تعالى بالألوهية الكاملة.. هو الخالق وهو الآمر والناهي، ومبنيّ على أساس اتّباع النبي عليه السلام، بمعنى هو إيمان الخضوع لله تعالى والاستسلام.. إيمان البذل والتضحية في سبيل الله تعالى.كما قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[2].

والمنافق جبان بخيل مضطرب النفس، لا يمكنه أن يؤمن هذا الإيمان، فيكون مع الصحابة رضوان الله عليهم في البذل والعطاء، وفي الخضوع والاستسلام. ولكنّ المنافق لا يعترف أنّه جبان وبخيل وضعيف، لذلك فهو يستخدم أسلوب التعريض بالمؤمنين الصادقين وأنهم ما اتّبعوا الرسول محمّدا عليه السلام إلاّ لسفاهة عقولهم، أمّا هم لم يتّبعوه لأنّهم أهل فطنة. فما أجهلهم؟! إنّ الله تعالى

[1] – التحرير والتنوير: ابن عاشور،ج1، ص 287.

[2] – البقرة 177 .

حكم على أنّهم هم السفهاء لأنهم جهلة لا يعلمون.﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾، و(متى علم السفيه أنه سفيه ومتى استشعر المنحرف أنه بعيد عن المسلك القويم)[1]. يقول محمد لطفي جمعة: ولشد ما خسرت الإنسانية بفقد العباقرة والمصلحين حيال هؤلاء المرضى والمجانين والجهلاء من حكام أو ولاة أو زعماء أو أغنياء أو أرباب نفوذ.. وكلهم في الغفلة والشر سواء، وإن هذه الآيات الثلاث تعطينا أوضح صورة لجانب من جوانب الخيبة في المجتمع الإنساني في كل عصر بسبب وقوف الأوغاد في وجوه المصلحين الصالحين وأن هؤلاء ليقفون في وجه الخير وقد تذوقوه أو رأوا تباشيره ووثقوا من صحة حدوثه ووقوعه لهم ولغيرهم على أيدي المصلحين ولكنه يكون الحسد تارة والحقد طورا والعناد ومرض العقل أحيانا[2].

إنّ من أبعاد التعريض بالمسلمين في قوله تعالى:﴿ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾. هو تقديم تصوّر صحيح اتّجاه ما يحمله المنافق من اعتقاد عن المسلمين الصادقين، إنهم ينظرون إليهم نظرة فوقية استعلائية، يظنّون أنهم أهل فطنة وذكاء، وأنّ المسلمين أهل سفاهة وضعف الرأي وقلّة الفهم وهذا يؤدّي إلى احتقار المنافق للمسلم وإلحاق الأذى به.والمسلم حين يعرف هذا عن المنافق، لابدّ أن يأخذ حذره، وأن يثبت على دينه.

وإذا نظرنا إلى واقعنا اليوم،نسمع أقوالا من فئات تشبه ما حكى القرآن:﴿ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾.إنّها فئة مثقفة ثقافة غربية، ولا علاقة لها بالإسلام إلا بالاسم، تتّهم كلّ من يدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، في مبادئها وأحكامها وحدودها. تتّهمه بالرجعية ومن معاني الرجعية التخلف حيث لا مدنية ولا تحضر، وتعتقد هذه الفئة أنّ التقدم والازدهار يكون بالتخلّي عن الدين.والموقف من هؤلاء هو ما دعا إليه الله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾ فهذه الفئة التي تدّعي العصرنة والحداثة بتركها للدين، وبمحاربتها لأهل الدين، هي السفيهة. يقول

[1] – في ظلال القرآن: سيد قطب، م1، ص38.

[2] – نظرات عصرية في القرآن الكريم: محمد لطفي جمعة، تقديم: جاد الحق علي جاد الحق، عالم الكتب، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص53.

محمد فاروق الزين:﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾:لأنهم ضعاف العقول حقا إذ جعلوا الدنيا منتهى أملهم وأهملوا الآخرة﴿ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ اختلطت عليهم الأمور بسبب اتباع الهوى والحرص على الدنيا.[1].

يستنتج مما سبق ذكره أنّ التعريض من قبل المنافقين بالمسلمين في قوله:﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ فيه بيان لطبيعة المنافقين الحاقدة على الإسلام وأهله، فعلى المسلم الصادق الثبات على دينه وعدم الثقة بأمثال هؤلاء.

**3- لا معبود بحقّ سوى الله القوي:**

قال الله تعالى:﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾24.

حين نزل القرآن الكريم،كان العرب يشركون بالله تعالى، حيث جعلوا بينه وبينهم أصناما يعبدونها، ظنّوا أنها تقرّبهم منه، وقد نصبوا حول الكعبة أكثر من ثلاثمائة صنم، وفي البيوت كانت أصنام تعبد، فأخبرهم الله تعالى، أنّ هذه الأصنام لا تنفع في الدنيا ولا تنفع يوم القيامة، بل على العكس هذه الأصنام ستكون معهم في النار يوم القيامة تحرقهم وتحرق معهم. وهذا تعريض بهم أنّ ما عبدوه من حجارة ظانّين نفعها، ستحرق معهم وتذلّ ولن تدفع عنهم ضرا، وفي هذا دعوة الكفرة إلى التأمّل في عاقبة الأمر.جاء في (التحرير والتنوير): ومعنى وقودها الحجارة أن الحجر جعل لها مكان الحطب لأنه إذا اشتعل صار أشد إحراقا وأبطأ انطفاء ومن الحجارة أصنامهم فإنها أحجار.وفي هذه الآية تعريض بتهديد المخاطبين والمعنى المعرض به فاحذروا أنّ تكونوا أنتم وما عبدتم وقود النار.وقرينة التعريض قوله: «فَٱتَّقُوا۟ » وقوله«وَٱلْحِجَارَةُ» لأنهم لما أمروا باتقائها أمر تحذير علموا أنهم هم الناس ولما ذكرت الحجارة علموا أنها أصنامهم، فلزم أن يكون الناس هم

[1] – بيان النظم في القرآن( الربع الأول): محمد فاروق الزين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص 32.

عبّاد تلك الأصنام فالتعريض هنا متفاوت فالأول منه بواسطة واحدة. والثاني بواسطتين، وحكمة إلقاء حجارة الأصنام في النار مع أنها لا تظهر فيها حكمة الجزاء أن ذلك تحقير لها وزيادة إظهار خطأ عبادتها فيما عبدوا، وتكرر لحسرتهم على إهانتها، وحسرتهم أيضا على أن كان ما أعدّوه سببا لعزّهم وفخرهم سببا لعذابهم، وما أعدوه لنجاتهم سببا لعذابهم[1].

وهذا مصير كل ما عبد من دون الله تعالى الذل والصغار، ومصير الكافرين النار. وبالمقابل فالعابدون لله تعالى هم أهل العزّ والفوز. وإن كان في قوله تعالى:﴿ **وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ** ﴾ تعريض بالكافرين بأنّ ما عبدوه سيصير إلى الذل والهوان، ويكون سببا في هلاكهم فإنه في المقابل دعوة للمسلم أن يثبت على دينه، وعبادته لربّه.

## 4- دليل الإيمان وثمرته:

قال الله تعالى:﴿ **وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ** ﴾[2].

أنزل الله تعالى القرآن الكريم لهداية الإنسان وتربيته فكريا ونفسيا وسلوكيا، والمؤمن الصادق هو من آمن بقلبه وعمل بجوارحه، ولئن كان للإيمان بالله تعالى أهمية كبرى، فإنّه لا معنى لهذا الإيمان ما لم يقرنه صاحبه بأعمال.فقوله تعالى﴿ **وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ** ﴾ فيه( أمر بأعظم القواعد الإسلامية بعد الإيمان والنطق بكلمة الإسلام وفيه تعريض بحسن الظن بإجابتهم وامتثالهم للأوامر السالفة وأنهم كملت لهم الأمور المطلوبة وفي هذا الأمر تعريض بالمنافقين ذلك أن الإيمان عقد قلبي لا يدل عليه إلا النطق، والنطق اللساني أمر سهل قد يقتحمه من لم يعتقد إذا لم يكن ذا غلو في دينه فلا يتحرج أن ينطق بكلام يخالف الدين إذا كان غير معتقد مدلوله كما قال تعالى:﴿ **وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا** ﴾، فلذلك أمروا بالصلاة والزكاة لأن الأولى عمل يدل على تعظيم الخالق والسجود إليه وخلع الآلهة، ومثل هذا الفعل لا يفعله المشرك لأنه يغيظ

[1] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص345.

[2] – البقرة 43.

آلهته بالفعل ويقول الله أكبر، ولا يفعله الكتابي لأنه يخالف عبادته. ولأن الزكاة إنفاق المال وهو عزيز على النفس فلا يبذله المرء في غير ما ينفعه إلا عن اعتقاد أخروي)[1]. جاءفي(الكشاف): (﴿ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾: الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله)[2].

ويستنتج مما سبق ذكره أنّ الإيمان إن لم يقترن بعمل وطاعة لله تعالى في كل أمر، فلا قيمة لهذا الإيمان.ففي قوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ تعريض بمن نطق لسانه بالشهادتين وادّعى الإيمان، ولكنّه لم يضحّ بماله في سبيل ربّه، و لم يتعب نفسه بأداء الواجبات، وفي هذا تصحيح لتصور المسلم حول قضية الإيمان، فالإيمان ليس مجرد قول أو اعتقاد فحسب، بل هو خضوع لله تعالى.ولئن كان الخطاب موجّها للمنافقين لبني إسرائيل زمن نزول الوحي، فإنّه يشمل كل إنسان اتّصف بهذا، حيث آمن بلسانه واعتقد بعقله ولكنّه لم يخضع لأحكام الله تعالى. فما معنى تعطيل الشريعة الإسلامية عن التطبيق في البلدان العربية سياسيا واقتصاديا وفي الحدود؟! وما معنى وجود انحرافات و سلوكات تخالف ما أمر الله تعالى من غش ورشوة وغير ذلك؟!

إنّ قادة المسلمين اليوم والمصلحين عليهم واجب تربية الناشئة على الإيمان الصحيح، إيمان الاعتقاد، وإيمان العمل، بما يحقّق توحيد الله تعالى فكرا وسلوكا.

## 5- دور العقل في معرفة الخالق:

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ

[1] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص472.

[2] – الكشاف: الزمخشري، ج1، ص 66.

فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[1].

إذا كان ما نراه ونحس به إنما ندركه عن طريق الحواس، فإنّ الله تعالى الذي﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾(الإخلاص). إنما يدرك بالعقل لا بالحواس، وما بث الله تعالى في الكون من آيات..من شمس وقمر وأرض وسماء وغير ذلك..فإنما يهدف إلى الحث على النظر العقلي للوصول إلى معرفة الخالق.. معرفة وجوده وصفاته وأفعاله.. فمن لم يصل إلى معرفة خالقه ويبقى جاحدا أو شاكا فقد عطل عقله.ومن عطل عقله عن معرفة ربه وخالقه فهو بالحيوان أشبه.ففي قوله تعالى:﴿ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ أي أن في( ذلك آيات للذين سجيتهم العقل وهو تعريض بأن الذين لم ينتفعوا بآيات ذلك ليست عقولهم راسخة ولا هي ملكات لهم)[2].

إن ّالله تعالى أنزل القرآن وفيه آيات ترشد الإنسان إلى النظر في الكون والاعتبار، ليؤمن الإنسان نظر عقل واستدلال، وليعرف ربه بيقين، فيستجيب بعد ذلك لأحكامه. فالكون تحكمه قوانين ونظام محكم يربط أجزاءه، مما يدل على وجود الصانع المبدع المنظم﴿ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ ومع هذا( فإن هناك من لا ينظر ولا يتعقل فيحيد عن التوحيد الذي يوحي به تصميم الوجود والنظر في وحدة الناموس الكوني العجيب)[3].وإنّ المؤمن ليعجب في عصر العلوم والتكنولوجيا ما تزال أناس يلحدون ويكفرون بوجود الله تعالى، فأي عقل لهم؟!

فمن أبعاد التعريض هنا بيان دور العقل في حياة الإنسان، وأنّ من أهم أدواره معرفة الخالق للكون عن طرق النظر في نظام الكون.

---

[1] – البقرة 164.

[2] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج2، ص 89.

[3] – في ظلال القرآن: سيد قطب، م1، ص 146.

## 6- بين الغباء والكفر بالنعماء:

قال الله تعالى:﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1].

أنعم الله تعالى على بني إسرائيل بنعم شتّى،إذ بعث فيهم رسولا منهم موسى عليه السلام،ونجّاه من ظلم فرعون، وظلّلهم بالغمام،وأنزل عليهم المنّ والسلوى،فماذا فعل بنو إسرائيل؟ أنظر إلى التعبير القرآني﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ فيه دلالة على أنّهم قابلوا النعم بالإساءة والعصيان والجحود لهذه النعم. وهذا التعقيب في نهاية الآية بعد ذكر النعم فيه ( تعريض بمذمتهم إذ قابلوا الإحسان بالكفران وفيه تعريض بغباوتهم إذ صدفوا عن الشكر كأنهم ينكون بالمنعم وهم إنما يوقعون النكاية بأنفسهم)[2].إنّ الله تعالى يتزل النعم والمنتظر من الإنسان الشكر، فإذا جحد الإنسان هذه النعم وكفر بربّه وأساء الأدب معه، فالله قادر على إزالة النعم واستبدالها بالنقم، وعندها يحزن الإنسان ويهلك. أليس في هذا غباء من الإنسان الجاحد للنعم؟!

إنّ هذا التعريض الوارد في قوله تعالى:﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾. يعمّ الناس جميعا ولا يخصّ بني إسرائيل، فمن لم يشكر نعم الله بحسن الطاعة وفعل الخير عوقب بالحرمان والفتن. وفي هذا تصحيح لتصور المسلم في كيفية مقابلة نعم الله تعالى فمن لم يعمل خيرا بها، و لم يشكر الله عليها عوقب وعذّب، فكان بهذا ظالما لنفسه إذ سبّب لها الهلاك والحرمان.

ولعلّ ما يحدث في البلدان العربية من محن وفتن هو من قبيل النتائج المترتّبة على كفران نعم الله تعالى، والتي منها نعمة الاستقلال والتحرّر وطرد المحتل، وبدل أن يعود الناس حاكمين ومحكومين إلى شكر الله بتطبيق شريعته، استوردنا أنظمة حكم أكثر ما فيها يتعارض مع دين الله تعالى الإسلام. فهل هذا هو جزاء الله تعالى الذي أعان على طرد المحتلين؟!

---

[1] – البقرة 57.

[2] – التحرير والتنوير: ابن عاشور،ج1، ص 511.

## 7- تحريف الأديان و حفظ القرآن:

قال الله تعالى:﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[1].

المعنى الإجمالي كما هو واضح، أنّ إرضاء اليهود غاية مستحيلة لأنّهم يريدون ترك دين الإسلام و اتّباع دينهم..طبعا اليهود يريدون اتّباع ملّتهم، والنصارى يريدون ذلك، وهذا محال.وهي دعوة صريحة للنبي عليه السلام وللمؤمنين جميعا،أن يثبتوا على دينهم،ولا يلينوا لرغبات اليهود لأنّها أهواء وجهل .وفي الآية تعريض لأنّه (يجوز أن يكون المراد بهدى الله الذي أنزله إلي هو الهدى يعني أن القرآن هو الهدى إبطالا لغرورهم بأن ما هم عليه من الملة هو الهدى وأما ما خالفهم ضلال. والمعنى أن القرآن هو الهدى وما أنتم عليه ليس من الهدى لأن أكثره من الباطل فإضافة الهدى إلى الله تشريف، والقصر إضافي، وفيه تعريض بأن ما هم عليه يومئذ شيء حرفوه ووضعوه)[2].

وهذه شهادة من الله تعالى خالق الإنسان، العليم بالسر والإعلان، أن ما عند اليهود والنصارى من آيات باطل، وأنّ ما يدّعون أنّه من عند الله تعالى، إنّما هو صادر عن هوى وجهل.

فمن أبعاد التعريض في هذه الآية، بناء عقيدة المسلم اتّجاه غيره من الأديان، فالقرآن هو الكلام الصحيح الذي مصدره الله تعالى لا يتغيّر ولا يتبّدل، وما عند أهل الكتاب إنّما هو الباطل والضلال.

لقد عاصر المسلمون في المدينة –من أول مرة– أهل الكتاب وخاصّة اليهود، ولعلّ أهل الكتاب يتسلّلون حينا بعد حين إلى عقيدة المسلمين لينالوا منها ولو على سبيل التشكيك، فكان القرآن يتنزّل على النبي عليه السلام، ليصحّح العقيدة ، ويثبّت الإيمان في القلوب.فهذه الآية﴿ وَلَن

[1] - البقرة 120.
[2] - التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص 693.

﴿ تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ فيها دعوة المسلمين أن يلتفتوا إلى دينهم الإسلام، وكتاب ربّهم القرآن فهو الحق وما عداه الباطل.

## 8- من علامات المؤمن الصادق:

قال الله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ بيان لأوّل مواصفات المتقين الذين اهتدوا بالقرآن الكريم، وهي صفة الإيمان بالغيب.والإيمان بالغيب له معنيان في الآية: المعنى الأوّل: أي يؤمنون بالله تعالى واليوم الآخر والملائكة وغيرها من أركان الإيمان التي غابت عن حس الإنسان، ولكن صدق بها المؤمن لوجود أدلة على ذلك وعاها بعقله وأدركها بعلمه. والمعنى الثاني: يؤمنون (بظهر الغيب ولا ينافقون تعريض بالمنافقين ومدح للمؤمنين )[2].

فالمنافقون إذن﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[3]. وإذا التقوا مع اليهود والكفار، أكدّوا لهم أنّهم معهم وليسوا مع المؤمنين، فلهم وجهان، وجه مع المؤمنين ووجه مع الكافرين وهذا نفاق.والقران الكريم وهو يربّي الفرد المسلم ثمّ المجتمع المسلم، يبيّن للمؤمن مواصفات المؤمنين الصادقين، ويدعوهم للاتّصاف بها ويبيّن لهم علامات المنافقين، ويحذّرهم من الاتّصاف بها. وفي هذه الآية﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ توجيه للمؤمن أن يكون في سرّه كما في علنه، فهو صادق صريح، ظاهره

[1] - البقرة ( 2 /3).
[2] - إيجاز البيان عن معاني القرآن: الإمام محمود بن أبي الحسن النيسابوري، ت: د، ضيف بن حسن القا سمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط1، 1995م، ص65.
[3] - البقرة 14 .

كباطنه، ما يقوله هنا يقوله هناك، وما يقوله مع هذا يقوله مع ذاك، وهذه الصفة تفرّق وتميّز بين المؤمن الصادق والمؤمن الكاذب، أو بين المؤمن بحق وبين مدّعي الإيمان وهو المنافق .

فمن أبعاد التعريض في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ بيان وتوجيه للمؤمن أن يكون صادقا في كل أحواله وفي كل مكان وزمان، لأنّه يؤمن برب عليم بصير، ويؤمن برب يجازي على ما ظهر وعلى ما خفي.وبهذا الصدق الباطني والظاهري، يصلح المسلم أن يكون خليفة لله تعالى في أرضه، ويكون أهلا أن يستنير به الآخرون، ويصلح أوضاع العالم، لأنّه لا يكذب أبدا، وما يقوله علنا هو ما يسرّه، فهو لا ينافق، لأنّه لا يخشى إلاّ الله تعالى ولا يرجو إلاّ ثوابه.

## 9- بنو إسرائيل سفاهة العقل وفساد الرأي:

قال الله تعالى:﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

إبراهيم عيه السلام من أولي العزم من الرسل، إنّه أمّة وحده، ضحّى في سبيل الله تعالى بأغلى ما يملك الإنسان.. بولده إسماعيل عليه السلام، وصبر في سبيل تبليغ دينه حتى أنّه ألقي به في النار. إنّه القدوة في إسلامه لله تعالى وفي الإيمان به..كامل وعاقل ناضج الرأي يقتدى به.

ولقد زعم بنو إسرائيل أنّهم ينتمون إلى إبراهيم عليه السلام، ولكنّهم لم يسلموا كما أسلم، ولا آمنوا كما آمن، بل أشركوا بالله تعالى، وحرّفوا آيات الله تعالى.

ولقد استعمل الله تعالى أسلوب التعريض بأهل الكتاب، فهم تركوا الإسلام الذي جاء به محمّد عليه السلام والذي يتضمّن ما دعا إليه إبراهيم عليه السلام، والمعنى أنّه من ترك الإسلام فكأنّما رغب عن ملّة إبراهيم عليه السلام ولذلك فهو سفيه العقل، فاسد الرأي جاهل، فلو كان

[1] - البقرة ( 130 /131).

صاحب عقل ناضج لعلم أنّ الإسلام الذي جاء به محمّد عليه السلام هو ما دعا إليه إبراهيم عليه السلام.قال الله تعالى:﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ وموقع هذه( الآيات من سوابقها موقع النتيجة بعد الدليل فإنه لما بين فضائل إبراهيم من قوله:﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ .. ﴾ إلى هنا علم أنّ صاحب هاته الفضائل لا يعدل عن دينه والاقتداء به إلا سفيه العقل أفن الرأي، فمقتضى الظاهر أن تعطف على سوابقها بالفاء وإنما عدل عن الفاء إلى الواو ليكون مدلول هذه الجملة مستقلا بنفسه للتنويه بشأن إبراهيم وفي أنّ هذا الحكم حقيق بملة إبراهيم من كل جهة لا من خصوص ما حكى عنه في الآيات السالفة وفي التعريض بالدين حادوا عن الدين الذي جاء به متضمنا لملة إبراهيم)[1].

فمن أبعاد التعريض هنا بيان أنّ أهل الكتاب وقد تركوا ملّة الإسلام فلم يسلموا، إنّما هم أصحاب سفاهة في العقل وأهل فساد في الرأي، ولو زعموا أنهم أذكياء البشر.

في قوله تعالى: «سَفِهَ نَفْسَهُۥ » أي( أهلكها وخسرها)[2]. والمعنى حينئذ أنّ من ترك ملة الإسلام لابدّ وأنّه يسير إلى الهلاك والخسران كائنا من كان.

## 10- دائرة الحلال أوسع:

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

[1] - التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص724.
[2] - معجم ألفاظ القرآن: مجمع اللغة العربية، مصر، ج1،ص 557.
[3] - البقرة ( 172 /173).

لم يترك الإسلام جانبا من جوانب الحياة إلاّ وبيّن للمسلم ما يجب له وما يجب عليه ووضع له الضوابط التي ينبغي على المسلم أن ينضبط بها. أوّلا: أن يكون مسلما بحق، يأتمر بأمر خالقه. وثانيا :ليتحقّق له النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة.

ومن الجوانب المهمّة في حياة المسلم أكله وشربه، ولقد أحلّ للمسلم أن يأكل من الطيبات، ويترك الخبائث، ولذلك فالحلال والحرام في الإسلام مرتبطان أساسا بمصلحة الإنسان المادية، ثم بعد ذلك مرتبطان ببتلاء الإنسان ليتميّز من يطيع الله تعالى ومن يتردّد ويعصي.

وعندما تحدّث الله تعالى عن الطيبات جاء بلفظ العموم﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾. هكذا« **مِن طَيِّبَٰتِ** » وفيها معنى الكثرة، فالطيبات كثيرة كل منها ما تشاء، واختر منها ما تريد،ولما تحدّث عن الحرام جاء بأداة القصر و التوكيد« **إِنَّمَا** »، ليفيد أنّ الحرام في الإسلام قليل.واستخدام أسلوب القصر والحصر« **إِنَّمَا** » فيه تعريض بالمشركين فقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾،( استئناف بياني ذلك أن الإذن بأكل الطيبات يثير سؤال من يسأل ما هي الطيبات؟ فجاء هذا الاستئناف مبيّنا المحرمات وهي أضداد الطيبات، لتعرف الطيبات بطريق المضادة المستفادة من صيغة الحصر، وإنما سلك طريق بيان ضد الطيبات للاختصار، فإن المحرمات قليلة، ولأن في هذا الحصر تعريض بالمشركين الذين حرموا على أنفسهم كثيرا من الطيبات وأحلوا الميتة والدم، ولما كان القصر هنا حقيقيا لأن المخاطب به هو المؤمنون وهم لا يعتقدون خلاف ما يشرع لهم، لم يكن في هذا القصر قلب اعتقاد أحد وإنما حصل الرد به على المشركين بطريقة التعريض)[1].

[1] - التحرير والتنوير: ج2، ص 155.

فمن أبعاد التعريض في هذه الآية بيان أنّ الحرام في دين الله تعالى " الإسلام" قليل، بينما المباح والحلال كثير.. وما مثل الحرام في الإسلام بالنسبة لما أحلّ الله لعباده، إلاّ كمثل الشجرة وسط جنّة مليئة بما طاب ولذ.﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

والحقيقة هي أنّ ما حرّم الله تعالى على عباده، إنّما هو من قبيل الخبيث الضار، الميتة والدم والخنزير، و( الميتة تأباها النفس السليمة وكذلك الدم، فضلا على ما أثبته الطب- بعد فترة طويلة من تحريم القرآن والتوراة قبله بإذن الله– من تجمع الميكروبات والمواد الضارة في الميتة والدم ولا ندري إن كان الطب الحديث قد استقصى ما فيها من الأذى أو إن هناك أسباب أخرى للتحريم لم يكشف عنها بعد للناس.. والخنزير بذاته منفر للطبع النظيف القويم.. ومع هذا فقد حرمه الله منذ ذلك الأمد الطويل ليكشف علم الناس منذ قليل أن في لحمه ودمه وأمعائه دودة شديدة الخطورة {الدودة الشريطية وبويضاتها المتكيسة})[2].

والمؤمن العارف بربّه يخضع لحكم الله تعالى في كل ما أمر وما نهى، سواء عرف علّة التحريم والتحليل أم لا، وهذا لا يمنع المسلم من البحث عن أضرار ما حرم الله تعالى، ليزداد إيمانا ويستمر ثباتا. ليكون إيمانه،« نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ»[3]، نور المعرفة من الوحي الإلهي، ونور المعرفة من التجارب العلمية الموصلة للحقائق.

## 11- الإصلاح بالبدائل:

قال الله تعالى:﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾[4].

---

[1] - البقرة 35.
[2] - في ظلال القرآن: سيد قطب، م1، ص150.
[3] - النور 35.
[4] – البقرة 200.

ذكر الله هو( استحضار عظمته مع التدبر)[1] وهو من أعظم القربات التي يتقرّب بها العبد إلى ربّه. وقد أمر الله تعالى الحجّاج بذكره بعد إنهاء مناسك الحج، وهل مناسك الحج إلا ذكر لله تعالى؟ وذلك لما في ذكر الله تعالى من تعظيم لله تعالى وشكر لنعمه.

لقد استعمل التشبيه وهو يأمر المؤمنين بذكره تعالى، وقد مرّ الحديث عن ذلك في الفصل الثاني عند الحديث عن الأبعاد التربوية للتشبيه، ومع ذلك ففي الآية تعريض بمن يشتغل بغير ذكر الله بعد إنهاء مناسك الحج، كالاشتغال بذكر الآباء والأجداد والتفاخر بذلك أو الاشتغال بالتجارة مع إباحة ذلك، ولكن إذ كان هذا الاشتغال على حساب ذكر الله تعالى وشكره.فالمقصود من قوله تعالى:﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ أن( يذكروا الله كثيرا، وشبه أولا بذكر آبائهم تعريضا بأنهم يشتغلون في تلك المناسك بذكر لا ينفع وأن الأجدر بهم أن يعوضوه بذكر الله فهذا تعريض بإبطال ذكر الآباء بالتفاخر)[2].

إنّ من أبعاد التعريض في الآية﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ التنبيه إلى أسلوب من أساليب التربية والإصلاح للفرد هو إيجاد البديل عن كل ما هو محرّم أو مكروه من قول أو فعل، فإذا قلت لشخص لا تفعل كذا أو لا تقل كذا، فلابدّ من تقديم البديل، ولا شك أنّ الإسلام كلّه بدائل عن كل تصرّف مرفوض شرعا. بمعنى آخر أنّ التربية والإصلاح لا يكون بالمنع فقط ولكن لابدّ من تقديم البديل. فلقد كان الناس في الجاهلية يجتمعون في موسم الحج وهمّهم الأكبر التفاخر بذكر الآباء والأجداد، فلمّا جاء الإسلام، منع المسلمين من التفاخر بذكر الآباء ولكن أعطاهم البديل هو ذكر الله تعالى وتعظيمه.

[1] - معجم ألفاظ القرآن: مجمع اللغة العربية، ج1، ص431.
[2] - التحرير والتنوير:ابن عاشور،ج2، ص245.

## المبحث الثاني: الأبعاد النفسية للكناية والتعريض:

### أولا: الأبعاد النفسية للكناية.

في المبحث الأول استخلصت ما أمكن من الأبعاد الفكرية التي تعنى ببناء عقيدة المسلم وتعطيه التصورات الصحيحة حول قضايا عدّة، والتي تؤسّس فيما بعد لسلوك قويم حسن.وفي هذا المبحث أستخلص أهمّ الأبعاد المرتبطة بالنفس، فترغب أو ترهب، تبغض أو تحب، تقبل أو تدبر...والحقيقة هو أنّ وظيفة القرآن الكريم هي تزكية النفس، بزرع معاني الخير فيها وتصفيتها من معاني الشر. بمعنى أنّ القرآن أنزل ليعالج أمراض النفس لتنطلق في الحياة تعبد ربّها، ويساعد بعضها بعضا، وتعمر الأرض بكل ما هو خير. يقول الشيخ يوسف القرضاوي: إنّ القرآن الكريم لم يترله الله تعالى ليعالج الأمراض العضوية، وإنما يعالج الناس أمراضهم بحسب السنن التي وضعها الله في الكون والتي يبين القرآن أنها سنن لا تتبدل ولا تتحول[1].

وإنّما يشفي القلب معان، كمحبّة الله والخوف منه والإخلاص له في كلّ عمل وغيرها من المعاني ،وقد أشارت الكناية و التعريض إلى بعضها:

#### 1-محبة الله تعالى وخوف منه:

قال الله تعالى:﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

الكناية في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فكون الله تعالى بصيرا في هذا( كناية عن عدم إضاعة جزاء المحسن والمسيء)[3]، فالله تعالى يحفظ الأعمال، فمن كان محسنا

---

[1] – من هدي الإسلام (فتاوى معاصرة):د،يوسف القرضاوي،دار القلم للنشر والتوزيع ،بيروت، لبنان ،ج3،ص60.

[2]- البقرة 110.

[3] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص672.

له الجنة ومن أساء له النار.وإذا علم المؤمن أنّ عمله لن يضيع، وأنّ الله تعالى يحفظه ويجازيه عنه فهو يفعل الخير ويحسن فيه ويثبت عليه، ما دام عليه الجزاء ومادام محفوظا عند من؟ عند الله تعالى. وهذا العلم من المؤمن بحفظ الله لعمله ومجازاته عليه يورث محبّة في القلب لله تعالى، فالله لا ينسى أعمال أحبّائه، بل يحفظها ويجازي عليها، ولا شك أنّ غرس المحبة لله تعالى في نفس المؤمن هي التي تدفعه إلى مزيد فعل الخير والثبات عليه.

ويبقى المسلم يقظ الضمير خائفا من الله تعالى، ذلك أنّ الله بصير،حافظ لكل عمل، فإن كان شرا فيعاقب عليه، والنفس متى تربّت على الخوف من الله تعالى عملت على ترك المعاصي وأفعال الشر، وما تزكية النفس إلا هذا﴿ **قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾[1].

ويترتّب على معنى محبّة الله والخوف منه، ظهور علامات ذلك، والتي من أهمها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، لأنّ الله ربط بين هذا وبين كون الله تعالى بما يعمل الإنسان بصير﴿ **وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ... إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ** ﴾. فلا معنى لمحبة لا تتبعها طاعة لله تعالى، ولا معنى لخوف من الله لا ينتج عنه ترك لمعصية.

إنّ من أبعاد الكناية في قوله تعالى:﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ** ﴾ والتي تعني المجازاة على الخير وحفظ عمل الطائع والعاصي، أن تغرس في قلب المؤمن محبة الله تعالى ليزداد عمل الخير، كما يغرس الخوف من عقابه فتترك المعاصي.

[1] – الشمس( 10/9).

## 2- ضبط النفس:

قال الله تعالى:﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[1].

الكناية في قوله تعالى:﴿ فَلَا رَفَثَ﴾ والمراد به ( الكناية عن قربان النساء[2]، والرفث: اللغو من الكلام والفحش منه. قاله أبو عبيدة واحتج لقول العجاج:

ورب أسراب حجيج نظم  عن اللغا ورفث التكلم[3]

- العجاج: هو أبو الشعثاء العجاج عبد الله الطويل بن رؤية من بني مالك. و الشعثاء ابنته يكنى بها. ولد بالبصرة في خلافة عثمان( 23هـ/35م) سمع الحديث من أبي هريرة. توفي 97هـ/715م. كانت له أراجيز مشهورة وأشعار حسنة ( الوصف- المدح- الفخر). له نفحة دينية من أشعاره:

الحمد لله الذي استقلت  بإذنه السماء واطمأنت[4].

جاء في(الكشاف): "فَلَا رَفَثَ": فلا جماع لأنه يفسده أو فلا فحش في الكلام[5]، وجاء في "تفسير من نسمات القرآن": رَفَثَ: الجماع، وقيل: الكلام الفاحش[6].

---

[1] – البقرة 197.

[2] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج2، ص234.

[3] –المصدر السابق: ج2، ص 234.

[4] - تاريخ الأدب العربي: د، عمر فروح، ج1: الأدب القديم من مطالع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط5، 1984م، ص570-

[5] – الكشاف: الزمخشري: ج1،ص118.

[6] – تفسير من نسمات القرآن: غسان حمدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406 هـ، ص 32.

حسب أقوال العلماء فأصل الرفث الكلام الفاحش أو اللغو من الكلام، وهو هنا في الآية "فَلَا رَفَثَ" كناية عن قربان النساء.وكما هو واضح من خلال هذه الكناية فإنّها ترمي إلى ضرورة ضبط النفس في الحج، فلا يجوز قربان النساء فهذا يفسد الحج.

ولماذا جعل الله تعالى الجماع مفسدا لمناسك الحج أثناء أدائها؟ قد تكون ثمة حكم كثيرة،لكنّ الظاهر منها أنّ هذا أسلوب تربوي للنفس البشرية، فالمؤمن الذي نوى القيام بعبادة الحج يرجو القبول والثواب، لذلك فهو حريص على أداء واجبات الحج،وحريص على الالتزام بكل الشروط، التي من بينها ضبط النفس فلا قربان للنساء، حتى وإن مال الإنسان إلى فعل ذلك فعليه أن يصبر ويجاهد نفسه، ليقبل منه ويجازى على حجّه.

والحقيقة ليس فقط من الحج يتعلّم المسلم ضبط نفسه فلا يتعدّى حدود الله تعالى، وإنّما هذا من باب التدريب، ليضبط نفسه في جميع تصرفاته، لتتوافق وشريعة الإسلام.﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[1] .و قد أحسن من قال: والقرآن له قلب وعقل وجوارح وعين ترقب وتنظر إلى من أرسل إليهم، وهو رقيب وحسيب وأسلوب قياس، فمن وجد في نفسه وسلوكه ومنهجه خروجا على ما جاء فيه أو تحويلا عنه أو بعد عن فهمه السليم، عرف أن هذا الاختلاف علامة من علامات الاعوجاج فيه تبصرة .بما فيه من عيب وتكون مؤشرا له يعود به إلى جادة الطريق القويم، فالقرآن معيار كامل لا خلاف عليه به تعرف القواعد كلها[2].

إذن فقد جاء القرآن بضوابط وقواعد وحدود، ترسم للمسلم الطريق الصحيح في الحياة وتعطيه العلامات التي تدلّه على الخطأ والصواب، وتبيّن له الاستقامة من الاعوجاج.هذه القواعد والضوابط قد تستخرج مباشرة،أومن خلال الآيات التي استعمل فيها المجاز والكناية ونحو ذلك فالقرآن(يضع أمام المؤمن علامات الطريق وإشارات التوفيق، ويترك لنظره وتدبره حسن

[1] – الشمس 09.

[2] – فن علوم القرآن: د، فؤاد علي رضا، دار إقرأ، بيروت، ط3، 1404هـ – 1984م، ص 23.

الاستنباط وواسع الإدراك، ومن هنا جاءت في القرآن آيات قصيرات بألفاظها، واسعات فسيحات بمفاهيمها ومضامينها)[1].وعليه فإن كانت الكناية في" **فَلَا رَفَثَ** " معناها عدم قربان النساء عند أداء مناسك الحج، ومن أبعادها تربية وتدريب المسلم على ضبط النفس لتتحرّك وفق ضوابط الشريعة، فإنّ ثمة معان أخر يمكن استخلاصها منها:-أن يبتعد المسلم الحاج عن كل مقدّمات الجماع، من كلام وغيره، قد تؤدّي إلى إفساد حجّه بفعل المحرم في الحج وبقربان النساء. -أنّ المسلم في موسم الحج وخصوصا عند البدء في أداء مناسك الحج عليه أن يجتهد في فعل الخير والخير فقط، لأنّ في قوله تعالى:﴿ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ** ﴾ كناية عن اهتمامه سبحانه بفعل الخير في أيّام الحج، بمعنى يعطي من الثواب في هذا الوقت أضعاف ما يعطي في أوقات أخرى. -الطريق إلى تحقيق التقوى التي هي جماع الخير، إنّما يكون بضبط النفس، فلا تخالف حكما شرعيا ولا تتعدّى حدّا من حدود الله تعالى، ابتداء بعبادة الحج، وقد بذل المسلم مالا وجهدا ووقتا وترك أهله ووطنه رغبة في أداء هذه العبادة فلا ينبغي أن يفسدها، ثمّ الانضباط بعد ذلك في كل العبادات بشروطها﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى** ﴾.- عبادة الحج ليست سياحة أو إنفاق أموال وإنّما هي وسيلة تربوية لتزكية النفس﴿ **فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾. وهكذا سائر العبادات ذات أهداف تربوية.

## 3- الإخلاص وطلب رضا الله تعالى:

قال الله تعالى:﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[2].

الكناية في قوله تعالى:﴿ **فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾.ووجه الله (بمعنى الذات وهو حقيقة لغوية تقول: لوجه زيد أي ذاته...وهنا كناية عن علمه فحيث أمرهم باستقبال بيت المقدس فرضاه منوط

[1] – موسوعة أخلاق القرآن: د، أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1971م.ص02 .

[2] – البقرة 115.

بامتثال ذلك، وهو أيضا كناية رمزية عن رضاه بهجرة المؤمنين في سبيل الدين لبلاد الحبشة ثم للمدينة، و يؤيد كون الوجه بهذا المعنى قوله في التذييل" إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ". فقوله" وَٰسِعٌ " تذييل المدلول" وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ" والمراد سعة ملكه أو سعة يسره، والمقصود عظمة الله، وأنه لا جهة له، وإنما الجهات التي يقصد منها رضا الله تفضل غيرها، وهو عليم بمن توجه لقصد مرضاته)[1]. وإذا كان (بيان سبب نزول الآية طريق قوي في فهم معاني القرآن الكريم)[2]، فما سبب نزول هذه الآية؟

أخرج الإمام مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كان النبي عليه السلام يصلي على راحلته تطوعا أينما توجهت به وهو ذاهب من مكة إلى المدينة، ثم قرأ ابن عمر هذه الآية[3].﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾. وروى البخاري عن جابر بن عبد الله أن النبي عليه السلام كان يصلي على راحلته قبل المشرق فإذا أراد أن يصلي المكتوبة نزل و استقبل القبلة و صلى[4].

حسب سبب النزول، فإنّ المعنى أنّه يجوز صلاة النافلة عند الركوب على الدابة و نحوها جهة المشرق، فإذا غيّرت الدابة الاتجاه جاز إتمام الصلاة ولو لغير القبلة، أما صلاة الفرض فيشترط فيها القبلة.

فالكناية الواردة في قوله تعالى:﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ معناها قصد وجهة الله تعالى بطلب رضاه، أي تصحيح النية في العبادة، بالإخلاص لله تعالى، فالله لا يحدّه زمان ولا مكان، و إنّما الأمر باستقبال القبلة في الصلاة المفروضة من حكمها توحيد الأمة، فلا تصلي إلى جهات مختلفة، فإذا توحّدت قبلتها، فالأصل أن تتوحّد جهودها.

[1] – التحرير و التنوير: ابن عاشور، ج1 ، ص683.

[2] – أسباب النزول عن الصحابة والتابعين: عبد الفتاح القاضي، ص06.

[3] – المرجع نفسه: ص20.

[4] – المرجع نفسه: ص20.

فمن أبعاد الكناية ههنا، أن يحرص المسلم على أن يقصد وجه الله تعالى في كل عبادة فسواء صلّى إلى بيت المقدس أو البيت الحرام، أو جهة المغرب أو جهة المشرق، فالله حاضر موجود.﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[1] و لكنّ المسلم في صلاته أمر أن يتوجّه إلى البيت الحرام بجسده، لينتبه إلى اتّجاه قلبه.

**4- من فساد القلب إلى الفساد في الأرض:**

قال الله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦ ﴾[2].

هذه الآيات نزلت في شأن المنافقين، وقد رأينا ذلك في أبعاد الكناية الاعتقادية في المبحث الأول.

وههنا بعدا آخر يتعلّق بالنفس، وصدق من قال (كتاب الله العزيز الحكيم، لا تتناهى معانيه، ولا يحاط بكل مغازيه)[3].فقوله تعالى:﴿ وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ ﴾ كناية (عن اختلال ما به قوام أحوال الناس)[4]، واختلّ ما به قوام أحوال الناس معناه وقوع الأزمات واختلال التوازن الاجتماعي وظهور الطبقية بين الناس، أغنياء أثرياء، وفقراء معدمين، فينتج عن ذلك فساد الأخلاق، وكثرة الفتن والمحن،كل ذلك بسبب إفساد المنافقين.

---

[1] – الإخلاص 04.

[2] – البقرة (204-205-206).

[3] – المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة، ص 494.

[4] – التحرير و التنوير: ابن عاشور، ج3 ، ص 270.

ومن المنافق؟ إنّه من غرس في قلبه ونفسه شرّ النفاق، من الكفر وسوء الظن بالله وفساد الاعتقاد بالدين، فهذا المنافق سيثمر سلوكا سيّئا، ولا ينظر إلاّ إلى مصلحته وجيبه، فيمكر ويخون ويرتشي ويحتكر﴿ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا ﴾، ولذلك فمن نبت في قلبه النفاق أثمر الفساد.

فمن أبعاد الكناية هاهنا الإشارة إلى خطر النفاق الذي محلّه القلب أو النفس، فمتى وجد النفاق وجد الإفساد في الأرض" ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[1].

## 5- المراقبة و المحاسبة:

قال الله تعالى:﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾[2].

الكناية في قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾، فعلم الله بعمل الإنسان كالإنفاق و غيره فيه( كناية عن الجزاء عليه لأن علم الله بالكائنات لا يشك فيه السامعون فأريد لازم معناه، وإنما كان لازما لأن القادر لا يصده عن الجزاء إلا عدم العلم بما يفعله المحسن أو المسيء)[3].

استخرجنا من هذه الكناية بعدا يتعلّق بعقيدة المسلم وتصحيح التصور في معرفة المسلم بربّه. وهاهنا يمكن استخلاص بعدا آخر يتعلّق بالنفس، والتربية النفسية من أهم أهداف القرآن الكريم، وهذه هي بلاغة القرآن الكريم التي بلغت حدّ الإعجاز، وهذا هو بيانه الساحر،ففي الموضع الواحد، وفي الصورة البيانية الواحدة تتعدّد المعاني وتكثر و تتكامل. يقول د.محمد عبد الله دراز:هذا ولو رجعت إليه كرة لرأيتك منه بإزاء معنى جديد، غير الذي سبق إلى

[1] – الأربعون النووية: الإمام محي الدين زكريا يحي ابن شرف النووي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ/2002م. ص11.

[2] – البقرة 270.

[3] – التحرير و التنوير: ابن عاشور، ج3 ، ص 66.

فهمك أول مرة، حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة كلها صحيح أو محتمل الصحة[1].

إنّ علم الله تعالى بما ينفق المؤمن كناية عن الجزاء عليه شريطة عدم ارتكاب الظلم في هذه النفقة أو معها، فيها بالرياء ومعها بالمنّ و الأذى.﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾. والمؤمن الذي يعرف هذا يرجو الحصول على الثواب، يجب عليه أن يغرس في نفسه مراقبة الله تعالى، هذه المراقبة تورث إخلاصا لله تعالى، وعلما لوجه الله الكريم، ويبقى محاسبا لنفسه أن لا يحبط عمله بالأذى لمن أنفق عليه بقوله: لولاي لكان كذا وكذا.. أنا أنفقت عليك.. أو يتكلّم مع الناس بذلك فيحرج شعور الفقراء. والنفس المؤمنة التي تتربّى على الشعور و الإحساس بمراقبة الله تعالى ومحاسبة النفس على تقديم كل عمل خالص لوجه الله، هي نفس تسير في طريق التزكية﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[2].نعم فشعور (المؤمن بأن عين الله سبحانه على نيته وضميره، وعلى حركته وعمله... يثير في حسه مشاعر حية متنوعة، شعور التقوى والتحرج أن يهجس في خاطره هاجس رياء أو تظاهر، وهاجس شح أو بخل وهاجس خوف من الفقر أو الغبن، وشعور الاطمئنان على الجزاء والثقة بالوفاء، وشعور الرضا والراحة بما وفّى لله وقام بشكر نعمته عليه بهذا الإنفاق مما أعطاه)[3].

فمن الأبعاد المتعلقة بتربية الجانب النفسي للمسلم في هذه الكناية﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾، أن يكون دائم المراقبة لله تعالى، ودائم المحاسبة لنفسه لتخلص لله تعالى و تنال الثواب.

---

[1] – النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: د، محمد عبد الله دراز، ص100.

[2] – الشمس 9.

[3] – في ظلال القرآن: سيد قطب، م1، ص307.

## 6- الاستعداد النفسي للموت:

قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [1].

وردت الكناية في قوله تعالى:﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ وكذلك في قوله تعالى:﴿ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ ﴾. فقوله تعالى:﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ المعنى( النهي عن مفارقة الإسلام عن ملة إبراهيم في جميع أوقات حياتهم، وذلك كناية عن ملازمته مدة الحياة لأن الحي لا يدري متى يأتيه الموت فنهي أحد عن أن يموت غير مسلم أمر بالاتصاف بالإسلام في جميع أوقات الحياة فالمراد من هذا النهي شدة الحرص عن ترك المنهى)[2]. وقوله تعالى:﴿ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ ﴾، يتضمن استعارة،ويتضمن كذلك ( كناية حيث شبه الموت بالشخص الغائب الذي لا بد أن يقدم على أهله...فالموت قادم على كل إنسان، غائب على الخلق، لابد أن يفاجئهم بحضوره) [3].

فالمعنى في الكناية الأولى دعوة المسلم أن يموت على الإسلام، والمعنى في الكناية الثانية أنّ الموت يأتي فجأة، فمن كان مسلما وقت مجيئه مات مسلما.وبتكامل المعنيين نستفيد أنّ المسلم من أهم الموضوعات التي يجب أن تشغل باله موضوع الموت، فالموت حقّ وزمنه غير معروف، والمسلم حريص على أن يكون مصيره بعد الموت الجنة والسبيل إلى ذلك هو استعداده للموت في أن يعيش الإسلام طوال حياته، لحظة لحظة، حتى إذا جاء الموت وقبض الروح، قبض روح مؤمن.

---

[1] – البقرة ( 132 ، 133).

[2] – التحرير و التنوير: ابن عاشور، ج1، ص729.

[3] – الإبداع البياني في القرآن العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني، ص 33.

إنّ الغفلة مرض نفسي خطير، إذا أصاب نفسا أهلكها، فالغافل عن الموت، غافل عماّ يحدث بعده، بالنتيجة غافل عن الأسباب الموصلة إلى الجنة، وما هي إلاّ أن يحيى الإنسان على الإسلام حتىّ آخر لحظة فيموت عليه؟.فمن أبعاد الكناية في الآيتين، أن يعيش المسلم منتبها يقظا مستحضرا أمر الموت، مستعدّا له بالطاعات والعبادات، وهنيئا لمن عاش مسلما ومات مسلما.

وعلى ضوء قاعدة التناسق الفني في القرآن والتي تشير إلى( التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات، والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض)[1]، فإنّ ثمّة أسرارا وأغراضا أخرى هي من لوازم وتوابع الكناية المذكورة، من هذه المعاني والأسرار: -أن يعيش المسلم بالإسلام وللإسلام، فهما وتطبيقا ودعوة. لقوله تعالى:﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾، فقضية المسلم الكبرى هي الإسلام. -الإسلام دين جميع الأنبياء، عقيدة واحدة، أخلاق واحدة، وشرائع مختلفة تيسيرا ورحمة﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾، فإبراهيم عليه السلام مسلم، وكذا يعقوب عليه السلام وكذا الذرية. -أعظم ما يوصي الأب إبنه، أن يوصيه بأن يعيش بالإسلام وللإسلام، فالمال يفنى إلاّ ما كان في خير والسلطان يفنى إلاّ ما كان في خير، أما أن يعيش الإنسان مسلما طائعا لربه، فهذا أمر لا يفنى بل فيه سعادة الداريين.﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾.- الإسلام من اصطفاء واختيار الله تعالى لعباده، وباقي الأديان الوضعية البشرية هي من أهواء البشر وجهلهم، والعاقل يختار ما اختار الله له لأنّه العليم الحكيم والرحيم، ﴿ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾.- الموت يأتي الإنسان فجأة، ولكنّ المسلم بسبب أنّه عاش بالإسلام وللإسلام، يعطيه الله فرصة قبل موته ليوصي ما شاء من وصايا دنيوية وأخروية، وليختم

[1] - التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ص88.

بالموت على الإسلام. ﴿ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ...﴾. وإذ هنا ظرف زمان فيه معنى الفجاءة،ولكنّ الله يكرم المؤمن بأن يعطيه فرصة ليوصي بما ينفع بعد موته.

## 7- تطهير النفس من النفاق:

قال الله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[1].

الكناية في قوله تعالى:﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾، فالاشتراء هنا( كنى به عن الاختيار لأن المشتري للشيء مختار له مؤثر فكأنه قال اختار الضلالة على الهدى وجعل تمكنهم من إتباع الهدى كالثمن المبذول في المشترى، وإنما ذهب في الاشتراء على المجاز لعدم المعاوضة إذ هي استبدال شيء في يدك بشيء في يد غيرك وهذا مفقود هنا)[2].

هكذا اشتروا كناية عن الاختيار، وفي هذا دلالة على أنّ الذين كفروا علنا أو الذين نافقوا فكفروا باطنا، جاء باختيارهم وليس جبرا من الله تعالى، مثلهم كمثل المشتري لسلعة، يعطي الثمن أو عوضا ما ليأخذ شيئا، كل ذلك باختياره.. وإذا كان الله تعالى أعطى الإنسان عقلا وقدرة وسلطة على نفسه، كما تدل عليه الكناية هنا، فلم لا نختار الصدق والحق والخير؟. وفي قوله تعالى:﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ حيث (عطف فما ربحت بالفاء ليدل على تعقب نفي الربح للشراء وأنه بنفس ما وقع الشراء تحقق عدم الربح)[3]. بمعنى أنّه لا يوجد فاصل زمني بين اختيار النفاق(الكفر الباطني) وبين الضلال والخسارة والضياع، وحصول الذل والخوف والقلق وغير ذلك من الأمراض النفسية المترتبة عن مرض النفاق، وفي هذا تحذير وتوجيه من الله تعالى للإنسان أن يزكّي نفسه ويطهّر قلبه من خطر مرض النفاق، فوجوده أو بمعنى أصح إصابة

---

[1] – البقرة 16.

[2] – تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ، م1،ج1، ص71 .

[3] - المصدر نفسه: م1، ج1، ص71.

الإنسان به تؤدي مباشرة إلى الخسران والضلال. -معنى آخر: إذا كان في الاشتراء معنى الاختيار، وأنّ هؤلاء المنافقين اختاروا الكفر والضلال، لا عن إجبار من أحد بل عن إرادة وقدرة ذاتية منحها الله إياهم فاستعملوها في غير موضعها، فبإمكان المصاب بهذا النفاق أن يعالج نفسه أيضا، فهو اختار الضلالة عن الهدى أي اختار نبتة النفاق فغرسها، وهو يقدر ويستطيع أن يعالج مرضه، ويقلع هذه النبتة من جذورها فلا أحد يجبره على الإبقاء على مرضه.. وكما تعالج أمراض، البدن فيمكن علاج أمراض النفس، وهل نزل القرآن الكريم إلاّ من أجل هذا ؟!. قال تعالى عن وظيفة القرآن الأساسية﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[1].- في قوله تعالى:﴿ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ ظاهر الكلام يوحي كأنّهم كانوا على هدى ثم ضلّوا، فتركوا ما عندهم من الحق واتّبعوا الباطل، نعم على طريق الكناية كما رأينا فهي تعني الاختيار، فهم عرفوا الضلالة والهدى، وفرّقوا بينهما، وعرفوا الحق والباطل وميّزوا بينهما، وعرفوا الجاهلية والإسلام، فتركوا الإسلام كدين حياة، واتّبعوا أهواءهم.ولعل هذا ما أرشد الله تعالى إليه في قوله:﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾.

-وقريب من هذا المعنى معنى آخر هو أن المنافقين(جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم فإذا تركوه ومالوا إلى الضلالة فقد استبدلوها به)[2]، ويلزم عن هذا المعنى أنّ النبي عليه السلام ما قصّر في دعوتهم، لقد بيّن لهم الهدى حتى كأنّه جعله بين أيديهم ومكّنهم منه، لأنّهم اختاروا الضلالة على الهدى.

[1] - يونس 57.

[2] - التفسير الكبير: الإمام محمد الرازي فخر الدين، م1، ص 193.

## ثانيا:الأبعاد النفسية للتعريض:

### 1- الطريق إلى الراحة النفسية( اتباع الهدى):

قال الله تعالى:﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]

شأن الإنسان عند الله عظيم، كيف لا؟ ولقد جعله خليفة له في الأرض﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ ﴾[2]. وأسجد له الملائكة﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾، وأخرج إبليس من الجنة عندما رفض السجود لآدم .وشأن الإنسان سيبقى كذلك عظيما عند الله تعالى، مادام هذا الإنسان يحسن خلافة ربه في الأرض خلافة تشمل العبادة لله تعالى والعمارة بالخير للأرض.

وواضح من خلال تناسق الآيات وترابطها أنّ الإنسان في الخلافة مرتبط بالعلم﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾، العلم بكيفية أداء الخلافة( عبادة وعمارة)، والعلم بأهداف وغايات ذلك، هذا العلم مصدره الأساسي الوحي الذي نزله الله تعالى لهداية الناس جيلا بعد جيل.﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

---

[1] - البقرة( 39/38).

[2] - البقرة 30.

ولئن أخطأ آدم عليه السلام فإنّه تاب، وأحسن في الأرض خلافته لله تعالى، ولقد أخبر الله تعالى آدم عليه السلام، أنّه من اتّبع هدى ربه من ذريته فلا خوف عليه ولا حزن يلحقه والأصل أنّ الذرية الصالحة تقتفي الآثار الصالحة للآباء والأجداد وعليه تتحقّق لها السعادة والطمأنينة.

ولئن جاء في الآيات﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾. تصريح بالبشارة لمن آمن بالله تعالى واتّبع هداه بأن لا خوف عليه ولا حزن، فقد استعمل أيضا التعريض بطائفة من ذرية آدم كفرت و لم تؤمن بأنّ له الخوف والحزن. فقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾، ( يحتمل انه من جملة ما قيل لآدم فإكمال ذكره هنا استيعاب لأقسام ذرية آدم وفيه تعريض بالمشركين من ذرية آدم وهو يعم من كذب بالمعجزات كلها ومن جملتها القرآن، عطف على من الشرطية في قوله:﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فهو من عطف جملة اسمية على جملة اسمية وأتى بالجملة المعطوفة غير شرطية مع ما في الشرطية من قوة الربط والتنصيص على ترتب الجزاء مع الشرط وعدم الانفكاك عنه لأن معنى الترتب والتسبب وعدم الانفكاك قد حصل بطرق أخرى فحصل معنى الشرط من مفهوم قوله تعالى:﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، فإنه بشارة يؤذن مفهومها بنذارة من لم يتبعه فهو خائف حزين فيترقب السامع ما يبين هذا الخوف والحزن فيحصل ذلك بقوله:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[1].

[1]– التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص444.

إنّ النفس البشرية خلقها الله تعالى وهو أعلم بما يحزنها وما يسعدها،﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1]. وإنّما تحزنها المعاصي والخطايا وتسعدها الطاعات والقيام بالعبادات.والعالم اليوم يعيش أحزانا وخوفا، مع وجود العلوم الدنيوية المختلفة، وكثرة العلماء والمفكرين، ذلك أنّ هذه العلوم، معظمها بعيد عن معرفة الله تعالى وعبادته، ومعظم المفكرين يعالجون المشكلات النفسية علاجا دنيويا ماديا بعيدا عن وحي الله (القرآن)، وصرنا نسمع وباستمرار عن الانتحار حتى أصبح ظاهرة عالمية.فصدق الله القائل:﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ والمعنى، فمن عصاني فلابدّ أن يخاف ويخاف عليه ولابدّ أن يحزن، وبقدر المعاصي والخطايا والانحراف عن الهدى، يكون عمق الحزن في النفس.

وهاهو آدم عليه السلام زلّ وعصى ربّه معصية-تبدو صغيرة- بأن أكل من الشجرة وقد نهي عن الاقتراب منها، يعاقب ويهبط إلى الأرض، لقد تاب وتاب الله عليه ولكنّه أنزل إلى الأرض، فكيف بمن عصى الله كثيرا ولم يتب وارتكب الكبائر ولم يتراجع، هل تراه لا يحزن؟! جاء في الكشاف: (فإن قلت: الخطيئة التي أهبط بها آدم إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء وإن كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والإخراج من الجنة والإحباط من السماء كما فعل بإبليس ونسبته إلى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة إلى التوبة؟ قلت: ما كانت إلا صغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة التي هي أجل الأعمال وأعظم الطاعات وإنما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة و تفظيعا لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة)[2].

[1] - الملك 14.

[2] - الكشاف: الزمخشري، ج1، ص64.

إنّ من أبعاد التعريض في قوله تعالى:﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. أن لا سعادة ولا راحة للنفس إلا باتّباع هدى الله تعالى، وأنّه من عصى الله تعالى خاف وحزن.فمن ترك هدى الله يخاف عليه من التيه والضياع والفشل( وقد وجد الباحثون في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية أن هناك علاقة بين الهروب من المدرسة والرسوب المدرسي ولجوء الأطفال والمراهقين إلى السلوك المنحرف. ففي فرنسا وجد" هوبر" في بحوثه حول المجرمين الأحداث أن 65.5% لم يوفقوا في مشوارهم الدراسي، وفي الولايات المتحدة الأمريكية وفي البحث الذي قام به السيد" قلوك" على 1000 طفل منحرف مقارنة بفوج مماثل للمراقبة على غير المنحرفين توصل إلى أن الإخفاق المدرسي يسجل عند المنحرفين نسبة واضحة. أما في المدرسة الجزائرية فإنه تبين في بحث أجراه علي مانع أن 66% من المنحرفين قد طردوا من المدرسة نتيجة الإخفاق الدراسي)[1].فتأمّل كيف أنّ ثمة علاقة بين الانحراف و الإخفاق المدرسي،أي بين ترك الهدى الإلهي وبين حصول الحزن..وفي كل مجال يقع الانحراف يحصل الحزن .وبالعكس يؤدّي اتّباع الهدى إلى النجاح، الذي يؤدي إلى الطمأنينة وراحة النفس.

**2- الحسد طريق إلى التكبر عن الحق:**

قال الله تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[2].

سورة البقرة من أوائل السور نزولا بالمدينة، وفي المدينة تعدّد الأجناس والديانات المؤمنون والمنافقون وأهل الكتاب، ولقد عرف بنو إسرائيل بحسدهم للمؤمنين وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم، هذا الحسد كان من أهم أسباب التكبر، ورفض اتباع الحق الذي جاء به رسول الله محمد عليه السلام من عند الله تعالى.

[1] - أثر البيئة المدرسية في ظهور السلوك المنحرف والإجرامي عند التلميذ: د، الطاهر سواكري، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية عدد04، 2009م، جامعة 20 أوت 55 سكيكدة،ص235.

[2] - البقرة 40.

ولأنّ الله رءوف بالعباد، فقد اتّبع أسلوب التعريض لعلّ اليهود أن تلين قلوبهم وتتوب أنفسهم عن معصية الحسد، فيستريحون برضى الله عنهم، ويريحون محمدا عليه السلام من عداوتهم فقوله تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ الأمر بذكر النعمة هنا (مراد به لازمه وهو شكرها ومن أول مراتب الشكر ترك المكابرة في تلقي ما ينسب إلى الله من الرسالة بالنظر في أدلتها ومتابعة ما يأتي به المرسلون. فقوله:﴿ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾. وصف أشير به إلى وجوب شكر النعم لما يؤذن الموصول وصلته من التعليل. ويفيد مع ذلك أمرهم بذكر النعم التي أنعم بها عليهم لينصرفوا بذلك عن الحسد غيرهم فإن تذكير الحسود بما عنده من النعم عظة له وصرف له عن الحسد الناشئ عن الاشتغال بنعم الغير وهذا تعريض بهم بأنهم حاسدون للعرب فيما أوتوا من الكتاب والحكمة ببعثه محمد عليه السلام وانتقال النبوة من بني إسرائيل إلى العرب وإنما ذكروا بذلك لأن النفس غافلة عما هو قائم بها وإنما تشتغل بأحوال غيرها لأن الحسد هو أصل المعلومات فإذا رأى الحاسد نعم الغير نسي أنه أيضا في نعمة فإذا أريد صرفه عن الحسد ذكر بنعمه حتى يخف حسده فإن حسدهم هو الذي حال دون تصديقهم به)[1].

إنّ الحسد من أمراض النفس التي تجعل صاحبها يعيش قلقا واضطرابا، ويكون سببا في وجود العداوة وانتشارها. وفي سورة الفلق إشارة إلى ذلك:﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾. وهل ما فعله إبليس بآدم عليه السلام إلا من شر الحسد؟! وهل ما فعله قابيل بأخيه هابيل إلا من شر الحسد؟!لذلك يمكن القول أنّ( رذيلة الحسد قديمة على الأرض قدم الإنسان نفسه ما إن تكتمل خصائص العظمة في النفس أو تتكاثر مواهب الله لدى الإنسان حتى ترى كل محدود أو منقوص يضيق بما رأى، ويطوي جوانحه على غضب مكتوم، ويعيش منغصا لا يريحه إلا زوال النعمة وانطفاء العظمة، وتحقق الإخفاق)[2].و بنو إسرائيل جعل الله فيهم النبوءة والكتاب دهرا طويلا، ومع ذلك تناسوا ذلك، وبدل شكر الله على النعم الكثيرة، حسدوا نبيه محمد عليه السلام

[1] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص 452.

[2] – جدد حياتك: محمد الغزالي، دار اليمن، الخروب، قسنطينة، الجزائر، 2002م، ص 229.

وهم يعلمون أنّه على حق﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[1]. بل وحسدوا أيضا أتباعه والذين آمنوا معه، فحاربوهم ونصبوا العداوة لهم. قال الله تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾[2] .ومع هذا الحسد فالله تعالى تلطف بهم، وذكّرهم بنعمه عليهم،﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ فبدل أن يشتغلوا بذكر كون الرسالة أخذت منهم وأعطيت لغيرهم فليذكروا نعما أخر أعطيت لهم ويكفيهم أنهم إن آمنوا بالله واتّبعوا رسوله فهم من أهل الرضوان وأصحاب الجنان.

إنّ التعريض باليهود –بأنهم إنّما تكبّروا على الحق الذي جاء به محمد عليه السلام بسبب حسدهم و اتّباعه لأسلوب التذكير لهم بالنعم الكثيرة التي قدمت لهم حتى يشتغلوا بشكرها ويتركوا التكبر ويعالجوا الحسد– له أبعاد تربوية نفسية جليلة منها: –أنّ الحسد من أسباب التكبر على الحق والعدوان على الآخرين. –من أساليب معالجة مرض الحسد تذكير الحاسد بما عنده من فضائل ونعم لا تقل أهمية عما عند المحسود، فيشتغل بذكرها فيقلّ أو يذهب حسده للآخرين.– من وسائل معالجة مرض الحسد الاشتغال بشكر الله عمليا بعد تذكّر نعمه الكثيرة،لأنّ الاشتغال بذكر النعم وشكر الله عليها يجعل صاحبها لا يشتغل بغيره أو بما عنده من نعم. –من وجد في نفسه حسدا لأحد، فليذكر نعم الله عليه وهي كثيرة، ويشتغل بشكر الله وعبادته فهذا يذهب ويعالج حسده.

[1] – البقرة 146.

[2] – البقرة 109.

## 3- من الخشوع إلى الخضوع:

قال الله تعالى:﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[1].

حسب السياق الذي وردت فيه هذه الآية﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ فإن الخطاب موجّه ابني إسرائيل، لأن الآيات تبدأ بقوله تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[2] إلى قوله تعالى:﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾لكن عند التمعن يمكن أن نلاحظ أنّ الخطاب موجّه للمسلمين أولا ثم لبني إسرائيل بطريق التعريض.فقوله تعالى:﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ فيه( تعريض بالثناء على المسلمين وتحريض بني إسرائيل على التهمم بالإقتداء بالمؤمنين وعلى جعل الخطاب في قوله:﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ للمسلمين يكون قوله:﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ تعريضا بغيرهم من اليهود والمنافقين)[3].جاء في تفسير ابن كثير:﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ قال الضحاك: إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته المصدقين بوعده ووعيده وقيل﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ أي: لشاقة ثقيلة صعبة[4].

حفّت جنّة الآخرة بالمكاره، وحفّت النجاحات والانتصارات في الدنيا بالعقبات والفتن والمحن، ولا يبلغ فلاح الآخرة ولا نجاح الدنيا إلا من ملك السلاح الكافي، وما هو؟ إنّه الصبر على اجتياز العقبات، وتحمل ألم التكاليف، وقبول تجرّع مرارة المصائب والمحن حتى يأتي

---

[1] – البقرة (46/45).

[2] – البقرة 40.

[3] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص481.

[4] – تفسير ابن كثير: ج1، ص153.

الفرج.. لكنّ الإنسان ضعيف قد يصبر زمنا ثم يضعف فيفشل.. فما العمل؟﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ إنها وسيلة أخرى تساند الصبر، وتدعمها وتقويها، إنها الصلاة، ولكن أي صلاة؟ هل هي صلاة الجوارح من قيام وركوع وسجود فحسب؟ كلا،﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ إنها الصلاة التي فيها خشوع النفس، وخضوع القلب بذكر الله تعالى، ذكر عظمته ولقائه ووعده ووعيده.. إنّ المحن مهما كثرت، والعقبات مهما كبرت، فمادام هناك إله قوي قادر، فلا محنة إذن ولا عقبة.. وإنّ العدو وإن كثر عدده وزاد سلاحه واتّسع ملكه، فمادام هناك إله قاهر قوي عليم عظيم، فلا حول لهذا العدو إذا ولا قوة.. فلا خوف إذا ولا حزن لمن آمن وصلّى بخشوع وحضور قلب بذكر الله تعالى.

ففي التعريض باليهود و المنافقين- في أنّ الصلاة الخاشعة التي تعلّم أصحابها الخضوع لله تعالى- بيان لما يتّصف به اليهود والمنافقون من تظاهر بالعبادة لله تعالى، فما صلاة اليهود إلا همهمات وما صلاة المنافقين إلا شكل بلا مضمون، وحركات بلا خشوع.

إنّ من الأبعاد النفسية للتعريض في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ أنّ خشوع النفس في الصلاة، هو الذي يعطي للصبر استمراريته، ويمنح المؤمن قوّة على الثبات على دينه ومن أهم ما في الدين الصلاة، هذه الصلاة من أهم الوسائل التي يستعين بها المؤمن ليجتاز كل العقبات وليحقّق نجاحا وفلاحا.

### 4- طبيعة اليهود اللئيمة ونفس المؤمن الكريمة:

قال الله تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ

﴿ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[1].

بعد هجرة النبي عليه السلام من مكة إلى المدينة ومعه المؤمنون،وضع وثيقة تحدّد الحقوق والواجبات بين فئات المجتمع في المدينة،وتضبط العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب، وذلك لحماية حقوق كل الناس بما ذلك اليهود أهل الكتاب، نعم لقد كان الحكم للإسلام، ومع ذلك فقد حفظت الحقوق للجميع، فلليهود دينهم ولا يجوز الاعتداء عليهم.

قبل اليهود بهذا الميثاق، ولكن لأنّهم أهل طبيعة لئيمة، حاكوا المؤامرات ضد المسلمين،حتى أنّهم استعانوا بالمشركين من أهل مكة ( غزوة الأحزاب)، وكان شغلهم الشاغل ردّ المسلمين عن دينهم، حسدا وتكبّرا ولؤما،﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾. إنهم الأقلية في المدينة، ومع ذلك أهل دسائس ومؤامرات، إنّ التعايش معهم يكاد يكون مستحيلا، ولكنّ الله تعالى وهو يربيّ المجتمع المسلم لينهض بأعباء الدعوة إلى الإسلام في ربوع العالم، ولتكون أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، وليكون دستور المسلمين الدستور العالمي الوحيد الذي يحفظ حقوق الأكثرية والأقلية والدستور الرباني الصالح لكل زمان ومكان، الذي يعالج المشكلات الاجتماعية بعيدا عن نظرية التآمر من أول مرة،دعا المسلمين إلى العفو والصفح عن أهل الكتاب( اليهود)، لأنّ هذه هي طبيعة المسلم الذي زكّاه القرآن، طبيعة كريمة محسنة، لا طبيعة انتقامية حاقدة﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾. إنها الدعوة إلى الحفاظ على التعايش السلمي بين الأكثرية والحاكمة والأقلية المحكومة، ولو كانت على غير ملة الإسلام، بل ولو كانت ترفض أحيانا الانصياع إلى دستور وقوانين الأكثرية المسلمة. نعم قد تكون طبيعة اليهود لئيمة متعالية لا ترد على كرم المسلمين

[1] – البقرة( 110/109).

ومحاولتهم حل المشكلات سلميا ردا حسنا، ولكن مع ذلك فهذا أمر من الله﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ ﴾.إنّ التعامل بالعفو والصفح هو القاعدة الأصلية لتعامل الأغلبية المسلمة الحاكمة مع المخالفين وإن كانوا أهل كتاب، بل ولو أثاروا فتنا ومشكلات، لأنّ طبيعة المؤمن كريمة.

لكن هل هذه القاعدة في التعامل بالعفو والصفح دائمة مستمرة؟ في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾ جواب عن ذلك. جاء في( الكشاف):﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾: هو قتل بني قريضة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم[1].

إنّ الاستمرار في المؤامرات ونشر الفتن في المجتمع المسلم من قبل أهل الكتاب أو غيرهم مرفوض، فلا بد من علاج آخر لهذه المشكلة إن كانت هذه الفئة لا تبغي السلم وترفض التعايش ولا تفهم لغة العفو والصفح لأنها ذات طبيعة لئيمة، هذا العلاج (الحل) قد يصل مرحلة القتل والنفي.

ومما لا شك فيه أن تصبير المسلم نفسه على عدم الانتقام بل وعلى العفو والصفح ممن يعاديه ويظلمه- وخاصة إذا كان هذا المعتدي لئيم النفس لا يقدر هذا العفو والكرم حق قدره- أمر صعب، وممّا يسهّله علم المؤمن أنّ الله مجازيه عن ذلك في الآخرة.. وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2]. ذلك لوجود الترابط والتناسق بين الآيتين،﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾،﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾.ففي قوله تعالى:﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ملازم(

[1] - تفسير الكشاف: ج1، ص86.

[2] - البقرة 110.

للأمر بالثبات على الإسلام وللأمر بالعفو والصفح وفيه تعريض باليهود بأنهم لا يقدرون قدر عفوكم وصفحكم ولكنه لا يضيع عند الله ولذلك اقتصر على قوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾[1]).

إنّ التعريض باليهود في قوله:﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾. يكشف لنا عن طبيعة اليهود اللئيمة، وأنّهم مهما صفحت وعفوت فهم لا يقدرون ذلك، وعلى المقابل فطبيعة المؤمن كريمة تعفو وتصفح وإنّما ترجو الثواب من عند الله تعالى و كفى به مجازيا.

## 5- طهارة النفس وعمارة المساجد:

قال الله تعالى:﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[2].

في الآية أمر بتطهير البيت الحرام للطائعين والعاكفين والمصلحين، والمراد( تطهير البيت ما يدل عليه لفظ تطهير من محسوس بأن يحفظ من القاذورات والأوساخ ليكون المتعبد فيه مقبلا على العبادة دون تكدير، ومن تطهير معنوي وهو أن يبعد عنه ما لا يليق بالقصد من بنائه من الأصنام والأفعال المنافية للحق كالعدوان والفسوق والمنافية للمروءة كالطواف عريا دون ثياب، وفي هذا تعريض بأن المشركين ليسوا أهل لعمارة المسجد الحرام لأنهم لم يطهروه مما يجب تطهيره منه)[3].

وإن كان التعريض موجّها إلى المشركين خاصة، بأنّهم بشركهم فقدوا أحقية عمارة المسجد، ولذلك عمارة المسجد الحرام هي من حق المؤمنين الطاهرين، فيكمن أخذ العبرة من ذلك وهي أنّ بيوت الله تعالى" المساجد" يعمرها المؤمنون المتطهّرون من الرياء والتكبر والكذب والحسد وغيرها من المعاصي.

---

[1] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص672.

[2] – البقرة 125.

[3] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص712.

ويؤخذ أيضا أنّ حجّاج بيت الله تعالى، وهم يقصدون البيت الحرام، ليصلوا ويطوفوا فالهدف أن تزكوا أنفسهم وتطهر من معاصي الرياء والمفاخرة بأداء العبادة، فبيت الله تعالى يعمره الطاهرون، فلا ينبغي أن يدخلوه وفيهم أدناس الرياء وحب الدنيا وغيرها.وفي هذا دعوة للمسلم الحاج أن يتفقّد باطنه ويحاسب نفسه قبل الرحيل إلى الحج والطواف بالبيت والصلاة فيه، يتفقد إيمانه وإخلاصه لله تعالى وصدقه مع الله تعالى، وتواضعه وغيرها من أخلاق النفس الزكية.

إنّ من أبعاد التعريض بالمشركين في قوله تعالى:﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أن بيوت الله- ومن ذلك البيت الحرام- لا بدّ أن تعظم فمن دخلها كان طاهر النفس زكي القلب، فلا رياء ولا حقد ولا حسد.. ومن داوم على ذلك في بيوت الله تعالى، صارت زكاة نفسه وطهارة قلبه عادة في كل مكان، ومن لم يأبه بالمساجد فلم يعظمها بحيث يدخل وهو مؤثر للدنيا مفاخر بعابدته، حاسد لغيره، فأين إذن تزكو نفسه؟!.

## 6- يدنّس النفس الشرك ويطهّرها القرآن:

قال الله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

هذه هي الأبوة الحقة، إبراهيم عليه السلام يفكّر في مستقبل ذريته، لم يعش في حياته ليجمع المال ثم يتركه لأولاده، لم يشتغل ببناء قصور ومبان فخمة، يستريح فيها أولاده من بعده.لقد عاش للإسلام ومات لأجله، وقد ربح الدنيا والآخرة، وهو يريد لأولاده وذريته أن يربحوا أهمّ شيء وأغلاه، إنّه الفوز برضوان الله تعالى، ومن ربح رضوان الله تعالى لم يخسر شيئا وهل يكون ربح رضوان الله تعالى إلاّ بطاعة الله تعالى وعبادته عن طريق العلم والتزكية؟.لذلك دعا إبراهيم عليه السلام ربّه أن يحفظ ذريته من مصائب الجهل والمعاصي، وأحسن طريق لذلك هو وجود المصلح العالم المربي الذي بفضل دعوته وتوجيهه تتزكّى النفوس، وعلى رأس المصلحين

[1] - البقرة 129.

المربين الرسل﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.هذا ما تمنّاه وما رجاه إبراهيم عليه السلام لذريته، أن يرعاهم الله تعالى ويرحمهم بإرسال رسول منهم يتلوا عليهم الآيات ويعلّمهم ويزكيهم.. فإن هم سمعوا الآيات وعقلوها وآمنوا بها وطهّروا أنفسهم من الذنوب والمعاصي فازوا في الدنيا ، وأفلحوا يوم القيامة.

والتزكية الواردة في قوله تعالى﴿ وَيُزَكِّيهِمۡ ﴾ معناها ( التطهير من النقائص وأكبر النقائص الشرك بالله، وفي هذا تعريض بالذين أعرضوا عن متابعة القرآن وأبوا إلا البقاء على الشرك)[1].

فمن أبعاد التعريض هنا فيما يتعلق بالنفس، بيان أنّ الشرك بالله تعالى من أعظم ما يدنس النفس البشرية، وأنّ أهم وسائل تزكيتها القرآن الكريم، بالإيمان بكونه وحي الله تعالى، وأنّه المصدر الوحيد للتزكية والتربية، ثم العمل بما جاء فيه من أوامر ونواهي.وقد ذكرت لفظة التزكية بصيغ متعددة في القرآن الكريم، تلتقي معانيها في معنى التطهير للنفس من المعاصي والذنوب وإصلاحها بفعل الطاعات.

-جاءت بصيغة الفعل الماضي" زكا" .بمعنى طهر وصلح:﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[2].

- كذلك بصيغة الفعل الماضي" زكّا" في قوله تعالى:﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[3]. .بمعنى طهرها وأصلحها.

[1] - التحرير والتنوير: ج1، ص 723.
[2]- النور 21.
[3] - الشمس 09.

-جاءت بلفظ الجمع بصيغة المضارع في قوله تعالى:﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]. وقال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2]. ومعنى يزكيهم: يطهرهم من الذنوب ويصلحهم من العيوب.

-وجاءت بصيغ أخرى، قال تعالى:﴿ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[3]. بمعنى من تطهر من الذنوب والمعاصي وأعظمها ولا شك الشرك.

-كما وردت بصيغة المصدر بمعنى الطهر والصلاح" زكاة" في قوله تعالى:﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[4].

والمعاني كلها لزكاة النفس في القرآن، تشير إلى أنّه لا طهر للنفس من دنس الشرك وشرور الذنوب إلا بمتابعة القرآن الكريم، فيما أمر وفيما نهى. ومعنى آخر هو أنّه من لم يتّبع القرآن الكريم فهو غير زكيّ النفس، فلا طهر ولا صلاح عنده

**7- ثقة المؤمن في حكم ربه:**

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[5].

[1] - آل عمران 164.
[2] - الجمعة 02.
[3] - طه 76.
[4] - الكهف 81.
[5] - البقرة 168.

قضية الحلال والحرام من القضايا الكبرى في الإسلام فالله تعالى جعل التحليل والتحريم من شأنه فحسب، ذلك أنّ الله علمه مطلق فهو يعلم ما يفيد الإنسان فيحلّه له، ويعلم ما يضره فيحرّمه عليه، أما الإنسان فعلمه محدود، فما يضنّه نافعا اليوم قد يكتشف أنّه ضار بعد بحث ومرور زمن، ضف إلى ذلك أنّ الأشياء هي ملك الله تعالى لم يخلق الإنسان منها شيئا، لذلك فلله تعالى الحق في تحليل ما يشاء وتحريم ما يشاء.

والتحليل والتحريم أي التشريع للإنسان فيما يأخذ وما يترك في مأكله ومشربه وملبسه من مقامات الإلوهية، فمن حرّم أو أحلّ دون هدى من الله تعالى، أو أحلّ ما حرّم الله وحرّم ما أحلّ الله، فقد رفع نفسه إلى مقام الألوهية بمعنى كفر وأشرك بالله تعالى:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[1].جاء في (الكشاف):﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ﴾ أي أطاعوهم في الأمر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله[2].وقد سمّى الله تعالى سورة من سور القرآن الكريم" التحريم" والتي تبدأ بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[3].والقصة كاملة موجودة في كتب التفاسير، ولكن حسبي أن أبيّن أنّ مقام النبوة لم يشفع لمحمد عليه السلام أن يحرّم ما أحلّ له من الطيبات إرضاءا لزوجاته. وفي هذا إشارة إلى موضوع التحليل والتحريم، وأنّه موضوع خاص بالله تعالى.

وقد ورد الخطاب للمؤمنين حينا وللناس كافة حينا آخر، بأكل الحلال الطيب في مواضع شتى من القرآن، قال تعالى في سورة المائدة:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ

[1] - التوبة 31.
[2] - الكشاف: الزمخشري، ج1، ص 190.
[3] - التحريم 01.

أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾[1]. وفي سورة الأنفال:﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[2] وفي سورة النحل:﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾[3].

وقد بيّن الله تعالى في كتابه أنّ كلّ طيّب حلال وكلّ حلال طيب، وكل خبيث حرام وكل حرام خبيث، فالله ما أحلّ إلا الطيبات، وما حرّم إلا الخبائث، وسواء عرف الإنسان خبث وضرر ما حرم الله أم لا، فثقة المؤمن بربّه واطمئنان نفسه إلى حكم ربّه لابد أن يغرسها في قلبه، ولابدّ أن يتذوّق حلاوة ذلك.

وفي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ تعريض بالكافرين الذين حرموا على أنفسهم ما أباح الله تعالى لهم، وهذا من جهلهم وقلّة معرفتهم بالله تعالى، وضعف ثقتهم أو انعدامها بدين الله تعالى. جاء في( التحرير والتنوير) قوله تعالى:﴿ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾: تعريض بتحميقهم فيما أعنتوا به أنفسهم فحرموها من نعم طيبة افتراء على الله)[4]. والآيات التي ذكرت لما حرموه على أنفسهم وردت في سورة الأنعام. قال تعالى:﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ

[1] - المائدة ( 88/87).
[2] - الأنفال 69.
[3] - النحل 114 .
[4] - التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج2، ص 169.

خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

إنّ الذين كفروا لم يعرفوا الله تعالى، فعادوا دينه وحاربوا نبيّه، فحرّموا على أنفسهم الطيب المباح، وبالعكس أحلوا ما هو خبيث ضار، وهذا إجرام من جهل وكفر. أما المؤمن العارف بربه له ثقة في كل ما شرع له، من أمر ونهي، وتحليل وتحريم.

فمن أبعاد التعريض بحمق وجهل الكفار، بحيث حرّموا على أنفسهم الحلال الطيب، تربية للمؤمن على غرس الثقة في قلبه بما أنزل الله تعالى، هذه الثقة في الله تعالى ثم في تشريعه تحقق له مصالحه في الدنيا والآخرة، وتبعد عنه كل المضار دنيا وآخرة، وماذا ربح الكفار بتحليلهم الخمر؟ وماذا خسر المؤمن وقد اجتنب الخمر؟

**8- تزكية النفس بتوجيه القلوب لا بتوجيه الأجساد:**

قال الله تعالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[2].

لفظة "البر" كلمة ( جامعة لكل صفات الخير)[3]. وردت في القرآن الكريم في سور عدة:-في سورة البقرة﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا

[1] - الأنعام ( 139/138).
[2] - البقرة 177.
[3] - معجم ألفاظ القرآن الكريم: معجم اللغة العربية، ج1، ص 28.

تَعْقِلُونَ ﴾[1].-﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2].-﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[3].-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[4].-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[5].

وفي الآية التي ورد فيها تعريض بأهل الكتاب، ذكر الله تعالى أهم عناصر البر من أركان الإيمان وأعظم العبادات وأهم الأخلاق(﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ... وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾). وأهل الكتاب أبعد ما يكونون عن هذه الصفات الإيمانية والخلقية، وأبعد ما يكونون عن التدين الصحيح.. فهم حرّفوا التوراة والإنجيل، وحاربوا رسل الله تعالى وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم.. ومع ذلك فهم يعتقدون أنهم أهل الله و خاصته، بماذا؟ بما يملكون من قبلة إلى بيت المقدس، كيف لا؟ وقد توجه إليها المسلمون في وقت ما في صلاتهم. فلما أمر الله تعالى المسلمين بالاتجاه نحو البيت الحرام ضخّم أهل الكتاب الموضوع، وطعنوا في عقيدة المسلمين، وحاولوا النيل من الإسلام، لماذا؟ لأنّ المسلمين تركوا القبلة الأحق( بيت المقدس) واتجهوا إلى قبلة أخرى(

[1] - البقرة 44 .
[2] - البقرة 189.
[3] - آل عمران 92.
[4] - المائدة 02.
[5] - المجادلة 09

البيت الحرام)، الدليل هو أنّ المسلمين صلوا إلى البيت المقدس، وصلاتهم كانت صحيحة، فلما بدّلوا الاتجاه فإما أنّ صلاتهم الجديدة باطلة، وإما أنّ ما صلوا من قبل باطل؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية توضح للمسلمين بأسلوب واضح صريح أنّ تزكية النفس وبلوغ مرتبة البر والوصول إلى الفوز لا يتعلق بالاتجاه إلى الشرق أو الغرب، لكن يتعلق بعقيدة سليمة من الشرك وبعبادات صحيحة صادقة وبمعاملات وأخلاق حميدة. وفي هذا تعريض بأهل الكتاب وبمن سلك مسلكهم واعتقد عقيدتهم تعريض فيه ذمّ، هب أنّ الاتجاه نحو القبلة صحيح (أي توجيه الجسد نحو البيت المقدس)، ولكن العقيدة باطلة فيها شرك بالله، وعبادة كاذبة شكلية لا خشوع فيها، ثم أخلاق فاسدة من بخل ومكر وخداع، فما قيمة التوجه الصحيح إلى بيت المقدس مع فساد النفس؟. جاء في( التحرير والتنوير):﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾: فيه( إقبال على خطاب المؤمنين بمناسبة ذكر أهل الكتاب وحسدهم المؤمنين على اتّباع الإسلام مراد منه تلقين المسلمين الحجة على أهل الكتاب في تمويلهم على المسلمين إبطال القبلة التي كانوا يصلون إليها ففي ذلك تعريض بأهل الكتاب فأهل الكتاب رأوا أن المسلمين كانوا على شيء من البر باستقبالهم قبلتهم فلما تخلوا عنها لمزوهم بأنهم أضاعوا أمرا من أمور البر، يقول مروا عن هذا وأعرضوا عن تمويل الواهنين، وهب أن قبلة الصلاة تغيرت أو كانت الصلاة بلا قبلة أصلا فليس له أثر في تزكية النفوس واتصافها بالبر،فذكر المشرق والمغرب انتصار على أشهر الجهات أو هو للإشارة إلى قبلة اليهود وقبلة النصارى لإبطال تمويل الفريقين على المسلمين حين استقبلوا الكعبة)[1]. .

إنّ من أبعاد التعريض باليهود في قوله تعالى:﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ هو بيان أنّ مرتبة البر يبلغها المسلم بتوجيه القلب (النفس) نحو طاعة الله تعالى

[1] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج2، ص128.

دون التركيز على الأمور الشكلية الظاهرية.فالله تعالى حينما أمر المسلم في الصلاة أن يتّجه نحو بيت المقدس أو البيت الحرام إنّما أراد تحقيق جملة من الحكم، والتي من أهمها تربية المسلم على الالتزام بأمر الله تعالى، انطلاقا من الاتجاه نحو جهة معينة في الصلاة، إلى الخضوع لله تعالى في كل شيء، فليس المقصود من الاتجاه إلى المسجد الحرام هو مجرد توجه، بل المقصود أن يتربى المسلم على طاعة ربه. فإذا تربى المسلم على القابلية لطاعة الله تعالى.. التزم بتوحيد الله تعالى فأحب ربه وخاف منه وتوكّل عليه واستعد للقائه، ثم التزم بسائر العبادات كالزكاة فأنفق و لم يبخل، ثم التزم بالأخلاق الكريمة من صبر وحلم وغير ذلك، فكان بحق مسلما خيّرا نافعا.إنّ هدف القرآن في عمومه، وباستعمال جميع الأساليب والتي منها التعريض كما في هذه الآية﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ ﴾ هو( تغيير جوهر الإنسان، تغيير الضمير دائما نحو الأحسن والأكمل)[1].

وبالنظر إلى واقع المسلمين اليوم، حيث انتشر الفساد، وتفشى الانحلال-نعم إنّ المساجد أيام الجمعات و عند المناسبات كالعيدين تغصّ بالمسلمين، نعم إنّ أشكالا ظاهرية أخرى من التدين تلحظها عند أناس كالتقصير في اللباس عند الرجال ونوع من اللباس عند النساء- يدع إلى التفكير مليّا في أسلوب التغيير نحو الأحسن والأفضل، والآية التي نحن بصدد الحديث عنها ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ تعطينا هذا الأسلوب، وهو إعادة بناء الفرد المسلم، انطلاقا من جوهره وباطنه، تصحيح الاعتقاد نحو الله تعالى، والتربية على العبادة الصحيحة التي فيها معاني الخشوع والخضوع لله تعالى، والتوجيه إلى الخلق الكريم.. كل ذلك يبدأ من الطفولة في الأسرة، ثم في المدرسة بوضع برامج في التربية الإسلامية لخدمة هذا الهدف، ثم في أطوار التعليم كلها، ضف إلى ذلك المساجد.

[1] - التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا: د، أحمد رحماني، ص 91.

## المبحث الثالث: الأبعاد السلوكية للكناية والتعريض.

### أولا: الأبعاد السلوكية للكناية:

إذا كان للكناية كما رأينا في المبحثين السابقين المتعلقين بالأبعاد الاعتقادية والنفسية أهداف وأسرار، تبني العقيدة وتصحّح التصور ،وتدفع إلى تزكية النفس و تصفية القلب، فإنّ لها أيضا أبعادا وأهدافا أخرى، تعنى بالجانب السلوكي للمسلم، السلوك الفردي والجماعي، وقد (يسّر الله كتابه للذكر و العلم ومعرفة ما فيه من حقائق وعبر، فإن صعب الوصول إلى المراد فسؤال أهل الذكر أمر مفتوح إلى يوم القيامة لقوم لا يعلمون، كل ذلك يوحي بأن هذا القرآن لا يزال وسيبقي وحيا متجدّدا، ونورا متفجرا لا يقتصر نوره على مكان ولا وحيه على زمان، ولم يستأثر الله تعالى علمه على إنسان كائنا من كان)[1].ومن هذه الأبعاد السلوكية:

#### 1- ينفعك عملك:

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

الكناية في قوله تعالى:﴿ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ﴾ والخلة المودة والصحبة فنفي الخليل(كناية عن نفي لازمه وهو النفع، قال كعب بن زهير:

وقال كل خليل كنت آمله  لا ألهينك إني عنك مشغول[3].

---

[1] – مباحث في علم التفسير: د، عامر نايف الزوبعي، ص 35.

[2] – البقرة 254.

[3] – التحرير والتنوير: ج3،ص 14.

*(كعب بن زهير: نشأ في غطفان أسلم أخوه بجير، فلم يعجبه الأمر فهجا الإسلام،فهدده النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر وقال قصيدته المشهورة:( بانت سعاد..) فنال الأمان. توفي 662م/ 24 هـــ.له ديوان شعر أشهر ما فيه البردة)[1]

قد يكون الصاحب يوم القيامة هو الصاحب، والخليل هو الخليل، لكن لا نفع، بحيث لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرّة﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[2].هذا إن بقيت الصحبة ولكنّها في الحقيقة يوم القيامة تزول هي ويزول لازمها النفع، قال تعالى:﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[3]، والأخلاء: (الأصدقاء المخلصون المتحابون)[4].

فهؤلاء الأصدقاء المخلصون المتحابون في الدنيا، حيث جمعتهم المصالح المادية الدنيوية، لا ينفع بعضهم بعضا يوم القيامة، والمؤمن العاقل من يحسب حسابا للآخرة، فيقدم من الأسباب ما يجعله مفلحا فائزا، وهذه الأسباب منها ما يتعلق بالعقيدة الصحيحة، ومنها ما يتعلق بالنفس الزكية الطاهرة، والقلب النقي المخلص، ومنها ما يتعلق بالسلوك والجانب العملي، والأعمال المطلوبة من المسلم فعلها، واضحة بينة في القرآن الكريم، وهذه الآية التي وردت فيها الكناية عن عدم نفع الخليل لصاحبه يوم القيامة، ذكرت عملا نافعا يوم القيامة، وهو الإنفاق في سبيل الله تعالى وفي سبيل البرّ والخير عموما﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ ﴾.

نعم إنّ الإيمان بالله تعالى وبلقائه ورجاء رحمته وعفوه، مطلوب من المسلم لأجل الجنّة، ولكن وحده لا يكفي، فلابدّ من عمل مع هذا لإيمان، وهذا العمل ليس فوق طاقة المسلم

[1] - الجامع في تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، ص 408.
[2] – الإنفطار 19.
[3] – الزخرف 67.
[4] – معجم ألفاظ القرآن: معجم اللغة العربية، ج1، ص377.

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾[1]، فليس المطلوب إنفاق المال كلّ المال بل" مِمَّا رَزَقۡنَٰكُمۡ " أي من بعض ما رزقناكم، كالزكاة والصدقة على الفقراء والمساكين والجهاد في سبيل الله، مع عدم حرمان المسلم نفسه من التمتع بهذا المال في وجوه الحلال. إنّ إمساك المال والبخل به من الأسباب الموصلة إلى الخسارة يوم القيامة، وإنّما يدخل الجنة الكرماء أهل الجود والسخاء.

فمن أبعاد الكناية في قوله تعالى:﴿ وَلَا خُلَّةٞ ﴾ أن يعتمد المسلم على أسباب حقيقة شرعية تدخله الجنّة، والتي من أهمّها السلوك العملي النافع، ومن مظاهره الإنفاق في سبيل لله، فالآخرة تبنى على ما يقدّم الإنسان من أعمال، لا على ما يكثر الإنسان من الأصحاب والخلاّن، خصوصا إن كانوا من طالبي الدنيا، الغافلين عن الآخرة.

## 2- لا مزاح في مقام الجد:

قال الله تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[2].

الكناية في قوله تعالى:﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾، ففي كلام موسى عليه السلام( تبرؤ وتنزه عن الهزء لأنه لا يليق بالعقلاء الأفاضل فإنه أخص من المزح لأن في الهزء مزحا مع استخفاف واحتقار للممزوح معه على أن المزح لا يليق في المجامع العامة والخطابة، على أنه لا ليق بمقام الرسول ولدا تبرأ منه موسى بأنه نفى كونه من الجاهلين كناية عن نفي المزح بنفي ملزومه، وبالغ في التنزه بقوله: أعوذ بالله أي منه لأن العياذ بالله أبلغ كلمات النفي[3].

---

[1] – البقرة 286.

[2] – البقرة 67.

[3] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1،ص 548.

ويستفاد من هذه الكناية أنّه لا مزاح في مقام الجدّ، لا بأس بالمزاح الصادق للترويح عن النفس، لكن لابدّ من تخيّر المقام.فمن أبعاد الكناية ههنا بيان أنّ سلوك المسلم له ضوابط حتى في المزاح مع الناس، وعلى وجه الخصوص إن كان في مقام الدعوة والتعليم.

ومعنى آخر يكمن استفادته من الكناية، هو أنّ المزاح على إطلاقه بلا ضوابط، من علامات قلّة العقل وسوء الأدب" **مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ** "، كذلك يمكن أن نتعرّف على طبيعة بني إسرائيل من خلال هذه الكناية في ردّ موسى عليه السلام على قومه، فهم مباشرة وبلا تفكير قالوا" **أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا** " أي أتمزح بأن تأمرنا أن نذبح بقرة حتى نعرف من خلالها قاتل الميّت، فهم أساءوا الظنّ بموسى عليه السلام وهذا من جهالتهم وفساد سريرتهم، وقلّة صبرهم، ولقد تبيّن فيما بعد أنّ موسى عليه السلام لم يكن ليمزح أو يهزأ، بل كان جادّا صادقا لأنّه يتلقّى الأمر والتوجيه من لدن عليم حكيم.

## 3- الجود والإنفاق الطريق إلى العز:

قال الله تعالى:﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

نذكر أولا سبب نزول الآية، لأنّه كما قال ابن دقيق العيد: بيان سبب نزول الآية طريق قوي في فهم معاني القرآن الكريم[2]. أخرج أبو داود وصحّحه ابن حبان والحاكم عن أبي أيوب الأنصاري قال: نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام، قلنا لو أقمنا في أموالنا

[1] – البقرة 195.

[2] – أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين: عبد الفتاح القاضي، ص 06.

فأصلحنا ما ضاع منا، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ ﴾ فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو [1].

وردت الكناية في قوله تعالى:﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾، فالباء( سببية والأيدي مستعملة في معنى الذات كناية عن الاختيار والمفعول محذوف أي لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة باختياركم)[2].

حسب سبب النزول فإنّ معنى( بِأَيۡدِيكُمۡ): الذات، كناية عن الاختيار، فالمسلم عليه أن يختار الجهاد بماله خاصة في سبيل الله وأن يحذر أن يترك الإنفاق لأجل إعلاء الإسلام اشتغالا بالدنيا وجمع المال، لأنّ في جمع المال والاشتغال بالمصالح الشخصية، والتفريط في الدفاع عن الإسلام وإعزاز نفسه، من نتائجه غلبة الكفار وانتشار عقيدة الكفر، وهيمنة قوانين الكفرة فيكون الهلاك للمسلمين. ويستفاد من هذه الكناية﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ ﴾ أي: لا تختاروا إيقاع أنفسكم في التهلكة وذلك بترك الإنفاق جهادا في سبيل الله، بل أنفقوا وجاهدوا لإعلاء كلمة الإسلام، ولو كان في هذا من حيث الظاهر ضياع للمال فإنّ عند الله تعالى حفظ للمال فبعزّ الإسلام تعود البركة على الجميع، وبذلّ أهل الإسلام حتّى الغنيّ لا يستفيد من ماله، حيث يسيطر أهل الكفر.

إنّ في هذه الآية وعبر هذه الكناية ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ ﴾ يصحّح الله تعالى تصوّر المسلم اتّجاه سبب النفع والضرر، فربّما اعتقد الإنسان أنّ إنفاق المال في سبيل الله، والانشغال بنصرة دعوة الإسلام، يكون على حساب دنياه، حيث تضيع مصالحه الشخصية فيخبره الله تعالى بأنّ المصالح الفردية والجماعية الدنيوية و الأخروية، تتحقّق بالإنفاق والجهاد في سبيل الله تعالى وليس العكس. وجيل الصحابة بذلوا أموالهم وأرواحهم، وكانت النتيجة الفتح

[1] – لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط3، 1400هـ/ 1980م، ص 37.

[2] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج2، ص 212.

العظيم،والنصر المبين،وصار ملك الدنيا لهم،وعاد مال الدنيا لهم،ويقال لجيل اليوم﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[1].

فمن أبعاد الكناية هنا، بيان أنّ طريق العزّ في الدنيا لن يكون بالأماني، ولكن بالعمل والسلوك، ومن ومظاهر هذا السلوك الإنفاق في سبيل الله، بذل المال لنصرة الإسلام، فمن( سنن الله أن النصر والعز وردّ الظلم ينبني على الإنفاق والجود وأن الذل وغلبة العدو نتيجة للبخل وعدم الإنفاق)[2].واليوم يلحظ المسلم أنّ مظاهر ذلّ المسلمين وانهزامهم غالبة على مظاهر العزّ والنصر.. ومن أهم الحلول لعودة العزّ والنصر، هو أن يختار المسلمون وبصدق طريق البذل والعطاء والإنفاق لنصرة مبادئ الإسلام عبر كلّ وسيلة مشروعة، والتي منها الإعلام السمعي البصري والمكتوب، فالذي لا يملك اليوم إعلاما صادقا جادّا جريئا، يصعب عليه الدفاع عن قضاياه ويتأخّر سنينا وسنينا، وقضية المسلم الأهم، هي قضية الإسلام.

## 4- أدب المسلم الرفيع في معاملته:

أ- قال الله تعالى:﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ ﴾[3].

الكناية في قوله تعالى:﴿ أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ ﴾، فالأذى من الرأس هنا( كناية عن الوسخ الشديد والقمل، لكراهية التصريح بالعمل)[4].وإذا كان الله تعالى لم يرد أن يصرّح بهذا الأذى لما فيه من إحراج للمسلم الحاج، فيستفاد من ذلك أن يتعلّم المسلم حسن الأدب في معاملته

[1] – الحشر 02.

[2] – السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط: د، مجدي محمد عاشور، ص 375.

[3] – البقرة 196.

[4] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج2، 224.

للناس قولا وفعلا، فلا يتعرّض لما يحرجهم، بل يستعمل الكنايات أو السلوكات التي ليس فيها إحراج لهم.

ب- قال الله تعالى:﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾[1]. وقال الله تعالى:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾[2].

الكناية في قوله تعالى:"فَلَا رَفَثَ " ففي الكلام كناية عن قربان النساء، جاء في (أساس البلاغة): " رَفَثَ": رفث في كلامه وأرفث وترفث: أفحش وأفصح بما يجب أن يكن عنه من ذكر النكاح، ورفث إلى امرأته: أفضى إليها[3].

وإذا كان الله تعالى كنّى و لم يصرح، " فاختار رَفَثَ " بدل لفظة أخرى مباشرة فيها معنى قربان النساء، فإنّ في هذا تعليما للمسلم بصفة عامة في كل كلام، وفي كل موضوع، أن يتخيّر من المفردات ما يؤدّي المعنى ويبلغ الهدف دون الوقوع في الإحراج، وعلى الخصوص في موضوع النساء، فالمسلم له قول حسن وأدب حسن، فلا يتلفظ بالكلمات السوقية التي يستعملها الجهلة في المجامع العامة، وإن لم تتعلم من الله فممّن تتعلم؟!.

## 5- الاهتمام بأهل الدعوة:

قال الله تعالى:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[4].

[1] -. البقرة 197.

[2] - البقرة 187.

[3] - أساس البلاغة: الزمخشري،ص 240.

[4] - البقرة 273.

الكناية في قوله تعالى:﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا ﴾، فالضرب كناية عن (التجارة وطلب المعاش)[1].ومعنى قوله تعالى:﴿ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي( منعوا عن التكسب وطلب المعاش بسبب الجهاد)[2].وقوله تعالى:﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ قال الزجاج: لا يسألون ألبتة، لا يسألون إلحاحا ولا يسألون غير إلحاح[3].

ففي قوله تعالى:﴿ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا ﴾، كناية عن وجود فئة من المسلمين فاضلة وخيّرة حبست نفسها للجهاد في سبيل الله، قال قتادة: هم هؤلاء حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله[4]. فلم تقدر هذه الفئة على القيام بشؤونها الخاصة، و لم تقدر على التكسب عن طريق التجارة أو الزراعة أو غير ذلك، هذه الفئة يجب على الأغنياء من المسلمين أن يهتمّوا بها، ويتفطّنوا لها، فهي فاضلة عفيفة لا تطلب المال، ولا تتظاهر بالفاقة، ولكنّ المسلم الغنيّ الفطن، لا بد وأن يتفطّن لفقرهم وحاجتهم، فهو يراهم أهل جهاد ودعوة في سبيل الله، ولا وظيفة لهم، ولا تجارة ولا فلاحة، فمن أين يأكل؟ فهؤلاء بحاجة إلى مساعدة، والمسلم الذي يريد الجنة، لا بدّ أن يطلبها بعمله وسلوكه، وليس بالرغبة والأماني، بل بالتطبيق لما آمن به، ومصداقا لقوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[5]. فإنّ ثمة معان أخر من لوازم هذه الكناية ومتفرّعة عنها منها:- أنّ في قوله تعالى:﴿ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ حيث استعمل الفعل الماضي المبني للمجهول" أُحْصِرُواْ" للدلالة على أنّ ثمة شيئا ما منعهم من الاشتغال والكسب بالتجارة وغيرها، وأنّهم مثل غيرهم لهم مطالب مادية ومصالح شخصية لا

[1] – تفسير البغوي:ص259.

[2] – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، م1،ص 286.

[3] – المصدر نفسه: ص 286.

[4] – تفسير البغوي: ص 259.

[5] – لقمان 27.

تكون إلاّ بالسعي في الأرض لكسب المال وتحقيقها، ولكنّهم تركوا ذلك، لأنّ أمرا هاما منعهم،وهو الجهاد في سبيل الله والذي يتفرّع عنه الدعوة إلى الله تعالى.وهذا الأمر الهام يفهم من خلاله قوله تعالى:﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال قتادة: هم هؤلاء حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله [1]. فالذين شغلهم طلب العلم أو تعليم الناس أمور دينهم أو دعوة الناس إلى دين الله تعالى، فكان سببا في فقرهم وحاجتهم يجب أن يهتم بهم وينفق عليهم.

وهذا لا يعني أنّ طالب العلم أو الداعية لله تعالى لا يشتغل بالتكسّب وينتظر عطاء الناس، ولكن في بعض الأحيان نجد أفرادا قد وهبهم الله تعالى قدرة على تعليم الناس ودعوتهم وتربيتهم، فيشتغلون معظم الوقت بالدعوة والتعليم، فلا وقت لديهم للتكسّب، فإن اشتغلوا بالمعاش لم يقم أحد مقامهم فتضيع مصالح الدعوة، ولأنّ المجتمع المسلم كما قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [2]، فمن مصلحة الدعوة ومصلحة المسلمين، إن كان أهل العلم والدعوة فقراء، أن ينفق عليهم ولا يتركون للهمّ أو يضطرون لترك الدعوة والذهاب للتكسّب، فإن وجد الداعية المسلم الذي يوفق بين دعوته وتكسّبه فهذا من فضل الله تعالى. – التعفف عن السؤال من أخلاق المسلم، وهذه الصفة من أهم مواصفات الداعية المسلم إلى الله تعالى، ذلك أنّ سؤال الناس المال، قد يجعلهم يسيئون الظن به، وأنه يستغل الدعوة للتكسب، أما إن وجد الغني المؤمن الصادق الورع، فتفطنّ له فأنفق عليه، فلا حرج على الداعية أن يقبل ذلك.﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾.– أن يكون مظهر الداعية مظهرا لائقا، لا أقول أنيقا ولكن مقبولا فالمسلم الداعية في نظر الناس يمثّل الإسلام، فلا يجوز له أن يظهر بمظهر سيّئ، وذلك حسب قدرة وظروف الداعية﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾.– فعل الخيرات سبيل الفلاح عند الله

[1] – تفسير البغوي:ص 259.

[2] – الحجرات 10.

تعالى:﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1]، وأعظم خير يقدّمه المسلم في حياته لأجل الفلاح بعد مماته، هو الإنفاق وخصوصا على الفقراء الذين وقفوا أنفسهم لأجل الدعوة إلى الله تعالى﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾، وانظر هنا فأصل الجملة " فإنّ الله عليم به" لكنّه قدم الجار والمجرور" به " على (عليم) . للاهتمام به، فهذا الإنفاق ليس كأيّ إنفاق وهذا الخير ليس كأي خير، فهو عند الله تعالى من جليل الأعمال، لأنّه إنفاق على من جاهدوا في سبيل الله تعالى، وعون لمن قام بالدعوة إلى الله تعالى.

## 6- سماع الآيات وضبط السلوكات:

قال الله تعالى:﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[2].

الكناية في قوله تعالى:" **وَٱسۡمَعُواْ** "، فالمراد الامتثال(فهو كناية إذ ليس الأمر هنا بالسماع بمعنى الإصغاء إلى التوراة فإن قوله﴿ **خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ** ﴾ يتضمنه ابتداء لأن المراد من الأخذ بقوة الاهتمام به، وأول الاهتمام بالكلام هو سماعه، والظاهر أن قوله﴿ **خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ** ﴾ لا يشمل الامتثال فيكون قوله" **وَٱسۡمَعُواْ** " دالا على معنى جديد وليس تأكيدا)[3]. فالكناية إذن في قوله تعالى " **وَٱسۡمَعُواْ** " تدلّ على معنى السلوك، فهي توجّه إلى الالتزام بالأوامر وترك النواهي وأداء الواجبات، فالإيمان وحده بالكتاب الإلهي لا يكفي، وتلاوة آياته لا يكفي، وسماع الآيات لا يكفي، كل ذلك مطلوب ومقبول مرحليا، ولكنّ الأهم من

---

[1] – الحج 77.

[2] – البقرة 93.

[3] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص 609.

ذلك هو الامتثال للأوامر، وهو التطبيق على أرض الواقع لمعاني الكتاب الرباني، سواء تعلّق الأمر بأهل الكتاب أو بالمسلمين.

إنّ بني إسرائيل كما تشير الكناية من طبيعتهم أنّهم قوم لا يهتمون بأوامر الله تعالى ولسان حالهم يقول"**سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** " فمن أبعاد الكناية هنا" **وَٱسْمَعُواْ** " تنبيه المسلم إلى ضرورة العمل. وأنّ من أهم أهداف إنزال الكتب هو ضبط سلوك المسلم وذلك بالتطبيق، ولما كان من أهم مميّزات معجزات القرآن (أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجسم)[1]، فإنّ مع المعنى الذي أشارت إليه الكناية كما رأينا، هناك معان وأسرار أخرى منها: – قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ** ﴾ فيه خطاب لحاضر، بينما الأصل هذه حكاية عن بني إسرائيل زمن موسى عليه السلام فما سر ذلك؟ السر في ذلك هو أن بأخذ الحاضر العبرة من السلف، فقد كانوا يتعاملون مع الله تعالى بالمعاصي، فأذلهم الله تعالى وعاقبهم وكذلك الجيل الحاضر، ففيه تحذير لبني إسرائيل زمن الرسول عليه السلام أن لا يكونوا مثل أسلافهم.وفيه أيضا تربية وتعليم للمؤمنين أن يحسنوا الأدب مع الله تعالى. –إنّ الله تعالى يريد من المؤمن عملا يصدق إيمانه، فالإيمان القلبي واللساني غير كاف، فقوله تعالى لبني إسرائيل " **وَٱسْمَعُواْ** " أي امتثلوا للأوامر، فردّوا " **سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** "، أي سمعنا الأوامر، وقالوا بأعمالهم عصيا.والواقع العملي( هو الذي يمنح القول الشفهي دلالته،وهذه الدلالة أقوى من القول المنطوق. وهذا التصوير الحي للواقع يومئ إلى مبدأ كلي من مبادئ الإسلام: إنه لا قيمة لقول بلا عمل، إن العمل هو المعتبر، أو هي الوحدة بين الكلمة المنطوقة والحركة الواقعة وهي مناط الحكم والتقدير) [2].

[1] – مباحث في علم التفسير: د، عامر نايف الزوبعي، ص 35.

[2] – في ظلال القرآن: سيد قطب ،م1،ص 85.

إنّ الناظر اليوم في تصرفات الكثير من المسلمين، إذا قيست بشريعة الإسلام، بعيدة عن مقاصد الإسلام ومبادئه وأخلاقه، فالرشوة والغش والغيبة كل ذلك وغيره ليس من الإسلام..ومع ذلك لا تجد أحدا يعتقد أنّه بعيد عن الإسلام، وهذا خلل يجب أن يعالج، فهذا النوع من الإيمان لا حاجة لله به، ولا خير فيه، ولا عزة ولا نصر ولا جنة به.﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾- إنّ المسلم كفرد يمكن أن يتعرّف على إيمانه إن كان حقيقيا أو ادّعائيا من خلال سلوكاته وتصرفاته، فإن كان ملتزما بأوامر الإسلام، مؤديا للفرائض، معتدلا في معاملاته...فهو مؤمن بحق، وإن كان مخالفا في واقعه لأوامر الله فليتّهم إيمانه.والمصلح الاجتماعي، وهو يريد تربية الأمة على فضائل الأخلاق، ويوجهها وفق مبادئ الإسلام، فلينظر أولا إلى سلوكات الناس، فإن وجد انحرافا كبيرا وتطبيقا سيّئا للعبادات، ومعاملات لا تتفق ومبادئ الإسلام، فليعلم أنّ المشكلة في الباطن، المشكلة في الإيمان، الإيمان ادّعائي وليس حقيقيا، فالإيمان الصحيح القويّ الصادق يأمر بطاعة الله تعالى، يأمر بحسن الأدب مع الله تعالى يأمر بأداء الواجبات والعبادات والإحسان في المعاملات، أما الإيمان الخاطئ الضعيف الكاذب فصاحبه لا يقوى على الطاعة و الاستقامة...لأجل ذلك يتوجّه الإصلاح إلى التربية الإيمانية بتصحيح العقيدة في العقول،و غرس حقائق الإيمان في القلوب، ليثمر هذا الإيمان بعد ذلك طاعة لله تعالى ومعاملة حسنة للناس.

## 7- سلوك الطغاة:

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[1].

[1] - البقرة 49.

الكناية في قوله تعالى:﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾، ففي يستحيون(كناية عن استحياء خاص ولذلك أدخل في الإشارة في قوله:﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ ولو كان المراد من الاستحياء ظاهره لما كان وجه لعطفه على تلك المصيبة [1] .فهذا الاستحياء للنساء (كان المقصد منه خبيثا وهو أن يعتدوا على أعراضهن ولا يجدن بدا من الإجابة بحكم الأسر والاسترقاق)[2].

إنّ فرعون من خلال هذه الكناية ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ طغى في الأرض وأفسد،لقد عارضه بنو إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام، فرفض المعارضة حتى وإن كانت مشروعة بل مؤيّدة من قبل الله تعالى، لقد سعى فرعون إلى إذلال بني إسرائيل وسلك سلوكا سيّئا للغاية، حيث أمر بذبح الذكور و استحياء النساء، ليسهل عليه بعد ذلك القضاء على كل معارض لحكمه و سياسته الظالمة.ففرعون (وضع نفسه في موضع تأليه مع تشكيل أو تكوين بنية سياسية اجتماعية مصوبة نحو الخضوع أو التسليم له، وفي حين أنه لاقى قبولا من الأكثرية، لاقى على عكس ذلك صدودا من بني إسرائيل ولذا باتوا هم مرتكز همه في البطش بهم حتى تختفي المعارضة لفكرة تأليهه وظلمه لذاك اتخذ أسوأ منحى: منحى قتل الأطفال من جهة، ثم منحى قهر النسوة الكبار في السن واستخدامهن في أعمال شاقة، والمعنى أن فرعون أخذ أقصى طرفي الضعف الإنساني: الطفل والمرأة المتقدمة سنا في إفراط أو في اتخاذ إجراءات بالغة في التطرف و القسوة عليهما، ومن يأخذ هذين الخطين عادة فقد يحصر الشباب في زاوية واحدة للبطش بهم بالقوة الطاغية كمجموعة بالنتيجة ومن ثم القضاء على المعارضة)[3].وإذا كان فرعون كأحد الطغاة في الأرض، سلك لأجل عرشه طريق قتل الأطفال"الذكور" واستحياء النساء، للقضاء على صوت الحق، فإنّه في كل زمان يظهر فرعون آخر، يتّخذ البطش والقوة كسلوك يتعامل به مع معارضيه ومخالفيه.

---

[1] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص492.

[2] – المصدر نفسه: ج1، ص492.

[3] – نفسية بني إسرائيل في القرآن: د، زاهية راغب الدجاني، ص50.

ولئن كان فرعون من قبل ذبّح الأطفال ماديا واستحي النساء، فجعلهنّ خادمات أو سبايا يغتصبن، فإنّ طغاة آخرين قد يقتلون الأطفال معنويا، وذلك عن طريق نشر الجهل والفقر بين الناس، عندها يكبر الأطفال ولكن لا يعارضون، أو لا يعرفون كيف يعارضون، لأنّ المعارضة الصحيحة الهادفة الجادة يتحكّم فيها العلم ويوجهها العلماء.وهل كان موسى عليه السلام إلاّ صاحب علم؟ وقصته في سورة الكهف مع الخضر عليه السلام خير دليل﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾[1].كذلك النساء قد يستعملن كوسيلة للقضاء على كل صوت فيه خير وفيه دعوة إلى الإصلاح، عن طريق إفسادهن باستعمال الدعوة إلى التحرر والمساواة وعليه إلى السفور وهذا فيه خطر على الشباب، وعندما يكون همّ أكثر الشباب المرأة مع وجود الفقر حيث لا يقدرون على الزواج فالفساد محتمل، والفساد لا يقوى على المعارضة ولو كان الحاكم مستبدّا ظالما. فالكناية الواردة في﴿ **وَيَسْتَحْيُونَ** ﴾ تدلّنا على أنّ استعمال المرأة من قبل الطغاة الظالمين كسلاح للدفاع عن طغيانهم وللقضاء على المعارضين لهم، أمر وارد مع كل طاغية وإن كان أسلوب الاستعمال يختلف.وإني أرى في عصرنا أن توظيف المرأة في كل المجالات مع تغييب مقصود لعنصر الذكور، يدخل في دائرة المؤامرة، لست ضدّ عمل المرأة، لكن حين يأتي شاب له شهادة وهو مقبل على الزواج ولا سكن له فلا يوظّف ، وتوظّف أخرى بنفس الشهادة أو أقل مع وجود من يرعاها من أب أو زوج، ما معنى هذا؟!.

إنّ طبيعة المرأة في الغالب لا تقوى على معارضة الظّلمة، قد يعارضها أبوها أو أخوها أو زوجها،أو من ذاتها إذا هدّدت فلا تستمر في المعارضة.نعم قد توجد بعض النساء لهنّ قوّة وجرأة،ولكن بشكل عام المعارضة يبدأها الرجال وتساندها النساء.فتوظيف النساء وحرمان الرجال سلوك غير بريء،وهذه النتيجة مستوحاة من الكناية في قوله تعالى:﴿**وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ** ﴾.

[1] – الكهف 66.

## 8- الثبات على أداء الواجبات الوقتية:

قال الله تعالى:﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

وردت الكناية في قوله تعالى:﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ فالنهي( عن مفارقة الإسلام أعني عن ملة إبراهيم في جميع أوقات حياتهم، وذلك كناية عن ملازمته مدة الحياة لأن الحي لا يدري متى يأتيه الموت فنهي أحد عن أن يموت غير مسلم أمر بالاتصاف بالإسلام في جميع أوقات الحياة)[2]. واضح أنّ في هذه الكناية دعوة المسلم إلى الحرص على أداء واجبات الإسلام، ومادام لكل وقت واجب، فالصلاة والصوم والحج لكل منها وقت معلوم، وهكذا سائر العبادات والواجبات، فعليه أن يؤدي واجب الوقت، حتى إذا حضر الموت لقيه مسلما.

إذ من أبعاد الكناية ها هنا﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ فيما يتعلّق بسلوك المسلم، أن الإسلام ليس شهادة تنطق، بل هو سلوك يمارس، إذ الإسلام واجبات ومهام، فالإيمان بها والرغبة في التزامها لا يكفيان، بل لابد من العمل.وفي مواضع شتّ من القرآن الكريم نلاحظ دعوة الله تعالى لعباده أنّ عملهم وسلوكهم هو سبيل الجنّة مع رحمة الله تعالى، وأنّ ما قدم الإنسان من عمل هو المعتبر وليس الاعتقاد والقول وحسب، قال الله تعالى:﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[3]. هكذا( ليس للإنسان إلا جزاء سعيه إن عمل خيرا جزي عليه وإن عمل شرا

---

[1] – البقرة ( 130، 131، 132).

[2] – التحرير والتنوير: ابن عاشور،ج1، ص 729.

[3] – النجم 39.

جزي شرا)[1]. فمن أراد أن يموت على الإسلام، فلابدّ من فعل الخيرات مع قصد رضوان الله تعالى، فالواجبات الشرعية كلّها خير، وأثارها خير.

وعند الحديث عن تطبيق الإسلام، فنعني بذلك كل تكاليف الإسلام، العبادات كالصلاة والمعاملات والأخلاق، كالأمانة والوفاء والإنفاق والجود..فالإسلام خير، والخير لا يتجزّأ، فلا يؤخذ بعضه ويترك بعضه. وفي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2]. ما يؤكد ذلك، فانظر كيف ربط بين الأمر بالسجود والركوع اللذان يرمزان للصلاة، ثم جاء لما يدل على عموم الطاعة﴿ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ ثم أمر بفعل الخيرات، والصلاة وسائر العبادات وكل الواجبات الشرعية هي خير، يقول ابن جرير الطبري:وافعلوا الخير الذي أمركم به الله، لتفلحوا بذلك فتدركوا به طلباتكم[3].

وإذا كان من أهم ما تتميز به الصورة البيانية في القرآن بل البلاغة كلّها ذلك التناسق بين الألفاظ والمعاني، وبين( مكونات الآية أو الآيات داخل السورة الواحدة)[4]، فإنّه يمكن استخلاص معان أخر لها ارتباط بالكناية الواردة في قوله تعالى:﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾، من هذه المعاني: -إنّ إبراهيم عليه السلام حين استجاب لأمر ربّه فأسلم﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾، لم يكن إسلامه مجرد نطق بالشهادتين، بل بلغ حد التضحية في سبيل الله تعالى، حتّ أنّه ضحىّ بزوجته وولده حين تركهما في مكة بلا ماء ولا أكل ورحل عنهما، بل بلغ إلى حد أن همّ يذبح ابنه كما أمره الله تعالى، ألقي به في النار لأنّه

[1] – زاد المسير في علم التفسير: الإمام جال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1 . 1404هـ/ 1984م،ج8، ص80.

[2] – الحج 77.

[3] – مختصر تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن: ابن جرير الطبري ،م2، ص77 .

[4] – النقد والإعجاز: د، محمد تحريشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م،ص167 .

أسلم لله تعالى وضحىّ في سبيل هذا الإسلام.. ولقد أراد الله تعالى أن يقدم لنا هذا النموذج العملي لمعنى الإسلام، ولمعنى أن يكون المسلم مسلما. لقد عاش إبراهيم عليه السلام مسلما، عاش به وعاش له ومات عليه فالمسلم الحق من يتأسىّ بإبراهيم عليه السلام. -إنّ وصيّة إبراهيم ويعقوب للأولاد بالموت على الإسلام، بعد الحياة به، لم تكن بالقول فقط بل بالقدوة العملية وإنّما يتأثر الموصى بالوصية إذا كان الموصي فاعلا لما يوصي به.﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾.

## ثانيا: الأبعاد السلوكية للتعريض:

### 1- الجزاء على الأعمال لا بالاتّكال :

قال الله تعالى:﴿ تِلۡكَ أُمَّةٌ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1].

مع أنّ أسلوب الآية أسلوب صريح في بيان أنّ للإنسان ما كسب، بمعنى أنّ الجنة أو الثواب عموما يكون لكل شخص على ما قدّم من عمل، ولا يثاب بناء على ما قدّم غيره من آباء أو غيرهم، فإنّ في الآية تعريضا بأهل الكتاب وخاصة اليهود. هذه الآية( عقبت الآيات المتقدمة من قوله تعالى:﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.لأنّ تلك الآيات تضمّنت الثناء على إبراهيم وبنيه والتنويه شأنهم والتعريض بمن لم يقتف آثارهم من ذريتهم وكأنّ ذلك قد ينتحل منه المغرورون عذرا لأنفسهم فيقولون نحن وإن قصّرنا فإنّ لنا من فضل أبائنا مسلكا لنجاتنا، فذكرت هذه الآية لإفادة أنّ الجزاء بالأعمال لا بالاتكال. والخطاب موجّه إلى اليهود أي لا ينفعكم صلاح آبائكم إن كنتم غير

[1] - البقرة 134.

متّبعين طريقتهم. فقوله:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ تمهيد لقوله﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾. إذ هو المقصود من الكلام، والمراد( بما كسبت وبما كسبتم ثواب الأعمال بدليل التعبير فيه بلها ولكم)[1].

فمن أراد ثواب الآخرة فليعمل، فعمل الغير ثواب لهم، فإنّ( أحدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك أنهم افتخروا بأوائلهم)[2].ولئن كان التعريض موجّه لليهود، فإنّ العبرة تشمل كل إنسان عوّل على ما عمل غيره و لم يعوّل على عمله، والمعنى أنّ المسلمين في زماننا كثيرا ما يفتخرون بما قدّم الأجداد والآباء من فتوحات، لكن لا ترى لهم بطولات ولا نجاحات كبرى.

نعم إنّ ذكر الآباء والأجداد والافتخار ببطولاتهم يكون جيدا إذا كان فيه تحفيز وتشجيع لفعل ما فعلوا وأحسن.إنّ من أبعاد التعريض في قوله تعالى:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ بيان أنّ الأعمال التي يقدّمها الإنسان هي التي ترفع قدره وتبلغه الفلاح عند الله تعالى لا الاتّكال على أعمال الآخرين.

## 2- التديّن الصحيح سلوكات لا شكليات:

قال الله تعالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[3].

---

[1] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص 735.

[2] – الكشاف: ج1، ص 95.

[3] – البقرة 177.

هؤلاء هم اليهود، ما إن يجدوا فرصة للنيل من المسلمين فعلوا ذلك، فحين أمر الله تعالى المؤمنين بالتوجه إلى البيت الحرام في الصلاة، بدل التوجه إلى بيت المقدس، ظنّ اليهود أنّها فرصة للنيل من عقيدة المسلمين، حيث أشاعوا أنّ تغيير القبلة معناه، القبلة الأولى فيها خطأ فإن كانت القبلة الأولى صحيحة فالاتجاه نحو المسجد الحرام فيه خطأ، وهكذا أرادوا تشكيك المسلمين في دينهم فبيّن الله تعالى للمؤمنين أنّ مسألة تزكية النفوس، وقضية البر، لا تتعلّق بالاتجاه نحو المسجد الحرام أو المسجد الأقصى وقد استعمل أسلوب التعريض باليهود. فقوله:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ فيه( إقبال على خطاب المؤمنين بمناسبة ذكر أهل الكتاب وحسدهم المؤمنين على اتّباع الإسلام مراد منه تلقين المسلمين الحجة على أهل الكتاب في تهويلهم على المسلمين إبطال القبلة التي كانوا يصلون إليها ففي ذلك تعريض بأهل الكتاب فأهل الكتاب رأوا أن المسلمين كانوا على شيء من البر باستقبالهم قبلتهم فلما تخلوا عنها لمزوهم بأنهم أضاعوا أمرا من أمور البر، يقول مروا عن هذا وأعرضوا عن تهويل الواهنين وهب أن قبلة الصلاة تغيرت أو كانت الصلاة بلا قبلة أصلا فليس له أثر في تزكية النفوس واتصافها بالبر،فذكر المشرق والمغرب انتصار على أشهر الجهات أو هو للإشارة إلى قبلة اليهود وقبلة النصارى لإبطال تهويل الفريقين على المسلمين حين استقبلوا الكعبة)[1].

فالبرّ عند الله تعالى هو إيمان بالله تعالى فيه صدق وحب، وهو أعمال صالحة من صلاة و إنفاق وجهاد في سبيل الله.. نعم إنّ التوجّه إلى القبلة في الصلاة كما أمر الله له شأن، لأنّه من أمر الله تعالى، ولكنّه إذا قيس بالطاعات الأخرى فلا قيمة له، فأهل الكتاب بلا إيمان صادق صحيح.. بلا صلاة ولا زكاة ولا جهاد في سبيل الله، فما قيمة توجههم إلى قبلة ما؟!

[1] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج2، ص128.

إنّ من أبعاد التعريض بأهل الكتاب في قول تعالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ بيان أنّ التديّن الصحيح يكون بالطاعات والعبادات لا بالأشكال فالصلاة مثلا ليس هي مجرّد استقبال القبلة ولكن هي خشوع وخضوع.يقول سيد قطب: إنه ليس القصد من تحويل القبلة ولا من شعائر العبادة على الإطلاق أن يولي الناس وجوههم قبل المشرق والمغرب.. نحو بيت المقدس أو نحو المسجد الحرام.. وليست غاية البر- وهو الخير جملة- هي تلك الشعائر الظاهرة. في حدّ ذاتها مجردة عما يصاحبها في القلب من المشاعر وفي الحياة من السلوك لا تحقق البر ولا تنشئ الخير.. إنما البر تصور وشعور وأعمال السلوك. تصوّر ينشئ أثره في ضمير الفرد والجماعة، ولا يغني عن هذه الحقيقة العميقة تولية الوجوه قبل المشرق والمغرب..سواء في التوجه إلى القبلة هذه أم تلك، أو في التسليم من الصلاة يمينا وشمالا، أو في سائر الحركات الظاهرة التي يزاولها الناس في الشعائر[1].

ومن هذا التعريض يتعلّم المسلم أنّ الذي يرفع قدر الإنسان عند ربّه إنّما الأعمال و السلوكات ذات الأثر الطيب الذي يشمل الفرد والمجتمع.ما قيمة أن يرتاد المسلم المساجد ويتوجّه إلى القبلة ثلاثين أو أربعين سنة أو يزيد، ومع ذلك فهو غافل القلب عن ذكر عظمه الله تعالى، بعيد عن التواضع والجود، بل هو بخيل مؤثر للدنيا، كثير الجزع قليل الصبر ، جبان لا ينصر الحق ولو بكلمة؟!

### 3- سلوك اليهود مبني على الغدر فلا للتطبيع:

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

[1] - في ظلال القرآن: سيد قطب، م1، ص 153.

[2] - البقرة (52/51).

لّما نجّا الله تعالى موسى عليه السلام وقومه من فرعون وجنده، وضرب الله تعالى موعدا مع موسى عليه السلام لإنزال التوراة كما جاء في سورة الأعراف:﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾142.وهي( ذو القعدة بكامله وعشر من ذي الحجة، وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون)[1]. فلمّا خرج موسى عليه السلام لميقات ربّه عبدوا العجل من دون الله تعالى، فكان منهم غدرا وخيانة لنبيّهم.ففي قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾( تعريض بقلة وفائهم في حفظ عهد موسى)[2].

والحقيقة أنّ القرآن الكريم حافل بذكر أخلاق اليهود، وبيان طبيعتهم، فهم أهل مكر وخداع وخيانة... مع الله تعالى ومع أنبيائه فكيف مع عامة الناس؟!

وفي هذا التعريض باليهود بأنهم قليلو الوفاء، بمعنى أهل غدر وخيانة، تعليم للمسلمين آنذاك عند نزول سورة البقرة، بحقيقة اليهود، وهم يعيشون معهم، فيأخذون حذرهم، وفيه تنبيه وتعليم للمسلمين في كل زمان، أن يأخذوا حذرهم من اليهود. واليوم اغتصب اليهود أرض المسلمين بل أشرف أرض بعد مكة وهي فلسطين، فكيف يكون معهم السلام؟ وكيف يفكر قادة المسلمين في التطبيع؟فمن كان قليل الوفاء مع الرسل والأنبياء، أولى أن يكون كذلك مع باقي الناس.

## 4- أعمال دالة على الإيمان لا ادّعاءا بالأقوال:

قال الله تعالى:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[3].

---

[1] – تفسير ابن كثير: ج1، ص 158.

[2] – التحرير والتنوير: ج1، ص 500.

[3] – البقرة 43.

من الفئات التي ذكرتها سورة البقرة فئتي المنافقين و الكافرين ،كما أنّها عالجت وفي مواطن شتّ منها، مسألة النفاق وقضيّة الكفر، وسورة البقرة كما هو شأن القرآن كلّه يقدّم نموذج الفئة المؤمنة التي يريدها الله تعالى أن تقوم بالخلافة على أكمل وجه.

وفي قوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ استعمل أسلوب التعريض، ليبيّن الإيمان الصحيح، ومن ثم يتبيّن أمر النفاق والكفر، ففي الأمر بالصلاة والزكاة وهي أهم قواعد الإسلام(تعريض بالمنافقين، ذلك أن الإيمان عقد قلبي لا يدل عليه إلا النطق،والنطق اللساني أمر سهل قد يقتحمه من لم يعتقد إذا لم يكن ذا غلو في دينه فلا يتحرج أن ينطق بكلام يخالف الدين إذا كان غير معتقد مدلوله. كما قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾. فلذلك أمروا بالصلاة والزكاة لأن الأولى عمل يدل على تعظيم الخالق والسجود له وخلع الآلهة، ومثل هذا الفعل لا يفعله المشرك لأنّه يغيظ آلهته بالفعل ويقول الله أكبر، ولا يفعله الكتابي لأنّه يخالف عبادته، ولأنّ الزكاة إنفاق المال وهو عزيز على النفس فلا يبذله المرء في غير ما ينفعه إلا عن اعتقاد نفع أخروي)[1].

إنّ في التعريض بالمنافقين والمشركين بيان للمسلمين أنّه من لم يعظم الله بأفعاله و سلوكاته فلا قيمة لتعظيمه بأقواله.ويمكن استخلاص معان أخر:-أن يحذر المسلم ولو نطق بالشهادتين أن يكون عند الله تعالى من أهل النفاق بتركه للأعمال الواجبة عليه كالزكاة وغيرها. -إنّ ادّعاء الإيمان والانتساب للإسلام، لا معنى له ما لم يقرن بأعمال و سلوكات هي من قبيل ما أمر الله تعالى في كتابه.

[1] – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج1، ص 472.

## 5- مقاطعة اليهود الغاصبين موقف المؤمنين الصادقين:

قال الله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

إنّه القول الفصل من الله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ ﴾ فأهل الكتاب علم الله عقليتهم ونفسيتهم، لن يتخلوا عن قبلتهم ولن يتوجّهوا لقبلة المسلمين، بمعنى لن يتركوا دينهم، فما موقف المسلمين؟ هل يلينوا معهم؟

الموقف بيّنه الله تعالى وهو يربي الجماعة المسلمة في المدينة أول مرة﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾، والخطاب وإن كان موجّها للنبي عليه السلام فهو يعمّ كافة المسلمين.وفي قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ (تعريض لهم باليأس من رجوع المؤمنين إلى استقبال بيت المقدس)[2].

ومعنى عدم الرجوع إلى بيت المقدس عند الاتجاه في الصلاة، أنّ الله رسم للمؤمنين طريقا ووضع لهم منهجا، وهم آمنوا وصدقوا وعاهدوا الله تعالى على السير وفق هذا المنهج الإسلامي وأن العلاقة بينهم وبين أهل الكتاب تحكمها ضوابط الإسلام.

وإذا كان في التعريض معنى مقاطعة الاتّجاه إلى قبلة بيت المقدس وهي قبلتهم كما يزعمون، فالمعنى البعيد مقاطعة أهل الكتاب في كل أمر يخالف الإسلام.هذا في حال السلم فكيف واليهود اغتصبوا أرض المسلمين؟!إنّ في هذا التعريض دعوة إلى مقاطعة اليهود ماداموا

[1]- البقرة 145.

[2]- التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج2، ص 36.

ظالمين مغتصبين، مقاطعة عامة شاملة، وهذا هو السلوك الصحيح الذي يسلكه المسلم اليوم مع اليهود.

**6- ذكر الله أكبر:**

قال الله تعالى:﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾[1].

كان المشركون في موسم الحج يكثرون من ذكر الأجداد والآباء ويفتخر بعضهم على بعض بذلك.. فلما منّ الله على المؤمنين بالإسلام أبدلهم بأمر آخر هو أعظم وأكبر، إنّه ذكر الله تعالى..الله الذي خلق ورزق، فمن حقّه على عباده أن يذكروه قبل أداء مناسك الحج، وعند أدائها و بعد الانتهاء منها.فقوله تعالى:﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾ فيه أمر، والأمر هنا(تشبيه لما هو كائن بما يجب أن يكون فقد كانت المفاخرة بالآباء وما زالت من مآثر الجاهلية فجاء القرآن ليستبدلها بذكر الله تعالى وتمجيده وتعظيمه بهذا الذكر)[2].

والآية وإن ورد فيها تشبيه، فثمة أيضا تعريض، لأنّ المقصود من قوله تعالى:﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾: أن( يذكروا الله كثيرا وشبه أولا بذكر آبائهم تعريض بأنهم يشتغلون في تلك المناسك بذكر لا ينفع وأن الأجدر بهم أن يعوضوا بذكر الله فهذا تعريض بإبطال ذكر الآباء بالتفاخر)[3] . وواضح أنّ في التعريض تعليم للمسلم أن يترك سلوك التفاخر بالآباء والأجداد وغير ذلك من الأمور التي لا ترجع بالنفع والخير على صاحبها، بل يسلك سلوك

---

[1] – القرة 200.

[2] – النفس في القرآن: دراسة بيانية لآيات النفس الإنسانية(دكتوراه): إعداد الطالب: خالد بن عمير، إشراف،د، عبد الحميد بوكعباش، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسم اللغة العربية، 1432هـ/ 2011م، ص336.

[3]- التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج2، ص245.

التفاخر بما هو أعظم وأجدر، وهو الإيمان بالله تعالى وبدينه الإسلام، هذا التفاخر بالإسلام ليس معناه التكبر على الناس،ولكن فيه تعظيم لله تعالى، ومن أهم ما يدل على تعظيم الله تعالى، أن يشتغل المسلم بذكر ربّه، وخاصة في موسم الحج، ولماذا بعد قضاء المناسك يكون الذكر الكثير لله تعالى؟ لأنّ هذا من باب الشكر لله على نعمته.. لقد خلقه وكبره وهداه للإسلام، وأغناه وأقدره على أداء واجب الحج، ألا يستحق الذكر والشكر؟!

## خلاصة

بعد انهاء الفصل الرابع: ( الأبعاد التربوية للكناية والتعريض)استخلص مايلي:

أوّلا:خلافة الله تعالى في أرضه تكون وفق هذه المعاني- و معان أخرفي القرآن-المستخرجة من الصورة البيانية في سورة البقرة،فالعلم بهذه المعاني ضروريّ،ذلك أنّ هذه المعاني هي بمثابة قواعد ثابتة، لتصحيح التصور، وتزكية النفس، وتقويم السلوك.

ثانيا:من هذه المعاني:

### 1 –في بناء العقيدة وتصحيح الفكر:

أ–كن سبّاقا للخير:﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾41.

ب–حكم الطغاة وسلب الحريات:﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾49.

ج– واجبك التبليغ:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾199.

د- النفاق طريق إلى ضياع مصالح الناس:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ 204-205-206.

ه- يكفيك جزاء الله تعالى عن شكر الناس:﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾270.

## 2: في تزكية النفس وإصلاح القلب:

أ- محبّة لله تعالى وخوف منه:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾110.

ب- ضبط النفس:﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾197.

ج- الإخلاص وطلب مرضاة الله تعالى:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا بَصِيرٞ ﴾110.

د- من فساد القلب إلى الإفساد في الأرض:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا

وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ 204-205-206.

ه- الاستعداد النّفسي للموت:﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ 132/131.

## 3: في ضبط السلوك:

أ- ينفعك عملك:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾254.

ب- لا مزاح في مقام الجدّ:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾67.

ج- الجود والإنفاق طريق إلى العز:﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾195.

د- سماع الآيات وضبط السلوكات:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾93.

ه- الجزاء بالأعمال لا بالاتّكال:﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ **134**.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة حيث تناولت (الأبعاد التربوية للصورة البيانية في سورة البقرة)، توصّلت إلى النتائج التالية:

**أوّلا**: الصّورة البيانيّة في ( سورة البقرة) كشفت لي عن موضوع السّنن التي جعلها الله تعالى لهداية النّفس، وتنظيم الاجتماع البشري، لتحقيق الاطمئنان والخير. ففي التشبيه أو المجاز أو الكناية معان تشير إلى هذه القوانين والسنّن، والفصول الثلاثة تلمح إلى ذلك( أبعاد التشبيه، أبعاد المجاز أبعاد الكناية والتعريض) .ومن هذه المعاني،التي هي في الحقيقة قواعد ثابتة،تصلح لكلّ نفس كي تهتدي وتزكو، ولكلّ مجتمع كي يأمن ويستقر:

* تكاليف الإسلام مبنيّة على رفع الحرج..فلا مبرّر لمن يتشدّد في التوجيه والإصلاح.﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

* السّبيل للمحافظة على المال ومضاعفته،هو الجود بالمال وإنفاقه في سبيل الله ووجوه الخير.

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(261) .

* النّفاق يؤدّي حتما إلى الخوف والاضطراب والجبن.. فهذا قانون لا يتبدّل ولا يتغيّر.

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ ﴾(17) .

* تغليب المصلحة الخاصّة على المصلحة العامّة عند التعارض من علامات النفاق..وهذه قاعدة يقيس المسلم بها مواقفه ليعرف حقيقة إيمانه.﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾20.

* تدّرج الشيطان وغفلة الإنسان.﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾168.

* أداء الواجبات طريق الإخراج من الظلمات.﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾257.

* النّفاق طريق إلى ضياع مصالح الناس﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾(204-205 ).

* سلوك اليهود مبنيّ على الغدر فلا للتّطبيع﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾(**51– 52**).

**ثانيا:** تحتوي الصورة البيانيّة على الكثير من المعاني المختلفة ذات الأبعاد المتنوعة ( الاعتقادية– النفسية– السلوكية) فالتشبيه وحده وفي موضوع واحد، له أكثر من معنى، وهذه المعاني بعضها يصحّح التّصور تجاه أمر ما، وبعضها يتعلّق بتزكيّة النّفس، وآخر له صلة بضبط السّلوك. كقوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(البقرة5 ). هنا تشبيه ضمني،و فيه تصحيح للتّصور تجاه حقيقة الهداية الكاملة وبيان الطريق إليها.. فالطريق إلى الهداية هو الإيمان

بالغيب وإيقام الصلاة والإنفاق، واليقين بالآخرة. وتأخذ من هذا أنّ المطلوب إيقام الصلاة لا الصلاة فحسب، لأجل الهداية﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، وإيقام الصلاة يدخل فيها الإتقان الذي يعني الخشوع، والخشوع أهمّ ما يزكّي النفس. ثمّ من حيث السلوك: فالتشبيه يوضّح أنّ الهداية لا تكون بالتمنّي ولا بالقول ولا بالإيمان بالآخرة فحسب، ولكن بالسلوك (إيقام الصلاة والإنفاق في سبيل الله).﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(البقرة 3 ).

**ثالثا:** خلافة الله تعالى في أرضه تكون وفق هذه المعاني- ومعان أخر في القرآن-المستخرجة من الصورة البيانية،كما بيّنا ذلك في الفصول(الثاني:أبعاد التشبيه. -الثالث:أبعاد المجاز اللغوي. الرابع:أبعاد الكناية والتعريض)من خلال سورة البقرة.وقد ذكر الله تعالى أمر خلافة الإنسان في سورة البقرة.﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(30 ).فالعلم بهذه المعاني ضروريّ.

**رابعا:** هذه المعاني (القواعد)في الجوانب المختلفة (113سالاعتقادية-النفسية-السلوكية)كانت من أهم ما تربّى عليه المجتمع المسلم في بداية تكوينه بالمدينة بعد الهجرة ،لأنّ سورة البقرة من أوائل ما نزل بعد الهجرة،ونفس المعاني تصلح لبناء مجتمع مسلم راشد في زماننا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الـفـهـارس

# فهرس الآيات محل الدراسة

| طـــــــــــرف الآية | اسم السورة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ... | البقرة | 5 | 107 |
| إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ... | البقرة | 7-6 | 109 |
| مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ ... | البقرة | 19-18-17 | 111 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ... | البقرة | 22-21 | 115 |
| وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ .... | البقرة | 66-65 | 117 |
| وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ ... | البقرة | 73-72 | 118 |
| لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ ... | البقرة | 101 | 119 |
| مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ... | البقرة | 106 | 120 |
| وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ ... | البقرة | 113 | 122 |
| وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً ... | البقرة | 143 | 123 |
| وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ ... | البقرة | 165 | 124 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ | البقرة | 183 | 125 |
| ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ ... | البقرة | 261 | 126 |
| ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ ... | البقرة | 275 | 127 |
| لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا وُسْعَهَا ... | البقرة | 286 | 128 |
| أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ... | البقرة | 05 | 130 |
| قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ... | البقرة | 136 | 131 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ ... | البقرة | 165 | 132 |
| إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ ... | البقرة | 167-166 | 132 |
| وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ .. | البقرة | 171 | 133 |
| أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ... | البقرة | 187 | 134 |
| ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ... | البقرة | 195-194 | 135 |
| أَمْ حَسِبْتُمْ أَن ٱلْجَنَّةَ ... | البقرة | 214 | 136 |
| كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ... | البقرة | 216 | 137 |
| نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ... | البقرة | 223 | 137 |
| ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ ... | البقرة | 261 | 139 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ... | البقرة | 264 | 139 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمُ | البقرة | 183 | 140 |
| لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... | البقرة | 286 | 141 |
| أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ... | البقرة | 05 | 144 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ... | البقرة | 183 | 146 |
| فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ... | البقرة | 200 | 147 |
| فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ... | البقرة | 194 | 149 |
| أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ... | البقرة | 187 | 151 |
| نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ... | البقرة | 223 | 152 |
| وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ ... | البقرة | 228 | 152 |
| مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ ... | البقرة | 16 | 156 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ... | البقرة | 22 | 156 |
| وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا ... | البقرة | 65 | 156 |
| وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً ... | البقرة | 142 | 157 |
| إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا ... | البقرة | 166 | 159 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ ... | البقرة | 183 | 160 |
| وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ... | البقرة | 171 | 161 |
| أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ | البقرة | 187 | 162 |
| كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ... | البقرة | 216 | 163 |
| فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ... | البقرة | 194 | 164 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ... | البقرة | 264 | 165 |
| ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ... | البقرة | 265 | 166 |
| ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا ... | البقرة | 275 | 167 |
| أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ... | البقرة | 05 | 168 |
| وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ... | البقرة | 13 | 170 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا ... | البقرة | 22-21 | 171 |
| وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا ... | البقرة | 65 | 172 |
| وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... | البقرة | 118 | 172 |
| وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً ... | البقرة | 142 | 173 |
| وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ | البقرة | 171 | 173 |
| هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ | البقرة | 187 | 175 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ | البقرة | 216 | 177 |
| نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ | البقرة | 223 | 177 |
| وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ | البقرة | 228 | 178 |
| أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ ... | البقرة | 259 | 179 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... | البقرة | 264 | 181 |
| أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ... | البقرة | 20-19 | 188 |
| إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... | البقرة | 7-6 | 210 |
| خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ.... | البقرة | 7 | 212 |
| فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ... | البقرة | 10 | 215 |
| ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ ... | البقرة | 27 | 216 |
| وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ ... | البقرة | 41 | 218 |
| وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ ... | البقرة | 61 | 220 |
| بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ ... | البقرة | 81 | 222 |
| وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ ... | البقرة | 143 | 224 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ ... | البقرة | 168 | 225 |
| أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ ... | البقرة | 243 | 226 |
| أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ .. | البقرة | 16 | 228 |
| إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ ... | البقرة | 175-174 | 228 |
| ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... | البقرة | 257 | 229 |
| فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ... | البقرة | 10 | 231 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ ... | البقرة | 41 | 232 |
| وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ ... | البقرة | 61 | 234 |
| وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ ... | البقرة | 93 | 235 |
| وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ ... | البقرة | 143 | 236 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ ... | البقرة | 168 | 238 |
| فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ... | البقرة | 10 | 239 |
| وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ ... | البقرة | 41 | 241 |
| وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ ... | البقرة | 61 | 242 |
| وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ ... | البقرة | 251-250 | 244 |
| فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ ... | البقرة | 138-137 | 247 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ ... | البقرة | 168 | 249 |
| ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... | البقرة | 257 | 250 |
| إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ ... | البقرة | 174 | 254 |
| وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ ... | البقرة | 41 | 265 |
| وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ ... | البقرة | 61 | 267 |
| أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ ... | البقرة | 107 | 268 |
| قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا ... | البقرة | 97 | 269 |
| وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ ... | البقرة | 120 | 271 |
| وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم ... | البقرة | 49 | 273 |
| إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ ... | البقرة | 119 | 275 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | | |
|---|---|---|---|
| قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ... | البقرة | 95-94 | 276 |
| وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ ... | البقرة | 206-205-204 | 278 |
| وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ ... | البقرة | 270 | 281 |
| وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ... | البقرة | 110 | 283 |
| أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ... | البقرة | 16 | 284 |
| الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ... | البقرة | 2-1 | 286 |
| وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ ... | البقرة | 13 | 288 |
| فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ ... | البقرة | 24 | 291 |
| وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ... | البقرة | 43 | 292 |
| إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... | البقرة | 164 | 293 |
| وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ ... | البقرة | 57 | 295 |
| وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ ... | البقرة | 120 | 296 |
| ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ... | البقرة | 3-2 | 297 |
| وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ ... | البقرة | 131-130 | 298 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... | البقرة | 173-172 | 299 |
| فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ ... | البقرة | 200 | 301 |
| وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ... | البقرة | 110 | 303 |
| ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ ... | البقرة | 197 | 305 |
| وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ ... | البقرة | 115 | 307 |
| وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ ... | البقرة | 205-204 | 309 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ ... | البقرة | 270 | 310 |
| وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ ... | البقرة | 133-132 | 312 |
| أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ... | البقرة | 16 | 314 |
| قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ .. | البقرة | 39-38 | 316 |
| يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ ... | البقرة | 40 | 319 |
| وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ... | البقرة | 46-45 | 322 |
| وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ... | البقرة | 110-109 | 323 |
| وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً ... | البقرة | 125 | 326 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ | البقرة | 168 | 326 |
| رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ ... | البقرة | 129 | 327 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ ... | البقرة | 168 | 329 |
| لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ ... | البقرة | 177 | 332 |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ... | البقرة | 254 | 336 |
| وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ... | البقرة | 67 | 338 |
| وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ... | البقرة | 195 | 339 |
| وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ... | البقرة | 196 | 341 |
| لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ ... | البقرة | 273 | 342 |
| وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ... | البقرة | 93 | 345 |
| وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ فِرْعَوْنَ ... | البقرة | 49 | 347 |
| وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ ... | البقرة | 131-130 | 350 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ... | البقرة | 134 | 352 |
| لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ ... | البقرة | 177 | 353 |
| وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ ... | البقرة | 52-51 | 355 |
| وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ... | البقرة | 43 | 356 |
| وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ... | البقرة | 145 | 358 |
| فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ... | البقرة | 200 | 359 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# فهرس الأحاديث

| طرف الحديث | الراوي | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| من قرأ بالآيتين... | البخاري | 11 |
| اقرءوا سورة البقرة... | مسلم | 13 |
| لئن رأيت محمدا يصلي... | البخاري | 48 |
| لتأتين يوم القيامة بسبعمائة... | مسلم | 127 |
| لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا... | مسلم | 167 |
| لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود... | أبو عبد الله بن بطة | 172 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# فهرس الأشعار

| عجز البيت | القائل | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| وليل يقول النا س من ظلماته | الأعشى | 110 |
| ورب أسراب حجيج نظم | العجاج | 305 |
| الحمد لله الذي استقلت | العجاج | 305 |
| وقال كل خليل كنت آمله | كعب بن زهير | 336 |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# قائمة المصادر والمراجع :


- المصحف الشريف برواية حفص.

1. أحكام القرآن: أبو بكر محمد عبد الله ابن العربي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.
2. أساس البلاغة: الإمام جار الله أبو القاسم بن عمر الزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ / 2006م.
3. أسباب النزول: أ.د، الحسن علي أحمد النسيسابوري، تخريج الأحاديث الشريف محمد عبد الرحمن، دار التقوى.
4. أسباب النزول القرآني: د، غازي عنابة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط1 1407هـ / 1987م.
5. إعجاز البلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت لبنان،1426هـ/ 2005م.
6. إعراب القرآن الكريم الميسر: أ. د، محمد الطيب الإبراهيمي، دار النفائس، بيروت، لبنان ط3، 1428هـ .
7. أسرار البلاغة: الإمام عبد القاهر الجرجاني، ت: د، محمد الاسكندراني، د، محمد مسعود دار الكتاب العربي، بيروت، 1426هـ /2005م.
8. أسباب النزول عن الصحابة و المفسرين: عبد الفتاح القاضي، دار المصحف، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد، القاهرة، ط1.
9. إشكاليات القراءة وآليات التأويل: نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط7، 2005م.
10. أصول التفسير وقواعده: الشيخ خالد عبد الرحمان العك، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 1424هـ/ 2003م.

11. الإيضاح في علوم البلاغة، الإمام الخطيب القزويني، دار الكتاب اللبناني 2007م/1424هـ.

12. الإعجاز في القرآن طريق إلى الإيمان: منيب الطحان، دار سعد الدين، دمشق، ط1 1420هـ / 1999م.

13. ابن جزي و منهجه في التفسير: علي محمد الزبيري، دار العلم، دمشق، ط1. 1407هـ/1987م الإبداع البياني في القرآن العظيم: الشيخ محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1428هـ/ 2007م.

14. الأدب الإسلامي قضاياه المفاهيمية و النقدية: أ. د، عباس محجوب، دار للكتاب العالمي عمان، الأردن، ط1، 2006.

15. بيان إعجاز القرآن:الإمام محمد بن أحمد بن إبراهيم الخطابي،شرح و تعليق:عبد الله الصديق،دار الفكر،بيروت،ط1 ،1372هـ.

16. بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، علي بن عثمان بن مصطفى المارديني ابن التركماني، ت: مرزوق علي إبراهيم،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر.2002.

17. البيان في ضوء أساليب القرآن: د، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، ط2 1985م.

18. البلاغة الجديدة: د، محمد العمري، بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب.

19. البلاغة العربية (علم البيان) في ثوبها الجديد: د، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين ط10، 2006م، ج2.

20. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان،ج1.

21. الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان ط1، 1986م.

22. جامع البيان عن تأويل أي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر بيروت،لبنان، 1408هـ/1988م.

23. الجمان في تشبيهات القرآن: ابن ناقيا البغدادي، تحقيق: د، محمد الصاوي الجويني منشآت المعارف، الإسكندرية، مصر.

24. جدد حياتك: الشيخ محمد الغزالي، دار اليمن للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2002م.

25. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج1.

26. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، ت:د، عمار الطالبي،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ج3.

27. جواهر البلاغة في المعاني و البيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت 1424هـ/2003م.

28. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق: د، محمد عبد المنعم خفاجي دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2004م.

29. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان،ج1.

30. دراسات قرآنية: محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط4، 1403هـ/1983م.

31. الواضح في البلاغة: محمد زرقان الفرح، دار هبة وهدى، ط1. 1416هـ/ 1996م.

32. زاد المسير في علم التفسير: الإمام جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1404هـ/ 1984م،ج6، ج8.

33. حتّ يغيروا ما بأنفسهم: جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط7 1414هـ/1997م.

34. كيف نتعامل مع القرآن: الشيخ محمد الغزالي، دار الرجاء، عنابة، الجزائر.

35. الكشاف: تفسير عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الإمام الزمخشري ت: محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، ط3، 1397هـ/ 1977م، ج1-ج4.

36. لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط3 1400هـ/1980م.

37. مختار الصحاح:الإمام محمد بن أبي بكر الرازي،دار المعرفة، بيروت، لبنان 1426 ه-2005 م.

38. مباحث في علم التفسير: د، عامر نايف الزوبعي، المشرق للكتاب، دمشق، ط1 1429هـ/2008م.

39. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: الأمام عبد الحميد ابن باديس

جمع وترتيب: د، توفيق محمد شاهين و محمد الصالح رمضان،تعليق وتخريج الأحاديث: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1 ،1416هـ/1995م.

40. موسوعة أخلاق القرآن: د، أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت،ط 1، 1971م .

41. الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية: د، أحمد مصطفى متولي دار الجوزي، القاهرة، ط1، 1426هـ/2005م.

42. المحاور الخمسة للقرآن الكريم: الشيخ محمد الغزالي، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة الجزائر.

43. محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت، م1، ج1، ط1 1398هـ/1978م.

44. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1 1413هـ/ 1993م، ج1.

45. الميزان في تفسير القرآن : السيد حسن الطباطبائي،منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان . ط1، 1441هـ/1991م، ج 15.

46. من بديع لغة التنزيل: د، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2 1407هـ/1986م.

47. من جماليات التصوير في القرآن الكريم: د،محمد قطب عبد العال، الهيئة العصرية العامة للكتاب،ط2، 2006م.

48. من هدي الإسلام ( فتاوى معاصرة): د، يوسف القرضاوي، دار العلم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

49. من روائع القرآن الكريم: د، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي للمعارف دمشق، سوريا، 1427هـ / 2007م.

50. معالم التنزيل : الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك و مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج1.

51. منهج القرآن في إصلاح المجتمع: د، محمد السيد يوسف، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1424هـ/2004م.

52. معجم ألفاظ القرآن: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، مصر 1410 هـ / 1990م، ج2.

53. معجم غريب القرآن: محمد فؤاد عبد الباقي، دار العلم، بيروت، لبنان، ط2.

54. المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

55. المصحف المسير: الشيخ عبد الجليل عيسى، دار الشروق، ط5، 1391هـ.

56. مقاصد القرآن: حسن البنا، دار الشهاب، باتنة،الجزائر.

57. المقدمة: ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان.

58. المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية: د،جمال حضري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1431هـ /2010م.

59. المختار في تفسير القرآن الكريم: محمد متولي الشعراوي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ج1.

60. مختصر تفسير الطبري " جامع البيان عن تأويل أي القرآن": محمد ابن جرير الطبري، تحقيق واختصار: الشيخ محمد علي الصابوني، د. صالح أحمد رضا، مكتبة رحاب، الجزائر، م2.

61. المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح: الإمام شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2007م/ 1428هـ.

62. مشكل القرآن الكريم: عبد الله بن محمد المنصور، دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع الرياض، السعودية، ط1، 1426هـ.

63. مكونات العملية التعليمية في الفكر التربوي الإسلامي: د، محمد البوزيري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب.

64. النبأ العظيم نظريات جديدة في القرآن: د، محمد عبد الله دراز، دار العلم ، الكويت، ط2 1425هـ/ 2004م.

65. نحو تفسير موضوعي: الشيخ محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، مصر.

66. نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني: أ، توفيق محمد سبع، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، القاهرة، 1391هـ/ 1971م. ج2.

67. نفسية بني إسرائيل في القرآن الكريم: د، زاهية راغب الدجاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

68. النقد و الإعجاز: د، محمد تحريشي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004م.

69. السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط: د،مجدي محمد محمد عاشور، ط2، 1428هـ/2007م.

70. علم البيان: بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ط2، 1425هـ/ 2004م.

71. العقيدة والفكر الإسلامي: د، محمد هشام سلطان، مكتبة رحاب، الجزائر، ط2 1408هـ/1988م.

72. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير: الإمام محمد بن علي محمد الشوكاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، م1، ط2، 1422هـ، 2001م.

73. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، السعودية،م1 ط12، 1406هـ/ 1986 م.

74. فن علوم القرآن : د، فؤاد علي رضا، دار اقرأ، بيروت،ط3، 1404هـ / 1984 م.

75. فصول في البلاغة: د، محمد بركات حميدي أبو علي، دار الفكر، عمان، ط1 1403هـ/ 1983م.

76. الصورة الأدبية في القرآن: د، صلاح الدين عبد التواب، مكتبة لبنان، ناشرون ط1، 1995م.

77. الصورة الأدبية:د، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.

78. صحيح البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، عالم الكتب، بيروت، م3، ج6.

79. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشري، دار إحياء التراث العربي بيروت،ج3.

80. صحيح مسلم بشرح النووي: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشري، دار الكتاب العربي،بيروت ،لبنان،1407-1987م. م6 ،ج11.

81. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، بيروت،لبنان، 2007م/1424هـ ج3.

82. صور بيانية وأسرار تربوية في سورة النور: حميودة عبود، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر ط1، 1429 هـ/ 2008م.

83. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، سوريا، ط2، 1409هـ /1989م.

84. القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية: أ. د، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ / 1998م.

85. قرآن كريم تفسير و بيان: محمد حسن الحمصي، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة الجزائر.

86. القرآن محاولة لفهم عصري: مصطفى محمود، دار المعارف، مصر.

87. قصص الأنبياء: أبو الفداء إسماعيل ابن كثير حققه وعلق عليه:د، أحمد محمود متولي، دار السلام، للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1422هـ/ 2002م.

88. شرح المعلقات العشر: القاضي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

89. تأويل القرآن العظيم: محمد أمين شيخو، ت: أ. عبد القادر يحي الشهير بالديراني، مكتبة البشير، دمشق، م1.

90. تفسير سورة النور: أبو الأعلى المودودي،دار الشهاب، باتنة، الجزائر.

91. التبيان في أقسام القرآن: ابن قيم الجوزية، ت: أبو عبد الرحمن عادل بن أحمد حامد محمد دار الإيمان، الإسكندرية، مصر 2002م.

92. التحرير و التنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر تونس ج(1-2-3)، 1984 م.

93. تحت راية القرآن: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1426 هـ/ 2005م.

94. تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي، تحقيق وتقديم: د، علي محمود منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1986م.

95. تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت م1، ج1، ط1، 1398هـ/1978م.

96. التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد: أ. د، عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2007م.

97. التفسير الواضح: د، محمد محمود حجازي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط1، 1402هـ/ 1982م، ج1.

98. التفسير الكبير:الإمام محمد الرازي فخر الدين،دار الفكر، بيروت، 1398هـ/ 1978م.م1.

99. التفسير البياني للقرآن الكريم: د، عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ ، دار المعارف، مصر ج2.

100. التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا: د، أحمد رحماني، منشورات جامعة باتنة،الجزائر.

101. تفسير القرآن العظيم: الإمام إسماعيل ابن كثير، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ج1، ط3 1983م.

102. التفسير القيم :الإمام ابن قيم الجوزية ،ت:محمد حامد الفقي ،دار العلوم الحديثة بيروت،لبنان.

103.تفسير روح المعاني: الشيخ ابو الفضل محمد الألوسي، دار الفكر،بيروت،لبنان،م6، ج16 ص172.

104.- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر،بيروت،ط3، 1394-1974م، م6 ص113.

105.تفسير القرآن الحكيم(المنار):محمد رشيد رضا،دار المعرفة،بيروت،ط2،م1.

106. التعبير الفني في القرآن: د، بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، ط2 1396هـ/1976م.

107. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق،القاهرة، مصر.

108. التقابل الجمالي في النص القرآني: د، حسن جمعة، منشورات دار النمير، دمشق، ط1 2005م.

109. تربيتنا الروحية: سعيد حوى، مكتبة رحاب، الجزائر.

110.خواطر حول القرآن الكريم: الشيخ محمد متولي الشعراوي، مجمع البحـــوث الإســـلامية الأزهر، 1411هـــ/1991م.

111.خصائص التشبيه في سورة البقرة: د، إبراهيم علي حسن داود، مطبعة الأمانة، مصر، ط1 1406هـــ/ 1986م.

112.الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، ترجمة عبد الصابور شاهين، تقديم: محمد عبـــد الله دراز و محمود محمد شاكر، دار الفكر، دمشق، سوريا، طـــ6، 1427هـــ/ 2006م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الدوريات والرسائل الجامعية:

1. أثر البيئة المدرسية في ظهور السلوك المنحرف والإجرامي عند التلميذ: أ.د، الطاهر سواكري مجلة البحوث والدراسات الإنسانية ، جامعة 20 أوت 55 سكيكدة. عدد04، 2009م.
2. النفس في القرآن الكريم: دراسة بيانية لآيات النفس البشرية الإنسانية، رسالة دكتوراه. إعداد الطالب: خالد بن عميور، إشراف: د، عبد الحميد بوكعباش، 1431هـ/1432هـ 2010 م/2011م، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسم اللغة العربية.
3. في إعجاز القرآن الكريم: دراسة الإعجاز البياني في بعض آيات الأحكام: رسالة ماجستير الطالب: عمار ساسي، إشراف د. جعفر دك الباب، 1993/1992، جامعة الجزائر معهد اللغة العربية وآدابها.
4. خصائص التشبيه في القرآن الكريم: د، رابح دوب، مجلة العلوم الإسلامية، دورية تصدرها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر،العدد3 ، 1412هـ/1992م.
5. الفساد أشكاله آثاره وطرق معالجته : أ.د. بوعشة مبارك، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية جامعة 20 أوت 55 سكيكدة، عدد01، 2007م.

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| المقدمة:..... | 3-9 |
| المدخل:بين يدي السورة | |
| أولا:فضلها..... | 11 |
| ثانيا:التسمية والقصة..... | 11 |
| ثالثا:طبيعة السورة وعدد آياتها..... | 13 |
| رابعا:الابتداء بالحروف المقطعة "الم"..... | 14 |
| خامسا:تعلقها بما قبلها وما بعدها..... | 18 |
| سادسا:المحاور الكبرى للسورة..... | 19 |
| سابعا:الأهداف العامة للسورة..... | 24 |
| الفصل الأول:الصورة البيانية في القران الكريم (الشكل والمضمون)..... | 30 |
| المبحث الأول:الصورة البيانية بين اللفظ والمعنى..... | 44 |
| المبحث الثاني:من خصائص ومميزات الصورة البيانية في القرآن..... | 46 |
| المبحث الثالث: الصورة البيانية أسرار وأبعاد..... | 80 |
| **الفصل الثاني:الأبعاد التربوية للتشبيه.** | |
| المبحث الأول:الأبعاد الاعتقادية للتشبيه(بناء العقيدة وتصحيح الفكر)..... | 106 |
| أولا:تصحيح التصور تجاه الله تعالى خالق الأكوان ورب الإنسان..... | 107 |
| 1- لا هداية صحيحة وكاملة إلا من الله تعالى«الهادي»..... | 107 |
| 2- عدل الله في قضائه..... | 109 |
| 3-الله لا يغفل وقد أحاط بكل شيء علما..... | 111 |
| 4-استمرارية عناية الله تعالى بالإنسان..... | 115 |
| 5- الله يغضب وينتقم بسبب العصيان..... | 117 |

6- علم الله وقدرته.....118
7- الله خبير بالنفوس مطلع على الأسرار.....119
8- الله حكيم في تشريعه وأفعاله.....120
9- الله يحاسب ويفصل بين العباد يوم القيامة.....122
10- الله هو الهادي يصطفي من عباده ويختار.....123
11- الله قوي منتقم من الظالمين ناصر للمؤمنين مستحق للمحبة.....124
12- الله رب الإنسان يرعاه ويوجهه ويزكيه.....125
13- الله يرغب عباده في الطاعة ويخوفهم من عاقبة المعصية.....126
14- رحمة الله بالمؤمنين. .....128

**ثانيا:تصحيح التصور تجاه سنن الله في معاملته للناس.**

1- مواصفات واحدة للاهتداء وطريق واحد للفلاح.....130
2-كفاية الله ونصرته.....131
3- لا يقبل الله شرك المحبة.....132
4- دعاة الباطل و عقوبة الحسرة.....132
5- بين الكفر والعقل.....133
6- حدود الله من تعداها ظلم.....134
7- رد العدوان مع التقوى.....135
8- الابتلاء سنة ماضية.....136
9-الخير فيما اختاره الله لك.....137
10-سنة الله بين الطبيعة الكونية والطبيعة البشرية.....137
11-السبيل للمحافظة على المال ومضاعفته.....139
12-رفع الحرج عن الناس والتسيير عليهم من سنن الله تعالى.....140

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**ثالثا:تصحيح التصور تجاه العبادات: صلاة–الصوم–زكاة–حج–جهاد**

1–إيقام الصلاة لا الصلاة.....142

2– تجدد الإنفاق بتجدد الداعي.....144

3– وظيفة الصيام.....146

4–الحج ذكر لله تعالى.....147

5– القتال في سبيل الله رد للعدوان لا لفرض الإيمان.....149

**رابعا:تصحيح التصور تجاه الزواج والعلاقة الزوجية.**

1– تحقيق الستر والأمان.....151

2– مكانة المرأة في البيت.....152

3– حقوق وواجبات.....152

**المبحث الثاني: الأبعاد النفسية للتشبيه في سورة البقرة.**

1–الاطمئنان..... 154

2–التحذير من النفاق لأنه يورث القلق والحيرة .....155

3–محبة الله تعالى والطمع فيه والاعتماد عليه .....156

4–الخوف من غضب الله وعقوبته بسبب العصيان .....156

5– بين الروح والجسد " متعة الروح و متعة الجسد".....157

6–ذل النفس والطمع الزائل.....159

7– الصبر والتحمل لبلوغ غايات كبرى.....160

8–النفور من التقليد الأعمى للكفار.....161

9–شعور المحبة ودفء المودة .....162

10– ألم وأمل .....163

11– رد للعدوان لا للانتقام.....164

12– سخاء ونقاء.....165

13- للنفس المؤمنة غاية كبرى " مرضاة الله ".....166

14- قلق النفس وإطرابها بارتكاب الحرام" التعامل الربوي" .....167

**المبحث الثالث: الأبعاد السلوكية للتشبيه**

1-ملامح على طريق الهداية وأعمال للنجاح في النهاية.....168

2-الحذر والحيطة من النافقين،ودراسة خططهم والتصدي لهم.....170

3-الشكر العملي.....171

4-ترك السلوك الذي يتنافى مع ما شرع الله مخافة العقوبة.....172

5-حسن الأدب مع الله قولا وفعلا.....172

6-العمل الجماعي كأمة لتحقيق الأهداف الكبرى..... 173

7-لا لاتباع الكفار فيما فيه مخالفة لشرع الله تعالى.....174

8-سلوك المسلم فيه حماية وأمان للآخرين.....175

9-سلوك المسلم منضبط بخاصية الوسطية.....176

10-سلوك المؤمن ضابطه رضا الله تعالى لا هوى النفس.....177

11-سلوك المسلم منضبط باستحضار الحساب الإلهي.....177

12-سلوك المؤمن بين الحق والواجب.....178

13-تخطيط المسلم بين المبادئ والوسائل (الثوابت والمتغيرات).....179

14-سلوك المؤمن كله لوجه لله تعالى (العمل والإخلاص).....181

**الفصل الثالث:الأبعاد التربوية للمجاز اللغوي**

**المبحث الأول:الأبعاد التربوية للمجاز المرسل:( الاعتقادية، النفسية، والسلوكية).....188**

**المبحث الثاني:الأبعاد الاعتقادية للاستعارة (بناء العقيدة وتصحيح التصور):.....210**

1- عدل الله وحكمته.....210

2-توظيف العقل والسمع والبصر لمعرفة الحق.....212

3-الله يراقب ويحاسب.....215

4- نقض العهد مع الله طريق الخسران ..... 216
5-آيات الله معالم للهدى لا مغانم للردى.....218
6- مآل العصيان غضب من الله وخسران.....220
7-الخطايا إلى النار مطايا.....222
8-الله يبتلي ويجتبي.....224
9-تدرج الشيطان وغفلة الإنسان.....225
10- قضى الله فلا مفر من الموت.....226
11-سبيل واحد للهداية ونجاح تام في النهاية.....228
12- ترك الدين لأجل الدنيا مآله النار.....228
13-الله يتولى المؤمنين.....229

**المبحث الثالث :الأبعاد النفسية للاستعارة.**

1- مرض القلوب وضلال الدروب.....231
2-آيات القرآن لتقوى الجنان.....232
3-الكفر والعدوان خسارة وأحزان.....234
4-حب الدنيا وإيثارها سبب المعاصي في ارتكابها.....235
5-التردد والشكوك مدعاة للردة وانحراف السلوك.....236
6-الشيطان لك عدوّ مبين بغضك له لا يلين.....238

**المبحث الرابع :الأبعاد السلوكية للاستعارة في سورة البقرة.**

1-السلوك الصحيح والتعامل الصريح .....239
2-آيات الله لتحسين الأعمال لا لجمع الأموال.....241
3-التوبة العملية من العصيان وترك العدوان.....242
4-لا للفرار لتحقيق الانتصار .....244
5-حسن السلوك بعد صحة الاعتقاد.....247

6-الشيطان يغوي والحلال يكفي.....249

7- أداء الواجبات طريق الإخراج من الظلمات.....250

8-بالحق اجهر وعن نصرته لا تتأخر.....254

**الفصل الرابع:الأبعاد التربوية للكناية والتعريض:**

**المبحث الأول :الأبعاد الاعتقادية للكناية والتعريض(بناء العقيدة وتصحيح التصور)**

**أولا:الكناية:**..... 265

1-كن سباقا للخير.....265

2-الدعوة إلى الاعتبار من عاقبة المعتدين.....267

3-العلم بقدرة الله تعالى وملكه الواسع.....268

4-الكتب السماوية اتصال وارتباط.....269

5- أعرف عدوك.....271

6- حكم الطغاة وسلب الحريات .....273

7- واجبك التبليغ.....275

8- الحساب على كل الأعمال.....276

9- النفاق طريق إلى ضياع مصالح الناس.....278

10- في علم الله بعملك غنى عن علم غيره.....281

11- الله يراقب ويحاسب.....283

12-النفاق يورث سفاهة وجهلا..... 284

**ثانيا:التعريض:**

1- القرآن الكريم ( المعجزة والتحدي).....286

2- نظرة المنافقين تجاه المسلمين.....288

3- لا معبود بحق سوى الله القوي.....291

4- دليل الإيمان وثمرته.....292

5- دور العقل في معرفة الخالق.....293
6- بين الغباء والكفر بالنعماء.....295
7- تحريف الأديان وحفظ القرآن.....296
8- من علامات المؤمن الصادق.....297
9- بنو إسرائيل سفاهة العقل وفساد الرأي.....298
10- دائرة الحلال أوسع.....299
11- الإصلاح بالبدائل.....301
**المبحث الثاني:الأبعاد النفسية للكناية** والتعريض.
**أولا:الكناية**.....303
1-محبة الله تعالى وخوف منه .....303
2 -ضبط النفس.....305
3- الإخلاص وطلب رضا الله تعالى.....307
4- من فساد القلب إلى الفساد في الأرض.....309
5-المراقبة والمحاسبة .....310
6-الاستعداد النفسي للموت.....312
7-تطهير النفس من النفاق..... 314
**ثانيا:التعريض:**
1-الطريق إلى الراحة النفسية .....316
2- الحسد طريق إلى التكبر عن الحق.....319
3-من الخشوع إلى الخضوع.....322
4-طبيعة اليهود اللئيمة ونفس المؤمن من الكريمة.....323
5-طهارة النفس وعمارة المساجد.....326
6-يدنس النفس الشرك ويطهرها القرآن.....327

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

7-ثقة المؤمن في حكم ربه.....329
8-تزكية النفس بتوجيه القلوب لا بتوجيه الأجساد.....332
**المبحث الثالث:الأبعاد السلوكية للكناية والتعريض**
**أولا:الكناية**.....336
**1-**ينفعك عملك.....336
2-لا مزاح في مقام الجد.....338
3-الجود والإنفاق الطريق إلى العز.....339
4-أدب المسلم الرفيع في معاملته.....341
5-الاهتمام بأهل الدعوة.....342
6-سماع الآيات وضبط السلوكات.....345
7-سلوك الطغاة.....347
8-الثبات على أداء الواجبات الوقتية.....350
**ثانيا: التعريض:**
1- الجزاء على الأعمال لا بالاتكال.....352
2- التدين الصحيح سلوكات لا شكليات.....353
3- سلوك اليهود مبني على الغدر فلا للتطبيع.....355
4- أعمال دالة على الإيمان لا ادعاءا بالأقوال.....356
5- مقاطعة اليهود الغاصبين موقف المؤمنين الصادقين.....358
6- ذكر الله أكبر.....359
الخاتمة .....364
فهرس الآيات.....368
فهرس الأحاديث.....376
فهرس الأشعار.....377

قائمة المصادر و المراجع.....378

فهرس الموضوعات.....389

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية